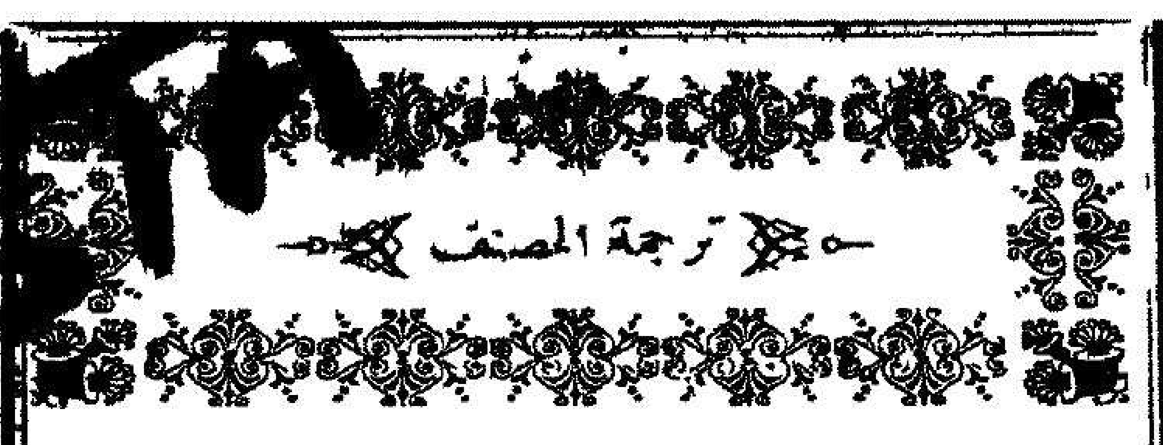
كتاب المجازات النبوية

للشريف الموسوي السيد الرضي ذي الحسبين فصيح
قريش وناطقة الادباء ومقدام العلماء والمبرز على سائر
البلغاء ابي الحسن محمد بن ابي احمد النقيب الطاهر
ذي المناقب الحسين بن موسى الابرش بن
بن موسى ابو سبحه بن ابراهيم
المرتضى بن موسى الكاظم
التحية والسلام وعلى
الائمة الكرام

طبع في « مطبعة الآداب » على نفقة جلالة السيد العالم
الفاضل والحبر الكامل اشرف الحاج جناب السيد
محمد نجل حجة الاسلام والمسلمين السيد
سيد حسن صدر الدين
دام ظله العالي آمين



مستخرجة من كتاب (تأسيس الشيعه الكرام لفنون الاسلا

تصنيف [illegible] الاسلام السيد حسن صدرالدين ادام الله سبحانه ظله العالى

(قال دام ظله فى الطبقة السابعة من المفسرين)

ومنهم الشريف الرضى ذوى الحسبين ابوالحسن محمدابن ابى احمدالحسين ابن موسى الابرش ابن محمدابن موسى ابوسبحه ابن ابراهيم الاصغر ابن الامام موسى ابن جعفر عليهم السلام كان فصيح قريش وناطقة الادباء ومقدام العلماء والمبرز على سائر الفضلاء والبلغاء المتقدم ذكره فى مشاهير الشعراء صنف فى جميع علوم القرآن منها كتابه المترجم بحقايق التنزيل ودقائق التأويل كشف فيه عن غرائب القرآن وعجائبه وخفاياه وغوامضه وابان غوامض اسراره ودقائق اخباره وتكلم فى تحقيق حقائقه وتدقيق تأويله بما

لم يسبقه احد اليه ولا حام طائر فكر احد عليه وهو مع
ذلك فى كبر تفسير التبيان والذى رأيت منه هو الجزء الخامس
من اول سورة آل عمران الى اواسط سورة النساء جائنا
به ثقة الاسلام العلامه النورى قدس سره من خراسان كتبه من
النسخة التى فى خزانة الكتب فى المشهد المقدس الرضوى على
مشرفه السلام وبالجمله ليس الرائى كمن سمع ان كان هذا هو
التفسير فغيره بالنسبة اليه قشر اللباب بلا ارتياب ولعمرى
انه الذى يبين بالعيان لا بالبرهان ان القرآن هو الكلام
المتعذر المعوز والممتنع المعجز بعبارات تضمنت عجائب الفصاحه
وبدايعها وشرايف الكلام ونفايسها وجواهر الالفاظ
وفرائدها يعجز والله فم البيان عن بيانها ويضيق صدر
القول عن قيامها ويكل لسان اليراع عن تحريرها فليتنى
بباقى اجزائه احظى وللتمتع بانوارها ابقى وعلى الدنيا
العفى بعد فقدها ويالله العجب من غزارة علم هذا السيد
الشريف مع قلة عمره فى الدنيا ويأتى بمثل هذا التصنيف
وبالمجازات القرآنيه (كالشمس وضحاها والقمر اذا
تلاها) ثم بكتاب المتشابه فى القرآن وكتاب مجازات النبويه
وكتاب تعليق خلاف الفقهاء وكتاب تعليقه الايضاح لابى
على وكتاب خصائص الائمه وكتاب نهج البلاغه وكتاب

تلخيص البيان فى مجازات القرآن وكتاب الزيادات فى شعر ابى تمام وكتاب سيرة والده الطاهر وكتاب انتخاب شعر ابن الحجاج وكتاب مختار شعر ابى اسحق الصابى وكتاب مادار بينه وبين ابى اسحق من الرسائل فى ثلث مجلدات وكتاب ديوان شعره وذكر له السيد المدنى فى الدرجات الرفيعه كتاب تفسير القرآن غير حقائق التنزيل وفيه نظر ولم يزد عمره على سبع واربعين سنه ولو كان عمره سبعا من الالوف اواربعينا من المأت لكانت هذه المصنفات من الايات ولاعجب فانه هو القائل

انى لمن معشر ان جمعو العلا تفرقوا عن نبى اوصى نبى

وقال دام ظله فى مشاهير الشعراء ومنهم بل سيدهم السيد الشريف الرضى قال الثعالبى هو اشعر الطالبين من مضى منهم ومن غبر على كثرة شعرائهم المفلقين ولو قلت انه اشعر قريش لم ابعد عن الصدق وقال الخطيب فى تاريخ بغداد سمعت ابا عبدالله محمد بن عبد الله الكاتب بحضرة ابى الحسين بن محفوظ وكان احد الرؤساء يقول سمعت جماعة من اهل العلم بالادب يقولون الرضى اشعر قريش فقال ابن محفوظ هذا صحيح وقد كان فى قريش من يجيد القول الا ان شعره قليل فاما مجيد ومكثر فليس الا الرضى قلت وقريش اشعر

العرب فالسيد الشريف اشعر العرب وفي البيان مايغني عن الخبر هذا ديوان الحماسه لابي تمام جمع فيه جيد شعر العرب وهذا ديوان شعر سيد الشريف تراه كالشمس وضحاها والقمر اذا تلاها ولا اعرف مكثراً مجيداً سواه ولم ينشد قط ممدوحا وهذه فضيلة تفرد فيها عن الشعراء واخرى انه لم يقبل من احد صله ولا جائزة حتى انه رد صلات ابيه وناهيك بذلك شرف نفس وشدة اباء قال ابوالحسن الباخرزي في دمية القصر عند ذكره السيد الشريف له صدر الوسادة بين الائمة والسادة وانا ان مدحته كنت كمن قال لذكاء ما انورك والخضارة ما اغزرك وله شعر اذا افتخر به ادرك به من المجد اقاصيه وعقد بالنجم نواصيه واذا نسب انتسبت الرقة الى نسيبه وفاز بالقدح المعلى من نصيبه الى آخر كلامه وسيأتي ذكره في ائمة التفسير كان تولده سنة ٣٥٩ ببغداد وتوفي صبيح يوم الاحد لست خلون من المحرم سنه ست واربعمايه ويكون عمره خمس واربعين سنه وقال ثقة الاسلام النوري ان علو مقام السيد الرضي في الدرجات العلمية مع قلة عمره فانه توفي في سن سبع واربعين سنة قد خفي على العلماء لعدم انتشار كتبه وقلة نسخها وانما الشايع منها نهج البلاغة والخصائص وهما

مقصوران على النقل والمجازات النبويه حاكيه من علو
مقامه في فنون الادب واما التفسير المسمى بحقائق التنزيل
ودقائق التأويل فهو اكبر من التبيان واحسن وانفع وافيد
منه الى اخر كلامه في فوائد المستدرك وهو علامة زمانه ووحيد
دهره واوانه وقال ابو الحسن العمري رأيت تفسيره في
القرآن فرأيته من احسن التفاسير يكون في كبر تفسير
ابي جعفر الطوس اواكبر وكانت له هيبة وجلالة وفيه
ورع وعفه وتقشف ومراعات للاهل والعشيرة وقال السيد
علي خان بن صدر الدين في الدرجات الرفيعه في طبقات
الشيعة عند ترجمته وكان الرضي قد حفظ القرآن بعد
ان جاوز الثلاثين سنه في مدة يسيرة وكان عارفاً بال...
والفرائض معرفه قويه واما اللغه والعربيه فكان فيهما
اماماً ثم ذكر مصنفاته وحدثني شيخ الاسلام الشيخ
محمد حسن آل يسن الكاظمي ان العلماء ذكروا ان
السيد الرضي كان عالماً غلب شعره على علمه
والمرتضى كان شاعراً غلب علمه
على شعره انتهى ما في
تأسيس الشيعه

كتاب ... ٤٣٠١

بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد حمد الله سبحانه بمحامده التي يستحقها واختصاص نبيه محمد وآله الطاهرين بالصلوات التي هم اهلها فاني عرفت ما شافهتني به من استحسانك الخبيئة التي اطلعتها و[illegible]ة التي اثرتها من كتابي الموسوم بتلخيص البيان عن مجازات القرآن واني سلكت من ذلك محجة لم تسلك وطرقت بابا لم تطرق وما رغبت الى فيئة من سلوك مثل تلك الطريقة في عمل كتاب يشتمل على مجازات الآثار الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وآله او كان فيها كثير من الاستعارات البديعة ولمع البيان الغريبة واسرار اللغة اللطيفة بعظم النفع باستنباط معادنها واستخراج كوامنها واطلاعها من اكمتها واكنانها وتجريدها من حللها واجفانها فيكون هذان الكتابان باذن الله لمتبين

يستضاء بهما وعرينين لم اسبق الى قرع بابهما فاجبتك الى ذالك مستخير الله سبحانه ويه على كثرة الاشغال القاطعة والعوائق المانعة والاوقات الضيقة والهموم المخنقه وعملت بتوفيق لله على تتبع مافى كلامه صلى الله عليه وعلى آله من ذلك والاشارة منه الى مواضع النكت ومواقع الغرض بالاعتبارات الوجيزة والايماآت الحقيقه على طريقتى فى كتاب مجازات القرآن لئلا يطول الكتاب فيحفو على الناظر ويشق على الناقل فان القلوب فى هذا الزمان ضعيفه عن تحمل اعباء العلوم الثقيلة والاجراء فى مسافات الفضائل الطويلة لانه لم يبق من الفضل الا الدماء ومن الفضلاء الا الاسماء ولله الحمد على السراء والضراء والبؤس والنعماء ولست شاكا فى ان مايفوتنى من الجنس الذى اقصده اكثر من الحاصل لى والواقع الى ولكننى اقتصر على ما تناله فى هذا الوقت يدى ويقرب من تصفحى وتأملى واذا ورد بمشيئة الله من هذه الآثار مافيه موضع مجاز قد تقدم الكلام على نظيرله او مايقوم مقامه اقتصرت على القول الاول طلباً للاقتصاد ووقوفا دون الابعاد على مثل الاصل المقرر فى كتاب مجازات القرآن ولولا ان ابا على محمد بن عبد الوهاب قد سبق الى تفسير متشابه

الاخبار التى ظاهرها التشبيه والتجسيم وصريحها التجوير و التضليم واستقصى هـذا المعنى فى كتابه الموسوم بشرح الحديث وتعاطى ذلك جماعة غيره من علماء اهل العدل فى مواضع من كتبهم لتتبعت هذا الفن جميعاً تتبعاً يكشف الشبه ويوضح المشتبه على طريقتى فى كتابى الكبير الموسوم بحقائق التأويل فى متشابه التنزيل الا انى بعون الله اورد من ذلك ما كان داخلاً فى باب الاستعارات اللغوية بكلية او بسمة كثيرة من سمته والذى اعتمد عليه فى استخراج ما تتضمن الغرض الذى انحو نحوه واقصد قصده كتب غريب الحديث المعروفة واخبار المغازى المشهورة ومسانيد المحدثين الصحيحة مضيفاً الى ذلك ما يليق بهـذا المعنى من جملة كلامه عليه السلم الموجز الذى لم يسبق الى لفظه ولم يفترع من قبله وجميع ذلك مما اتقنا بعضه رواية وحصلنا بعضه اجازة وخرجنا بعضه تصفحاً وقراءة مستمدين فى ذلك وفى سائر الانحاء والمرامى والمطالب والمغازى توفيق الله سبحانه الذى يهون الشديد ويقرب البعيد ويذلل الصعب اذا ابى ويقوم المعوج اذا التوى وما توفيقنا الا بالله عليه توكلنا واليه انيب فمن ذلك قوله عليه السلم هذه مكة قد رمتكم بافلاذ كبدها وفى رواية اخرى

﴿ قد القت اليكم افلاذ كبدها ﴾ وهذه من انصع العبارات واوقع الاستعارات وقال ذلك عليه السلام عند خروجه الى بدر للقتال وقد خرج قريش من مكة مجلبة عليه ومحلبة اليه وكان المسلمون قدظفروا ببعض فراطهم فأتوا به النبي عليه السلام فسئله عمن خرج فى ذلك الجمع من غلبة قريش فقال فلان وفلان وعدد قادتهم وذادتهم والوجوه والسادات منهم فقال عليه السلام هذه مكة قد رمتكم بافلاذ كبدها ﴿ ولهذا الكلام معنيان ﴾ [احدهما] ان يكون المراد به ان هؤلاء المعدودين صميم قريش ومحضها ولبابها وسرها كما يقول القائل منهم فلان قلب فى بنى فلان اذا كان من صرحائهم وفى النضار من احسابهم فيجوز ان يكون المراد بالكبد ههنا كالمراد بالقلب هناك لتقارب الشيئين وشرف العضوين فيكنى باسم كل واحد منهما عن العلق الكريم واللباب الصميم ﴿ والافلاذ ﴾ القطع المتفرقة عن الشيء وقل مايستعمل ذلك فى الكبد خاصة قال الشاعر ﴿ تكفيه فلذة كبد ان الم بها من الشواء ويروى شربه الغمر ﴾ والمعنى الاخر ان يكون المراد بذلك اعيان القوم ورؤساهم والعرانين المتقدمة منهم فكانه عليه السلام اقام مكة مقام الحشا التى تجمع

هذه الاعضاء الشريفة كالقلب والنياط والكبد والفؤاد وجعل رجال قريش كشعب الكبد التى تحنوا عليها الاضالع وتشتمل عليها الجوانح وقايةً لها وزفرفة عليها ﷺ ومن ذلك قوله علية السلم وقد نظر الى احد منصرفه من غزاة خيبرهذا جبل يحبنا ونحبه ﷺ وهذا القول محمول على المجاز لان الجبل على الحقيقة" الايصح ان يحب ولا يحب اذ محبة الانسان لغيره انما هى كناية عن ارادة النفع له اوالتعظيم المختص به على مابيناه فى عدة مواضع من كتابينا المشهورين فى علوم القرآن وكلا لامرين لايصح على الجماد لاالتعظيم المختص به ولا النفع العايد عليه فمستحيل ان يعظم اويعظم اوينفع اوينتفع فالمراد اذاً ان احداً جبل يحبنا اهله ونحب اهله واهله هم اهل المدينة من الانصار اوسهم وخزرجهم وغير خاف حبهم النبي عليه السلام وحبه لهم وتعظيمهم له واعظامه لقدرهم الاترى الى قوله عليه السلام فى كلام طويل ولو سلك الانصار شعبا وسلك الناس شعبا لسلكت شعب الانصار ولولا الهجرة لكنت امرءً من الانصار الى غير ذلك من الكلام الذى يطول بذكره الكتاب وينقض قاعدتنا فى الاختصار ومثل هذا الحديث ماروى

عنه عليه السلام فى حديث آخر ﴿ قال نهران مؤمنان ونهران كافران اما المؤمنان فالنيل والفرات واما الكافران فدجله ونهر بلخ والاولى ان يكون تأويل هذا الخبران كان صحيحاً كتاويل الخبر المتقدم فكانه عليه السلام قال اهل هذين النهرين مومنون واهل هذين النهرين كافرون ويكونان هذان الصفتان جاريتين على هذه الانهار فى وقت مخصوص او على الاغلب من الاحوال فى زمان معلوم لان من اهل هذين النهرين المؤمن والكافر كما ان من اهل ذينك النهرين البر والفاجر ﴾ وقد قيل فى ذلك قول آخر لست ارتضيه وهو ان يكون انما جعل النيل والفرات مؤمنين على التشبيه والتمثيل لكثرة انتفاع الناس بسقياهما كالانتفاع بالمؤمنين وجعل دجلة ونهر بلخ كافرين لقلة الانتفاع بهما كقلة الانتفاع بالكافرين والقول الاول اخلق بالصواب واشبه بالمراد ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام المسلمون تتكافؤ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم ويرد عليهم اقصاهم وهم يد على من سواهم ﴾ فقوله عليه السلام وهم يد على من سواهم استعارة ومجاز ولذلك وجهان احدهما ان يكون شبه المسلمين فى التضافر والتوازر والاجتماع والترافد باليد الواحدة التى لا تخالف بعضها بعضا فى

البسط والقبض والرفع والخفض والابرام والنقض وقد يسمى انصار الرجل واعوانهم يداً على طريق الاتساع تشبيهاً لهم باليد التي ينتصر بها ويدافع بقوتها ﴿قال الراجز﴾ اعطى فاعطاني يداً وداراً وباحة خولها عقاراً يقول بوأني داراً واحصب بي اعواناً وانصاراً والوجه الآخر ان يكون اليد ههنا بمعنى القوة فكانه عليه السلم قال وهم قوة على من سواهم والقوة احد المعاني التي يعبر عنها باسم اليد وقد استقصيت ذلك في كتابي الكبير الموسوم بحقايق التاويل وذكرت ان قول القائل لا افعل ذلك يد الدهر معناه عندي لا افعل ذلك قوة الدهر اى مادام الدهر قوى الاركان قائم البنيان ﴿فاما الحديث الاخر قوله عليه السلم وهو قوله عليكم بالجماعة فان يد الله على الفسطاط﴾ فليس المراد باليد فيه كالمراد باليد في الحديث الاول بل المراد باليد ههنا حفظ الله ورعايته كما يقول القائل ما لي في يد فلان اذا اراد انه حافظ له وامينه عليه والفسطاط ههنا البلد ومنه سمى فسطاط مصر فكانه عليه السلم امرهم بلزوم الجماعة في الامصار ونهاهم عن الانشعاب والافتراق ولم يرد ان الخارج من المصر خارج عن قبضة الله وملكته لكنه خارج عن حفظه ورعايته وانما امرهم بلزوم الامصار

لانها فى اكثر مواضع الجماعة والا فالامر على الحقيقة انما هو بلزوم الجماعة ولوكان اهلها فى اكناف الفيافى ومطارح البوادى ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم فى الجبل ظهورها حرز وبطونها كنز ﴾ وهذا القول خارج على طريق المجاز لان بطون الجبل على الحقيقة ليست بكنز وانما اراد عليه السلم ان اصحابها ينتجو بها من الاقلاء ماتنمى به اموالهم وتحسن معه احوالهم فهم باستيداع بطونها نطف الفحوله كمن كنز كنزاً اذا اراده وجده واذا الجأاليه دعم ظهره كما يكون الكانز عند الرجوع الى كنزه والتعويل على ماتحت يده وقوله عليه السلام وظهورها حرز اوضح من ان نوضحه والمراد انها منجاة من المعاطب وملجأة عند المهارب ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام فى الجنين غرة عبد اوامة ﴾ وفى هذا الكلام مجاز لانه عليه السلم انما جعل العبد او الامة غرة لانهما افضل مايملكه المالك وافخره واظهره واشهره ولذلك سمى ايضا فى لسانهم الفرس غرة لانه من انفس مايملك ولمثل هذا المعنى ايضا ماسمو الجبل جبهة وفى الحديث المشهور ليس فى الجبهة ولا فى النخه ولا فى الكسعة صدقه والنخه الرقيق ومن قال النخه بالضم قال هى البقر العوامل والكسعة الحمير وهذا اشهر الاقوال

في معنى هذا الحديث قال ابن احمر ﴿ان نحن الا اناس اهل سائمة * ما أن لهم دونها حرث ولا غرر﴾ اى ليس لهم زرع يستمدو ولا خيل تقتعد وقال الآخر ﴿كل قتيل في كليب غرة * حتى ينال القتل آل مرة﴾ يقول كل قتيل نقتله بكليب من غير آل مرة عبد لا نقتله بواء ولا نرضى به كفاء وكان نحوى الكلام ان العبد والامة والفرس من اظهر الاسماء المملوكة وادلها على وفارة الثروة وفخامة النعمة لان غيرها من الاعراض فى الاكثر لا يشتهر اشتهارها ولا ينتشر انتشارها ﴾ ومن ذلك قوله عليه السلم اذا اراد الله بعبد خيرا عسله قيل له يارسول الله وما عسله قال يفتح له بين يدى موته عملا صالحاً يرضى بين يدى موته حتى يرضى عنه من حوله ﴾ وفى هذا الكلام مجاز ان احدها قوله عليه السلام عسله وهو مأخوذ من العسل كما يقول القائل عسلت الطعام اذا جعلت فيه عسلا وسمنته اذا جعل فيه سمنا وزيته اذا جعل فيه زيتا ومعنى عسله اى جعل عمله حلواً تحمده الصالحون ويرضاه المتقون فيكون كالشئ المعسول الذى يسوغ فى اللهوات ويلذ على المذاقات والمجاز الآخر قوله عليه السلم بين يدى موته ولا يدى للموت على الحقيقة ولكنها كناية عن الشئ الواقع امام الشئ

المتوقع وقد تكلمنا على هذا المعنى فى كتاب مجازات القرآن عند قوله سبحانه فى البقرة فجعلناها نكالاً لما بين يديها وما خلفها وعند قوله تعالى فى سبأ ان هو الا نذير لكم بين يدى عذاب شديد وذلك كما تقول احد بالعشيرة وهو سالك طريق وسائل عن رفيق ها هو ذا بين يديك اى قد تقدمك ولا يقال ذلك الا فيما اذا كنت وراءه وهو امامك لا فيما كنت امامه وهو وراءك وكل ذلك انما يراد به فى الاكثر تقريب الشىء من الانسان حتى كانه افاق يده وقراب تناوله كما تقول هذا الشىء احد يدى اى ممكن لها وقريب من تناولها ﷺ ومن ذلك قوله عليه السلام ويل لاقماع القول ويل للمصرين ﷺ وفى هذا الكلام مجاز واستعارة لانه عليه السلام عنى به الذين يكثرون استماع الاقوال واختلاف الكلام فيكون ذلك ثالما فى دينهم وقادحاً فى يقينهم فشبه عليه السلام أذ انهم بالاقماع التى يفرغ فيها ضروب القول افراع المايعات وهذه من احسن العبارات عن هذه المعنى لان الاذان هى الطرق التى يوصل منها الى الصدور والاقماب التى يدخل منها على القلوب فهى ابواب موصله وطرق مبلغه وقد حمل بعض العلماء هذا الحديث على تأويل غير مشبه لفحوى اللفظ لانه قال المراد بذلك الذين تكرر

المواعظ على اسماعهم وهم مع ذلك مصرون على المعاصى وموضعون فى طرق المغاوى وهذا القول وان كان سائغاً فان الاشبه بظاهر الكلام ان يكون على ماقدمت القول فيه من ذم من يجعل سمعه مساغاً للاقوال المختلفة والانباء المتضادة ويكون قوله عليه السلم المصرين تماماً لهذا المعنى المراد ومبالغة فى وصف هؤلاء المذمومين بكثرة استماع الاقوال فيكون ذلك من قولهم اصر الفرس اذنيه اذانصبهما للتوحش لانه يقال اصراذنيه وصر باذنيه وهذا التأويل لماعلم احدا سبقنى اليه ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام حين اتاه الفضل بن العباس وابن ربيعة بن الحرث بن عبدالمطلب يسئلانه عن ابويهما السقاية فتوا كلا الكلام فقال عليه السلم اخرجا ماتصران ﴾ وفى هذا القول استعارة لانه عليه السلم اراد اظهرا ماتكتمان فى قلوبكما وصرحا بما تلجلج به السنتكما فجعل القلب بمنزلة الوعاء والكتمان بمنزلة الوكاء والامر المكنوم بمنزلة الشيء الموعى وكل شيء جمعته فقد صررته ومنه قيل للاسير مصروراً اذا جمعت يداه بالغل وقدماه بالحجل ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم فى عمرة الحديبية عند كلام جرى فى شان قريش فان اتبعونا اتبعنا منهم عنق يقطعها الله ﴾ وفى هذا القول استعارة

لانه عليه السلم شبه من تبعه منهم في التلاحق والامتداد والجد والاجتهاد بالعنق الواحدة التي لاتختلف اجزاؤها ولاتتباين اعضاؤها فهو اشد لموتها او وهن لصدمتها وعلى هذا المعنى قول الشاعر وانشدنا شيخنا ابو الفتح عثمان بن جني النحوي رحمه الله في حال القراءة عليه : ابلغ امير المومنين اخا العراق اذا اتيتا (ان العراق واهله عنق اليك فهيت هيتا) ولقول الشاعر عنق اليك معنيان احدهما ان يكون على الوجه الذي ذكرناه اولا من تشبيه الطالبين له والقاصدين اليه بالعنق في التلاحق الى فنائه والتسرع الى لقائه والمعنى الآخر ان يكون اراد اهل العراق على توقع لوروده وتشوق الى طلوعه فهم كالعنق الممتده نحوه وذلك على المتعارف بيننا من قول القائل منا اذا اراد ان يعبر عن انتظاره وارده او توقعه اطالعا ان يقول عنق ممتده الى ورود فلان كما يقول عيني ممدودة الى طلوع فلان وقول الشاعر في البيت الثاني فهيت هيتا يشهد بان مراده الوجه الاخير من الوجهين لان هذا القول حثاله على التعجل وارعاجا الى التسرع ﴿فاما قول الله سبحانه وتعالى فظلت اعناقهم لها خاضعين﴾ فقد فسر ايضا على وجهين اوردناهما في مواضع من كلامنا في تاويل القرآن فاحد الوجهين ان يكون سبحانه ذكر الاعناق ثم رد الذكر على اصحاب الاعناق لان خضوع

الاعناق هو خضوع اصحابها لما لم يكن خضوعهم الا بها والوجه الاخر انيكون اراد الجماعات لانه قدتسمى الجماعة عنقاً على الوجه الذى قدمنا ذكره يقول القائل جاء نى عنق من الناس اى جماعة فيكون خاضعين صفة للجماعات والمعنى فى ذلك ظاهر غير محتاج الى التاويل وقد يجوز انيكون الاعناق ههنا كناية عن السادات والمتقدمين من القوم يقال هؤلاء اعناق القوم اى ساداتهم كما يقال هؤلاء رؤسهم وعرانينهم ذكر ذلك صاحب العين فى كتابه وقال لى ابو حفص عمر بن ابراهيم الكنانى صاحب ابن مجاهد وقد قرات عليه القرآن بروايات كثيرة سمعت ابا بكر بن سفين النحوى صاحب المبرد يقول اولى الوجوه بتاويل هذه الاية انيكون خاضعين مردوداً على الضمير فى اعناقهم فكانه تعالى قال فظلوا هم لها خاطعين ويبعد ان يحمل قوله (ع) فى هذا الخبر عنق يقطعها الله على انه اراد به الجماعة لانه قوله يقطعها الله بالعنق المعروفة التى هى العضو المخصوص اشبه وفى موضع الكلام احسن وانما جاء بالعنق ههنا على طريق الاستعارة تشبيهاً للقوم الذين ذكر اتباعهم له بالعنق فى الاحتشاد اطلبة والاشتداد للحاق به صلى الله عليه وسلم ومن ذلك قوله عليه السلام فى كتاب من كتبه هذا كتاب من محمد رسول الله

لعمار بن كلب واخلافها ومن ظائرة الاسلام من غيرهم ﴿ وفي هذا الكلام استعارة لان الظائر في الحقيقة العطف ومنه ظأر الناقة وهو ان يموت ولدها فتعطف على البو الذى يجعل لها لتدر عليه لبنها واصله العطف على الشيء بالاخذ والحمل لا بالاختيار والطوع ويبين هذا المعنى قول الكميت الاسدى

وهم ريموها غير ظأر واشبلوا * عليها باطراف القنا وتحدبوا

اى عطفوا عليها طائعين مختارين لا مجبرين محمولين ثم استعمل بعد ذلك فيمن عطف طائعا كما استعمل فيمن عطف كارها فكانه عليه السلام جعل الاسلام يعطف على الدخول فيه اما طوعاً ومشيئة او عنادا وخيفة ومن امثال العرب الطعن يظائر اى تعطف على السلم والتواهب ويحمل على البقيا والتقارب ﴾ ومن ذلك قوله عليه السلام لحادى مطية يا انجشه رفقا بالقوارير ﴿ وهذه استعارة عجيبة لانه عليه السلام شبه النساء في ضعف التحائر ووهن الغرائز بالقوارير الرقيقة التى يوهنها الخفيف ويصدعها اللطيف فنهى عن ان يسمعهن ذلك الحادى ما تحرك مواضع الصبوة وينقض معاقد العفة وقد حمل بعض العلماء قوله تعالى قوارير من فضة قدروها تقديراً على ان المراد به

غير الزجاج هاهنا والقارور فاعول من استقرار الشيء فيه فكأنه قرار للشراب وغيره من المايعات فتصلح ان يكون للزجاج ويكون لغير الزجاج واما عامة المفسرين فيذهبون الى ان تلك الانية الموصوفة من فضة ولكنها تشف شفيف القوارير من الزجاج فهو اعجز لتصويرها واعجب لتقديرها اذا كانت جامعة للرقة اللطيفة والقوه الحصيفة ﴿ومن ذلك قوله عليه السلام وقد تذاكر الناس عنده امر الطاعون وانتشاره في الامصار والارياف فقال صلى الله عليه وآله فاني ارجوا الا تطلع الينا نقابها﴾ يعني نقاب المدينة والنقاب جمع نقب وهو الطريق في الجبل وفي هذا الكلام استعارة حسنه لانه عليه السلام اقام هذا الداء المسمى بالطاعون في تغلغله الى البلاد المنيعة وذهابه بالاعلاق الكريمة مقام الجيش المغير الذي يوفي على الانشاز ويهجم على الحصون والديار يقال طلع فلان الثنية اذا اوفى عليها وفرع ذروتها ومن احسن التمثيل واوقع التشبيه ان يشبه اسباب الموت وطوارق الدهر بالجيش الهاجم والمقنب المصمم الذي يخاف سطوته وتنكا شوكته ولا يسد طريقه ولا يؤمن طروقه وقوله عليه السلام الا تطلع الينا نقابها وهو يريد نقاب المدينة

ولم يجر لها ذكر من الفصاحة العجيبة لانه اقام علم المخاطبين بها مقام تصريحه بذكرها ومثل ذلك قوله سبحانه وتعالى ولو دخلت عليهم من اقطارها والمراد المدينة ولم يجر لها ذكر ولذلك فى القرآن نظاير وكان شيخنا ابو الفتح النحوى رحمه الله يسمى هذا الجيش شجاعة الفصاحة لان الفصيح لايكاد يستعمله الا وفصاحته جرية الجنان غزيرة المواد

﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام ان الاسلام بدا غريبا وسيعود غريبا ﴾ وهذا الكلام من محاسن الاستعارات وبدايع المجازات لانه عليه السلام جعل الاسلام غريبا فى اول امره تشبيها بالرجل الغريب الذى قل نصاره وبعدت دياره لان الاسلام كان على هذه الصفة فى اول ظهوره ثم استقرت قواعده واشتدت معاقده وكثر عوانه وضرب جرانه وقوله عليه السلام وسيعود غريباً اى يعود الى مثل الحال الاولى فى قلة المعاملين بشرايعه. والقائمين بوظايفه لانه والعياذ بالله تمحى سماته وتدرس اياته

﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم فى ذكر الخوارج يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ﴾ الحديث بطوله الى قوله قد سبق الفرث والدم وفى هذا القول مجاز لانه عليه السلم شبه دخولهم فى الدين وخروجهم منه بسرعة من

غيران تعلقوا بمقدته اويميقوا بطينته بالسهم الذى اصاب الرميه وهى الطريدة المرمية ثم خرج مسرعاً من جسمها ولم يعلق بشئ من فرثها ودمها وذلك من صفات السهم الصائب لانه لايكون شديد السرعة الا بعدان يكون قوى النزعة ﴿ومن ذلك قوله عليه السلم مضر صخرة الله التى لاتنكل﴾ وهذا القول مجاز لانه عليه السلم جعل مضر وهى القبيلة المعروفة بمنزلة الصخرة الراسية والهضبته الثابتـه التى لاتزحزح عن مقرها ولاتوخر عن مجثمها وهذا معنى قوله عليه السلم لاتنكل وذلك مأخوذ من قولهم نكلت عن الامر انكل نكولا اذا تاخرة عنه ومنه قيل للجام نكل لانه يؤخر به المركوب اذا جمح ويحبس به اذا انطلق ولهذا المعنى ايضاً قيـل للقيد نكل لانه يقصر الخطو ويمنع العدو وانما اضاف عليه السلم اسم الصخرة الى الله تعالى ليكون افخم لها فى القلوب واجدر لها بالرسوخ ﴿ومن ذلك قوله عليه السلم بعثت فى نسم الساعة ان كادت لتسبقنى﴾ وفى هذا القول استعاره لانه عليه السلم كنى عن ابتداء الساعة بالنسم والنسيم جميعاً اسم لابتداء الريح وهى ضعيفه قبل شدتها ومريضة قبل استكمال قوتها والنسيم ايضا لنفوس جمع واحده نسمة وانما سميت بذلك لانها فى الاصل ضعيفة

وانما يشتد من جسمها بروافد يرفدها ودعايم يسندها وقد روى هذا الخبر على وجه آخر وهو قوله عليه السلام بعثت في نفس الساعة وله معنيان احدهما ان يكون بعثت في تنفيس الساعة اى في امهالها وتاخرها من قولهم نفس فلان عن غريمه اذا انظره واخر بعدان حان تضاؤه ووجب اقتضاؤه فكانه عليه السلم قال بعثت وقد حان قيام الساعة الا ان الله تعالى نفسها اى اخرها قليلا فبعثني في ذلك التنفس والوجه الاخر ان يكون جعل للساعة نفساً كنفس الانسان وقال بعثت في وقت احس فيه بنفسها وقربها كما يحس الانسان بنفس الانسان اذا قرب من شخصه وسمع مجرى نفسه

﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم واليد العليا خير من اليد السفلى ﴾ وهذا القول مجاز لانه عليه السلام اراد باليد العاليه يد المعطى وباليد السافله يد المستعطى ولم يرد على الحقيقة ان هناك عاليا وسافلاً وصاعداً ونازلاً وانما اراد ان المعطى في الرتبة فوق الاخذ لانه المنيل المفضل والمحسن المجمل وليس هذا في معطي الحق وانما هو في معطي الرفد ومسترفده وليس المراد انه خير في الدين بل المراد انه خير في النفع للسائلين وانما كنى عليه السلام عن هاتين الحالين باليدين لان الاغلب ان يكون بهما الاعطاء والبذل وبهما القبض والاخذ

﴿ومن ذلك قوله عليه السلم ان هذه الاخلاق بيد الله فمن شاء ان يمنحه منها خلقا حسنا فعل﴾ وذكر اليد ههنا مجاز والمراد ان الاخلاق فى قبضة الله وتحت ملكة الله تعالى فلما كان فى الاكثر مايقبضه الانسان ويملكه انما يقبضه بيده وينقله الى يده خاطب عليه السلم بلسان العرف المتقرر عند المخاطبين وفى لغة السامعين وقدمضى الكلام على هذ المعنى فى عدة مواضع من كتبنا الموضوعة فى علوم القرأن ولا يحتمل كتابنا هذا اكثر من هذا المقدار ﴿ومن ذلك قوله عليه السلام لابى ابن كعب وقد اعطاه الطفيل بن عمرو الدوسى قوسا له جزاءً على اقرائه القرآن فقال عليه السلام لابى تقلدها شلوة من جهنم﴾ وفى هذا القول مجاز لانه عليه السلم جعل القوس انكانت تكسب آخذها على الوجه المكروه عذاب جهنم كانها شلوة من نار جهنم وانما قال شلوة ولم يقل شلوا لانه حمل على معنى القوس وهى مؤنثه والشلو العضو ومنه حديث امير المؤمنين عليه السلم فى الاضحية ائتنى بشلوها الايمن واصله فى لغتهم البقية القايلة من الشيء ومن ذلك يقال لبقية الاكله اذا فرسها السبع شلو ويقال لبدن القتيل شلو على احد ثلثة وجوه اما ان يكون مفردا من رأسه فيكون كالبقية

القليلة لان الرأس هو العضو الا رأس والملق الا انفس الا ترى الى قول الشاعر اذا قدموا رأسى وفى الرأس اكثرى * وغودر عند الملتقى ثم سايرى ﴿والوجه الثانى﴾ ان يكون انما سمى بذلك لخروج نفسه وكون الجسم بعدها وان كان بتمامه بمنزلة البقية التى قد ذهب اكثرها وفقد جوهرها والوجه الثالث ان يكون انما سمى بذلك لانه بقية ابقتها مضارب الشوق تشبيهاً بالبقية التى ابقتها مخالب الاسود وانما عظم عليه السلام الوعيد فى هذا الخبر زجراً لهم عن ان يأخذوا على تعليم القرآن اجراً او يتخذوه مكسبا ومطعماً ﴿ومن ذلك قوله عليه السلام اغبط الناس عندى مؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من صلوة﴾ وفى هذا القول استعارة لان الحاذ على الحقيقة اسم لما وقع عليه الذنب من مؤخر الفخذين هذا قول الاصمعى وقال غيره بل هو لحم باطن الفخذ وهما حاذ الفخذين وقد جاء فى كلامهم خفيف الحاذين وقد استعملوا ذلك فى الانسان ايضا قال الشاعر ستكفيك الحالة مستميت خفيف الحاذ من ابناء جرم وقال بعضهم بل هو طريقة المتن من الانسان والموضع الذى يسمى الحال من الفرس وهو موقع عليه اللبد من ظهره والقولان الاولان اعجب الى لانه عليه السلام اكنى بخفة

الحاذ هاهنا عن قلة المال او قلة العيال ومنه الحديث الاخر عن ابن مسعود ليأتين على الناس زمان يغبطون الرجل بخفة الحاذ كما يغبطونه بكثرة المال لان الخفيف الحاذ اذا كان على ما ذكر اولا فى الوجهين الاولين من قلة لحم باطنى الفخذين كان ذلك اسرع لخطوة واخف لعدوه لان الدنيا بمنزلة المضمار والناس فيها بمنزلة الخيل المجراة والغاية هى الآخرة فكلما كان الواحد منهم اخف نهضا وامتراقا كان اسرع بلوغاً ولحاقا منهم اخف نهضا وامتراقا كان اسرع بلوغا ولحاقا ويبين ذلك قول امير المؤمنين على عليه السلام فى كلام له تخففوا تلحقوا وقد ذكرنا ذلك فى كتابنا الموسوم بنهج البلاغة الذى اوردنا فيه مختار جميع كلامه صلى الله عليه وعلى الطاهرين من اولاده واما القول الثالث الذى ذكرناه عن بعضهم من قوله ان الحاذ هو المتن فقد يجوز ان يعتريه ايضا عن قلة العيال ونزارة المال كما يقولون فلان خفيف الظهر اذا ارادوا هذا المعنى ولان قلة اللحم على الجملة فى اى عضو كان من اعضاء الحيوان اعون على خفة نهوضه وسرعة تصرفه فى اموره ﴿ومن ذلك قوله عليه السلام وقد ذكر عنده شريح الحضرى ذاك رجل لا يتوسد القران﴾ وهذه من الاستعارات العجيبه والكنايات

الغريبة وهي تحتمل معنين احدهما مدح والآخر ذم فاما المدح فهو ان يكون المراد به انه لاينام عن قراءة القرآن بل يقطع ليله بالتهجد به والتصرف مع تلاوته فيكون القائم بدرسه كالمشتمل به والنائم كالمتوسد له كانه جعله وساد لخده وفراشاً لجنبه ومما يقوى هذا الوجه ماروى من قوله عليه السلم فى حديث آخر ياأهل القرأن لاتوسدوا القرأن واتلوه حق تلاوته واما المعنى الاخر الذى يحتمل الذم فهو ان يكون المراد انه غير حافظ للقران فليس بخازن من خزنته ولا وعاء من اوعيته فاذا نام لم يكن متوسدا له كما يتوسده من هو ظرف من ضروفه الحاويه له والمشتملة عليه ومثل ذلك ماروى عن ابى الدرداء انه قال لرجل سئاله عن طلب العلم لان تتوسد العلم خير من ان تتوسد الجهل اراد لان تنام ومعك العلم خير من ان تنام ومعك الجهل فجعل العلم كالفراش الممتهد والوساد المتوسد ﴿ومن ذلك قوله عليه السلم فى كلام للانصار انتم الشعار والناس الدثار﴾ وهذا مجاز لانه عليه السلام اراد انكم اقرب الناس منى واشدهم اشتمالاً على فانتم لى كالشعار وهو الثوب الذى يلى بدن الانسان والناس الدثار لانه ابعد منى وانتم بينهم وبينى ومثل ذلك قولهم فلان من

بطانة فلان كناية عن القرب منه والاختصاص به تشبيهاً ببطانة الثوب التي يلي الجسد وتكون اقرب الى البدن ﴿ومن ذلك قوله عليه السلام يكون قبل الدجال سنون خداعه﴾ وهذه استعارة لانه جاء فى التفسير ان المراد بذلك اتصال المحول وقلة الامطار فى تلك السنين يقال خدع المطر اذا قل والاصل فيه قولهم خدع الريق اذا جف قال سويد بن ابى كاهل ابيض اللون لذيذ طعمه * طيب الريق خدع وجفوف الريق وقلته من اسباب تغيره وفساده لانه كلما كثر ماع وكلما ماع طاب وقيل السنون الخداعة هى التى تخدع زكاة الزرع اى تنقصه من قولهم دينار خادع وهو الذى ينقص من وزنه او من ذهبه وقال عليه السلام سنون خداعه والمطر هو الخادع الاان خدع المطار لما كان فيها حسن اجراء الاسم عليها ولهذا نظائر كثيرة فى القرآن قد استقصينا ذكرها فى كتاب المجازات وقال بعضهم بل السنون الخداعة التى يكثر فيها المطر ويقل العشب وذلك ماخوذ من الخديعة فكان هذه السنين يطمع اهلها فى الخطب والامراع بكثرة امطارها ثم تخلف المخايل باتصال جدبها وامحالها والقول الاول اقرب الى الصواب واشبه بالمراد ﴿ومن ذلك قوله عليه السلام تحابوا بذكر

الله وروحه﴾ وهذا القول مجاز لانه صلى الله عليه واله
اراد بالروح هاهنا القرأن تشبيهاً له بالروح القائمة بالحيوان
المصححه لانتفاع الابدان وهذا من التشبيه الواقع والتمثيل
النافع لان انتفاع الناس بالقرآن فى رشاد السبيل ومصالح الدنيا
والدين كانتفاع الابدان بالارواح فى تصريف حركاتها وترتيب
اراداتها وتصحيح لذاتها وشهواتها وقد ذكرنا ذلك مشروحاً
فى مواضع من كتبنا فى علوم القرآن ﴿ومن ذلك قوله
عليه السلام قد اناخت بكم الشرف الجون﴾ يعنى الفتن
المتوقعة وهذا القول مجاز لانه عليه السلم شبه الفتن
بالنوق المسنات لجلالة خطبها واستفحال امرها وجعلها
جونا وهى السود ههنا لظلام منهجها والتباس مخرجها
والشرف جمع شارف وهى الناقة المسنه وهم يشبهون الحرب
بها قال الكميت الاسدى يصف حربا مبسورة شارقا مصرمة
محلوبها الصاب حين تحتلبه يقال بسرت الناقة وابتسرت اذا
حمل عليها الفحل ولم تضبع وقد يجوز ان يكون الفائدة فى
تشبيه الفتن بالمسنات من الابل لانها اكره مناظر واقل منافع
كما شبهوا الحرب بالمرأة العجوز فقال بعضهم فى ابيات شمطاء
عانسة عقيما بطنها مكروهة للشم والتقبيل وقال بعض
العلماء الشرف هاهنا الفتن التى يستشرف فيها الناس لعظمها

والصحيح التاويل الاول وقد روى هذا الحديث بلفظ اخر رواه بعضهم الشرق الجون بالقاف اى امور عظام تاى من قبل المشرق وكلما اتى من ناحية المشرق فهو شارق فشارق وشرق كشارف وشرف والقول الاول اصح فى النقل واشبه بطريقة القوم ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام فى يوم حنين لما راى مجتلد القوم الان حمى الوطيس ﴾ وهذه اللفظة الا غلب عليها انها من جملة الامثال من كلامه عليه السلام وقد شرطنا ان لا نذكر هاهنا ما تلك حاله الا ان لها بعض الدخول فى باب الاستعارة فلذلك راينا الايماء اليها والتنبيه عليها فقوله عليه السلام الان حمى الوطيس وهو يعنى حمس الحرب وعظم الخطب مجاز لان الوطيس فى كلامهم حفيرة تحتفر فيوقد فيها النار للاشتواء وتجمع على وطس فان احتفرت للاحتياز فهى ارة وتجمع على ارين ولا وطيس هناك على الحقيقة وانما المراد ماذكرنا من حر القراع وشدة المصاع والتفاف الابطال واختلاط الرجال ومن هناك قالت العرب اوقدت نار الحرب بين ال فلان وال فلان وقال الله سبحانه مخرجا للكلام على مطارح لسانهم ومعارف اوضاعهم كلما اوقدوا ناراً للحرب اطفأها الله لانه وتشبيه الحرب بالنار

يكون من وجهين احدهما لحر مواقع السيوف وكرب
ملابس الدروع وحمى المعترك لشدة العراك وكثرة الحركات
والوجه الاخر ان يكون انما شبهت بالنار لانها تأكل رجالها
وتفنى ابطالها كما تأكل النار شعلها وتحرق حطبها ﴿﴾ ومن
ذلك ماروى عنه عليه السلام انه قال والخبر مطعون في سنده
ترون ربكم يوم القيمة كما ترون القمر ليلة البدر لا
تضامون في رؤيته ﴿﴾ وفي رواية اخرى لا تضارون في
رؤيته بالتشديد فيهما وفتح التاء وعامة المحدثين يقولون
تضارون وتضامون بالتخفيف وضم التاء كانه من الضير
والضيم اى لا يختلفون في مطلعه ولا يتمارون في رؤيته
فيضير بعضكم بعضاً او يضيم بعضكم بعضاً في رفعه عن ذلك
او الاستئثار به عليه ولادراكه دونه فاما من روى تضارون
وتضامون بفتح التاء والتشديد فالضرار ههنا راجع الى
معنى الضير هناك لانه من المضارة وهي المفاعلة بين الاثنين
فكان الضرار وقع بينهما لاجل اختلافهما وتنازعهما ومن
قال لا تضامون بالتشديد فمعناه انكم ترون القمر روية
جلية لا تحتاجون معها الى ان ينضم بعضكم الى بعض طلباً لرؤيته
واستعانة على مشاهدته فهو مأخوذ من الانضمام وهو الاجتماع
للتقوى على نظر الشيء البعيد او الخفى الضئيل وهذا الخبر

كما قلنامطعون فی سنده ولوصح نقله وسلم اصله لكان مجازاً كثيره من المجازات التی تحتاج الی ان تحمل علی التاويلات الموافقه للعقل وبعدهذا فهذا الخبر من اخبارالآحاد فيما من شانه انيكون معلوماً فغير جائز قبوله لان كل واحد من المخبرين يجوز عليه الغلط فيما يخبر به ويصح كونه كاذبافی نقله ولايجوز ان يقطع فی ديننا علی الشیء من وجه يجوز الغلط فيه لانا لا نأمن بالاقدام علی اعتقاده من ان يكون جهلا ولا نأمن من ان يكون اخبارناعنه كذباً وانما نعمل باخبار الآحادفی فروع الدين وما يصح ان يتبع العمل به غالب الظن ومما علقته عن قاضی القضاةابی الحسن عبدالجبار ابن احمد عند بلوغی فی القراءة عليه الی الكلام فی الروايه الی من شرط قبول الخبر الواحد انيكون راويه عدلا وراوی هذا الخبر قيس ابن ابی حازم عن جرير بن عبدالله البجلی وكان منحرفاً عن امير المؤمنين علی عليه السلام ويقال انه كان من الخوارج وذلك يقدح فی عدالته ويوجب تهمته فی روايته وايضا فقد كان رمی فی عقله قبل موته وكان مع ذلك يكثر الرواية فلايعلم هل روی هذا الخبر فی الحال التی كان فيها سالم التميز اوفی الحال التی كان فيها فاسد المعقول وكل ذلك يمنع من قبول خبره ويوجب

اطراح روايته واقول اما ومن شرط قبول خبر الواحد ايضا مع ماذكره قاضي القضاة من اعتبار كون راويه عدلاً ان يعرى الخبر المروى من نكير السلف وقد نقل نكير جماعة من السلف على راوى هذا الخبر منهم العرباض ابن سارية السلمي وهو من مختصى الصحابه روى عنه انه قال من قال ان محمدا رأى ربه فقد كذب وروى ايضا عن بعض ازواج النبي عليه السلام انه قالت من زعم ان محمداً راى ربه فقد اعظم الفرية على الله وقالت ذلك عند ذهاب بعض الناس الى ان قوله تعالى ولقد رآه نزلة أخرى انما اريد بها رؤية الله سبحانه لا رؤية جبرئيل عليه السلام كما يقوله اهل العدل وايضا ففي هذا الخبر كاف التشبيه لانه قال ترونه كما ترون القمر الذى هو في جهة مخصوصة وعلى صفة معلومة واذا كان الامر كما قلنا لم يكن للخبر ظاهر واحتجنا الى تاوله كما احتجنا الى ذلك في غيره وقد يجوز ان نحمله على ما حملنا عليه الآية وهي قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة لانا نقول ان في الكلام اسقاط مضاف كانه تعالى قال الى ثواب ربها ناظرة فكذلك هذا الخبر قد يجوز ان يكون المراد به انكم ترون اشراط يوم المعاد وما وعد الله به واوعد من الثواب

والعقاب كما ترون القمر ليلة البدر يريد في البيان والظهور والاصحار للعيون ولو كان هذا الخبر صحيح الاصل واضح النقل لكان عندنا محمولا على العلم لان اطلاق لفظ الرؤية بمعنى العلم في الكلام مشهور والاستشهاد على ذلك كثير وهذا موضع المجاز الذي يختص ذكره بكتابنا هذا واما اعتراض المخالفين على هذا التاويل بان النبي عليه السلام اخرج هذا الكلام مخرج البشارة لاصحابه ولا يجوز ان يبشرهم بمعنى كان حاصلا لهم في الدنيا وهو العلم بالله سبحانه فهو اعتراض علیل واحتجاج مدخول وذلك لان العلم بالله سبحانه علم استدلال تعترضه الشكوك وتعتوره الشبه والظنون ويحتاج العالم في حل عقود تلك الشبه الى كلف ومشاق تعب الخواطر وتعنى الناظر فبشرهم عليه السلام بان ذلك يزول في الآخرة فيكون علمهم بالله سبحانه اضطراراً غير مشوب بكلفة ولا معقود بمشقة وهذا كقول القائل منا اذا اراد ان يخبر عن شدة تحققه للشيء انا اعلم هذا الامر كما ارى هذا الشمس وقوله من بعد لا يضامون في رؤيته او لا يضارون بالتخفيف والتشديد على الخلاف الذي قدمنا ذكره مقو للتاويل الذي تأولناه من معنى العلم الذي لا شبهة فيه ولا شك يعتريه والصحيح ان يكون الضمير في قوله

لا يضامون فى رؤيته راجعاً الى القمر لا الى الله سبحانه كانه قال تعلمون ربكم كما ترون القمر لا تضامون فى رؤيته اى فى رؤية القمر وقد يجوز ايضا ان يكون الضمير راجعاً الى الله سبحانه ويكون بمعنى العلم كانه قال تعلمون ربكم كما ترون القمر لا تضامون فى علمه اى فى علم ربكم ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم انزل القرآن على سبعة احرف لكل آية ظهر وبطن ﴾ وهذا القول مجاز لانه لا ظهر للآية ولا بطن على الحقيقة وانما المراد ان لها فحوى وظاهرا وسرا وباطنا فالظهر ههنا بمعنى الظاهر والبطن بمعنى الباطن وهذا القول ينصرف الى الآى المتشابهة دون الآيات المحكمة لان المتشابه هى التى لا ظهر لها والمحكمة هى التى لا بطن لها والمتشابهة هى التى يستعمل فيها النظر ويعمل فيها الفكر ويتفاضل العلماء فى استفتاح مبهمها واستنطاق معجمها ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم الخيل معقود بنواصيها الخير ﴾ وهذا القول مجاز لان الخير فى الحقيقة ليس يصح ان يعقد به نواصى الخيل وانما المراد ان الخير كثيراً مايدرك بها ويوصل اليه عليها فهى كالوسائل الى بلوغه والارشيه الى قليبه فكانه معقود بنواصيها لشدة ملازمته لها وكثرة انتهاز فرصه بها لانهم عليها يدركون الطوايل ويجبون

المغانم ويفوقون الاعداء ويبلغون العلياء ومما يقوى ذلك
ماروى من تمام هذا الخبر وهو قوله عليه السلام الخيل
معقود بنواصيها الخير الاجر والغنيمة الى يوم القيمة
وفى هذا الكلام حث على ارتباط الخيل لما فى ذلك من الغنم
العاجل والاجر العاجل فاما الغنم فما يدركه بها من الاسلاب
والانفال واما الاجر فعلى ما يدفع بها من اعداء الاسلام
واشياع الضلال وكلا الامرين خير تحوه الطلبات وتتعلق
به الرغبات ﴿ومن ذلك قوله عليه السلم لاتسئل المرأة
طلاق اختها لتكتفى مافى انائها﴾ وفى هذا الكلام استعارة لانه ع
اراد ان المرأة لاينبغى لها ان تطلب طلاق اختها لتتصل
بالزوج الذى كان لها طلبا لان تجرحظها اليها وتستبد
بالنفع عليها فتكون كأنها اكتفأت مافى انائها اى امالت
الاناء الى نفسها فقلبته لتستفرغ مافيه وتستئثر عليها به يقال
كفئت الاناء اذا كبيته واكتفأته اذا شربت مافيه اجمع
اواكلت مافيه اجمع ﴿ومن ذلك قوله عليه السلام تنكح
المرأة لميسمها﴾ وهذا القول مجاز لانه لاميسم هناك ولا
يبعدان يكون هذا الكلام داخلا فى خبر الحقيقة ويكون الميسم
مفعلا من الوسامه يقال وسمت المرأة وسامة وانها
ذات ميسم وجمال ولهذا القول مجاز لانه لاميسم هناك

هناك على الحقيقة وانما اراد عليه السلم انها تتكح لاثر الجمال الظاهر عليها وجعل الجمال ميسماً لها مبالغة فى وصفه بالعلوق بها والظهور على وجهها كما يشهر اثر الميسم الذى تكوى به الابل فلا تذهب الا بذهاب الجلد الذى اثر فيه وعلق به ويقولون فى امثالهم تبقى ببقاء الوسم اذا وصفوا الامر بالخلود والدوام والبقاء على الايام

﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم الاسلام يجب ما قبله ﴾

وهذا القول مجاز لان اصل الجب هو احتزال السنام من اصله فكانه عليه السلام جعل مستأصلا لكل ذنب تقدم الانسان قبله حتى لايدع له جناية يحذر عاقبتها ولامعرة بسوء الحديث عنها بل تعفى على ما تقدم من السوآت وتحثوا على ما ظهر من العوزات ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم فى وصيته لامراء الجيش الذى بعثه الى موته وستجدون اخرين للشيطان فى رؤسهم مفاحص فاقاموها بالسيوف ﴾ وهذه من الاستعارات العجيبة والمجازات اللطيفة وذلك ان من كلام العرب ان يقول القايل منهم اذا اراد ان يصف انساناً بشدة الارتكاس فى غيه والارتكاض فى عنان بغيه قد فرخ الشيطان فى رأسه او قد عشش الشيطان فى قلبه فذهب عليه السلم الى ذلك الوضع وبنى

على ذلك الاصل فقال للشيطان فى رؤسهم مفاحص والمفحص
فى الاصل الموضع الذى تجثه القطاة لتجثم عليه اولتبيض
فيه وانما قيل له مفحص لانها لا تجثم فيه الا بعد ان
تفحص التراب عنه توطئة لجثمها وتمهيداً لجسمها ويقال
ما بقى لفلان مفحص قطاة اذا لم يبق له ربع يؤويه ولا جرى
يكون فيه فيحتمل قوله عليه السلم للشيطان فى رؤسهم مفاحص
احد معنيين احدهما ان يكون اراد ان الشيطان قد بدا يختدعهم
ويغرهم ويستهوونهم ويصلهم ولم يبلغ بعد من ذلك غايته
ولا استوعب خديعته كالقطاة التى بدأت باتخاذ المفحص
لتبيض به وترتب فراخها فيه والمعنى الآخران يكون اراد
ان الشيطان قد استوطن رؤسهم فجعلها له مقيلا ومبركا
وملعبا ومتمكا كما تتخذ القطاة مفحصاً لتاوى اليه وتستجن
فيه ومن ذلك قوله عليه السلم اجد نفس ربكم من قبل
اليمن وهذا القول مجاز لانه عليه السلم اراد ان غوث الله
ونصره يأتيان من قبل اليمن يعنى القبيلة لا البلدة والقبيلة
هم الانصار الذين نفس الله بهم خناق الدين وكشف
بايديهم كرب المؤمنين ومن كلامهم انت فى نفس من امرك
اى فى متسع طويل ومضطرب عريض ويقول القائل اللهم
نفس عنى اى فرج كربى واكشف همى ومما يقوى هذا

التأويل الحديثان المرويان عنه عليه السلم فى مثل هذا المعنى واحدهما قوله عليه السلم لاتسبوا الريح فانها من نفس الرحمن يريد انه تعالى يفرج بها الكروب ويطرد بها الجدوب والحديث الآخر قوله عليه السلم الريح من روح الله فقوله عليه السلم من روح الله كقوله من نفس الرحمن والمعنيان متقاربان ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم الحمى رائد الموت وهى سجن الله فى الارض يحبس بها عبده اذا شاء ويرسله اذا شاء ﴾ وفى هذا الكلام استعارتان عجيبتان احدهما قوله عليه السلم الحمى رائد الموت تشبيهاً لها برايد الحى الذى يتقدمهم فيرتاد لهم مساقط السحاب ومنابت الاعشاب فيكون ارتحالهم على خبره واستنامتهم الى نظره ومنه الحديث الرايد لايكذب اهله فكأنه عليه السلم جعل الحمى مقدمة للموت وطليعة للحتف والاستعارة الاخرى قوله عليه السلم وهى سجن الله فى الارض يحبس بها عبده اذا شاء ويرسله اذا شاء فكأنه عليه السلم شبهها بالسجن من حيث منعت صاحبها من التصرف والاضطراب وغفلته عن قضاء الآداب فكان اسيرها حتى تطلقه ورقيقها حتى تعتقه ومثل ذلك الحديث الآخر وهو قوله عليه السلام الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر لانه عليه السلم

شبه الدنيا بالسجن للمؤمن من حيث قصر فيها خطوه عن اللذات وكبح لجامه عن الشهوات وحصر نفسه عن التسرع الى ماتدعو اليه الدواعي المخزية والاهواء المردية وكان زمام نفسه وخطامها وهاويها وامامها خايفا خوف الجانى المرعوب والطريد المطلوب فى عصبة عملوا للمعاد وفطنوا للزاد تحسبهم من طول سجودهم امواتاً ومن طول قيامهم نباتا ومن احسن ماسمعته فى هذا المعنى ان بعض الزهاد المقطعين طاب القوت من بعض الراغبين المتونين فقيل له فى ذلك فقال انا مسجون وهو مطلق وهل يأكل المسجون الا من يد المطلق وشبهها عليه السلم بالجنة للكافر من حيث استوعب فيها شهواته واستفرغ لذاته وقضى فيها الاوطار وتعجل المسار واستهواه عاجل حطامها وريق جامها فنسى العاقبة واستهان بالمغبة فكان ميت الاحياء كما كان المؤمن حى الاموات ولى فى بعض كتبى فصل هو لايق بهذا الموضع وذلك قولى فالحمدلله الذى جعل اهل طاعته احياء فى مماتهم كما جعل اهل معصيته امواتاً فى حيوتهم ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم كيف انتم اذا مرج الدين ﴿ فى حديث طويل وفى هذا القول مجاز لان اصل قولهم مرج الشيء مأخوذ من القلق والاضطراب والمجيء والذهاب يقال مرج الخاتم فى الاصبع اذ اقلق وتحرك فكأنه عليه السلم وصف دين

الناس على ذلك العهد بالتكفى والمرجان واضطراب الاركان
والمراد بذلك اضطراب اهل الدين فيه وقلة ثباتهم عليه قال الشاعر
مريج الدين فاعددت له * مشرق الحادك محبوك الكبد
ومثل هذا الحديث الحديث الاخر وهو قوله عليه السلام
لعبدالله بن عمر وكيف انت اذا بقيت فى حثالة من الناس
قد مرجت عهودهم واماناتهم اى لايستقرون على عهد
ولايقيمون على عقد يصفهم عليه السلم بقلة الثبات وكثرة
الانتقالات والمراد اصحاب الامانات والعهود وان كان
ظاهر اللفظ يتناولها وصريح الكلام يتعلق بها وذلك
ايضا من جملة المجازات المقصود بيانها فى هذا الكتاب
والحثالة الردى من كل شئ واصله مايتهافت من قشاوة
التمر والشعير يقال حثالة وحفالة وحسالة فشبه
عليه السلم بذلك الرذال الباقين من الخيار الذاهبين وهذا
ايضاً داخل فى باب المجاز ﴿﴾ ومن ذلك قوله عليه السلام
وقد خرج ذات يوم محتضنا احدا بنيه الحسن اوالحسين
عليهما السلام لتجبنون وتبخلون وتجهلون وانكم لمن
ريحان الله وان آخر وطأة وطئها الله بوج فى كلام
طويل ﴿﴾ وفى هذا الكلام مجازان احدهما قوله عليه السلم
وانكم ريحان الله وللريحان هاهنا وجهان احدهما يكون

الكلام به استعارة والاخر يكون به حقيقة فاما الوجه الذى يكون به حقيقة فهو ان يكون الريحان بمعنى الرزق وقد قيل انه الرزق الذى يؤكل خصوصا ومن كلامهم خرجنا نطلب ريحان الله اى رزق الله والولد من رزق الله سبحانه فصار الكلام حقيقة واما الوجه الذى يكون به استعارة فهو ان يكون الريحان ههنا يريد به النبت المخصوص الذى يستطاب للشميم فجعل الولد بمنزلته لانه يستلذ شم ريحه ويستروح الى استنشاق عرفه وعادة الناس معروفة فى شم الولد وضمه واصل الريحان ماخوذ من الشئ الذى يستروح اليه ويتنفس من الكرب به وعلى ذلك قول الشاعر سلام الاله وريحانه * ورحمته وسماء درر واصله من الواو كانه ماخوذ من الروح والمجاز الاخر قوله عليه السلم وان آخر وطاءة وطئها الله بوج واصح ماقاله العلماء فى تأويل هذا الخبر ان فيه مضافا محذوفا تقديره ان يكون وان آخر وطأة وطئها جند الله اورسول الله بوج ووج جبل بالطائف وهذا كما يقوله فى قوله تعالى والذين يؤذون الله ورسوله اى يؤذون اولياء الله واصفياء الله لان حقيقة الاذى لايصح على الله سبحانه والمراد بذكر الوطأة بوج ان آخر ايقاع الله سبحانه المشركين على ايدى المؤمنين

بوج ولذلك قال سفين بن عيينه آخر غزاة غزاها رسول الله صلى الله عليه واله الطايف يريد انه لم يغز بعدها غزاة فيها قتال لان مخرجه عليه السلم الى تبوك من بعد لم يلق فيه كيداً ولم يقابل احداً والعرب تكنى عن الوقيعة اوالحال الشديدة بالوطأة يقولون وطيئ ال فلان ال فلان فى يوم كذا وفى مكان كذا وطأ شديداً ومنه ماحكى عن ابى سفين بن حرب انه خرج يوماً بعد وفات النبى ص عليه السلم الى ظاهر المدينة فلمانظر الى احد قال لقد وطئنا محمد واصحابه هاهنا وطأ شديداً ومن ذلك قول النبى عليه السلم اللهم اشدد وطأتك على مضر اى اصبهم بالشدايد واقرعهم بالقوارع ومنه قول الشاعر

ووطئتنا وطأ على حنق   وطأ المقيد نابت الهرم

وانما قال المقيد لان وطئه اشد واعتماده أثقل وقال الاخر وطئنا تميما وطأة المتشاغل وقوله عليه السلم فى اول الحديث انكم لتجبنون وتبخلون وتجهلون يريد به انكم عليه لتجبن الناس اياكم وتبخيلهم وتجهيلهم فاضاف هذه الاحوال الى الابناء اذ كانوا شبها للاباء وهذا ايضا مجاز ثالث فى الخبر الذى كلامنا عليه(ومن ذلك قوله عليه السلم لو يعلمون مايكون فى هذه الامة من الجوع الاغبر ومن الموت

الاحمر وهاتان الاستعارتان من احسن الاستعارات لان الجوع ابدا انما كان يلحق العرب فى اللاواء والازمان والسنين المجدبات وتلك السنون تسمى غبر الاغبرار افاقها من قلة الامطار واراضيها من عدم النبات والاعشاب ويقولون هذه حجج غبر اذا كانت كذلك الاترى الى قول الشاعر

اضر بباري الريح فى كل شتوة ... اذا اغبر اقدام الرجال من المحل

وقيل عام الرمادة لهذا المعنى على احد القولين والقول الاخر انه انما سمى بذلك لهلاك الناس فيه مأخوذ من الرمد وهو الهلاك قال الشاعر

صببت عليهم حاصبى فتركتهم ... كاضرام عاد حين جللها الرمد

اى الهلاك والاستعارة الاخرى قوله عليه السلم والموت الاحمر وهذه طريقة للعرب فى وصف اليوم العماس واشتداد البأس بالحمرة فكما يقولون يوم احمر كذلك يقولون موت احمر قال الشاعر فى صفة الاسد

اذا علقت اظفاره فى فريسة ... رأى الموت فى عينيه احمر اسودا

وقد يجوز ان يكونوا انما وصفوا يوم الحرب بالحمرة لاحمرار ارضه وسلاحه باسابى النجيع والعلق الصبيب لكثرة الجراح التى يحمر من نضحها معارف الابدان وسرابيل

الاقران واذا ساغ هذا فى صفة اليوم ساغ مثله فى صفة الموت
ومن ذلك قوله عليه السلام لارواجه اسرعكن لحاقا
بى اطولكن يدا والحديث انهن لما سمعن منه صلى الله
عليه على واله هذا القول جعلن يتذار عن ينظرن ايهن
اطول يدا الى ان توفيت زينب بنت جحش بن رباب الاسدى
اول من توفى منهن وكانت كثيرة المعروف فعلمن حينئذ
انه عليه السلم انما اراد بطول اليد كثرة البر وبذل الوفر
وكنايته عليه السلم عن هذا المعنى بطول اليد مجاز واتساع
لان الاغلب ان يكون مايعطيه الانسان غيره من الرفد والبر
ان يعطيه ذلك بيده فسمى النيل باسم اليد اذ كان فى الاكثر
انما يكون مدفوعا بها ومجتازا عليها وقد اشرنا الى هذا المعنى
فيما تقدم ومثل ذلك قول امير المؤمنين على عليه السلام من
يعط باليد القصيره يعط باليد الطويله ومعنى هذا القول ان
من يبدل خير الدنيا يجزه الله خير الاخره وكنى عليه السلم
مايبذل من نفع الدنيا باليد القصيره لقلته فى جنب نفع الاخرة
لان ذلك زايل ماض وهذا مقيم باق وقد ذكرنا ذلك فى
كتابنا الموسوم بنهج البلاغة وقد جمعوا اليد التى هى الجارحه
على ايد واياد وهو شاذ فيها كما جمعوا اليد التى هى العطية
على اياد وايد وهو شاذ فيها وقد جاء ايضا فى جمعها يدى انشدنا

شيخنا ابو الفتح عثمان بن جنى وابو الحسن على ابن عيسى
الربعى واظنه من ابيات الكتاب

وان اذكر النعمن الا بصالح § فان له عندى اياد وانعما

﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم مات حتف انفه ﴾

وذلك مجاز لانه جعل الحتف لانفه خاصا وهو فى الحقيقة له عاما لأن الميت على فراشه من غير ان يعجله القتل انما يتنفس شيئا فشيئا حتى ينقضى ذماؤه ويفنى حوباؤه فخص عليه السلم الأنف بذلك لانه جهة لخروج النفس وحلول الموت ولا يكاد يقال ذلك فى ساير الميتات حتى تكون الميتة ذات مهله ويكون النفس غير معجله فلا يستعمل ذلك فى الميتة بالغرق والهدم وجميع فجأة الموت وانما يستعمل فى العلة المطاوله والميتة المماطله وروى عن امير المؤمنين على عليه السلام انه قال ماسمعت كلمة عربية من العرب الا وقد سمعتها من رسول الله صلى الله عليه واله وسمعته يقول مات حتف انفه وما سمعتها من عربى قبله

﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم اياكم وخضراء الدمن ﴾ ولهذا القول اعلق بباب المجاز وللعلماء فى تأويله قولان احدهما انه عليه السلم نهى عن نكاح المرأة على ظاهر الحسن وهى فى المنبت السوء اوفى البيت السوء فوجه المجاز من هذا القول انه عليه

السلام شبه المرأة الحسناء بالروضة الخضرة لجمال ظاهرها وشبه منبتها السوء بالدمنة لقباحة باطنها والدمنة هى الابعار المجتمعة تركبها السوافى ويعلوها الهابى فاذا اصابها المطر انبتت نباتاً خضراً يروق منظره ويسوء مخبره فنهى عليه السلام عن نكاح المرأة اذا كانت مغموضة فى نفسها اومطعونا عليها فى نسبها لأن اعراق السوء ينزع الى ولدها ويضرب فى نسلها قال الشاعر

وادركته حالاته فاخترلنه § الاان عرق السوء لابدمدرك

والقول الاخر ان يكون عليه السلم انما نهى فى الحقيقه عن تعارض المذاق وتغاير الاخلاق وان يتلقى الرجل اخاه بالظاهر الجميل وينطوى على الباطن الذميم اويخدعه بحلاوة اللسان ومن خلفها مرارة الجنان والى هذا المعنى ذهب الشاعر فى قوله

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى

وتبقى حزازات النفوس كما هيا

كانه اراد انا وان لقيناكم بظاهر الطلاقة والبشر فانا نضمر لكم على باطن الغش والغمر ومثل هذا قول الاخر

وفينا وان قيل اصطلحنا تضاغن كما طر أوبار الجراب على النشر

وقال اهل العربية النشر ان ينبت وبر البعير وتحته

داء العر وهو الجرب فيرى كان ظاهره سليم وباطنه سقيم (ومن ذلك قوله عليه السلم الانصار كرشى وعيبتى) وفى هذا القول مجازان احدها قوله عليه السلم كرشى ويحتمل ذلك معنيين احدهما ان يكون اراد عليه السلم انهم مادتى التى اقوى بها وافزع اليها كما تفزع ذوات الاجترار الى اكراشها فى انتزاع الجرة منها والاعتماد عند فقد المرعى عليها فاراد عليه السلم ان الانصار رحمة الله عليهم يمدونه بانفسهم ويكون معوله فى السراء والضراء عليهم والمعنى الاخر ان يكون المراد ان الانصار اهلى وعيالى وحامتى وجماعتى والكرش اسم للجماعة قال الشاعر

وسبينا بنات قيصر قسرا واستبحنا كراكرا او كروشا

اى جماعات وقال ابو زيد الكرش اسم من اسماء الاصل كالشنج والجذم وما فى معناها ويقول القائل لفلان كرش منثورة اذا اراد انه ذو كثرة من العيال وعدد من الاولاد ومعنى منثوره انهم متفرقون منشعبون لان الكرش مجتمعه وهؤلاء مع شبههم بها كالشعب المتفرقة وانما شبه العيال والاولاد بالكرش لانها فى الانعام مستقر لاغلافها ومغيض لما يصل الى اجوافها وكذلك عيال الرجل وولده اليهم تنصرف مكاسبه وعليهم تنفق خزائنه والمجاز

الآخر وقوله عليه السلم وعيبتى وأراد انهم موضع ثقتى ومستودع نفثتى ومكان سرى وملجأ ظهرى كالعيبة التى يودعها الانسان نفايس ذخره وكرايم وفره ويكون ما استودعها قوة لظهره وعدة لدهره وقد ذكر الواقدى فى كتاب المغازى هذا الكلام فى جملة خطبة النبى التى خطب بها قبل وفاته بزيادة فى الفاظه فقال قال صلى الله عليه وآله الا ان الانصار عيبتى التى أوى اليها ونعلى التى اطأ بها وكرشى التى آكل فيها وههنا زيادة مجاز لم تكن هناك وهو قوله عليه السلم ونعلى التى اطأ بها ولهذا القول وجهان احدهما ان يكون شبههم بالنعل التى يقى القدم نكت الظراب ووخز الشباك وما فى معنى ذلك فأراد انهم تقوية حد الاعداء واشتدادا للاواء والوجه الآخر ان يكون اراد انهم جنوده التى يطأ بها البلاد ويغلب الاضداد وتقول العرب داس آل فلان آل فلان ووطى بنو فلان بنى فلان اذا كانو الغالبين لهم والعالين عليهم ومن ذلك ماحكى عن ابى سفيان بن حرب انه قال وقد مر بأحد لقد دسنا ههنا محمداً واصحابه دوسة منكرة ويروى وطئنا ❊ ومن ذلك قوله عليه السلم لحكيم بن حزام ابن خويلد بعد اسلامه وقد الحف فى سؤاله صلى الله عليه وآله لما

قسم غنايم هوازن ياحكيم ان هذا المال خضرة حلوة فمن اخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ومن اخذه باشراف نفس لم يبارك له فيه فى كلام اكثر من هذا ﴿ فقوله عليه السلم ان هذا المال خضرة حلوة مجاز لانه شبه حلاوة المال فى القلوب كحلاوة الثمرة الطيبة فى الافواه فكما ان هذه الثمرة الحلوة تشرف النفس اليها ويكثر التتبع لها فكذلك الاموال الدثرة تلهج النفس بها ويكثر النزوع اليها وفى قوله عليه السلم خضرة حلوة سر لطيف وهو انه شبه المال بالثمرة التى حسن منظرها وطاب مخبرها وليس كل ثمرة مأكوله كذلك صفتها لان فى النابتات والثمرات مايحسن ظاهره ويقبح باطنه ومنها مايقبح ظواهره ويحسن مخابره فجعل عليه السلم المال من قسم النابتات التى تروق فى العيون وتحلو فى الافواه والقلوب والمال على الحقيقة بهذه الصفة لان العيون تعلقه والقلوب تمقه ومما يشبه ذلك قوله عليه السلم من خضر له من شئ لزمه والمراد من اعتاد الانتفاع بشيء علق به وتوكل عليه فكأنه شبه تلويح الامر بنفعه وابدائه بالخير المرجو من جهته بالخضرة الطالعة اذا أذنت بالثمرة اليانعه ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم الصدقة عن ظهر غنى ﴿ وهذا القول مجاز لان المراد بذلك ان

المتصدق انما يجب عليه الصدقة اذا كانت له قوة من غنى والظهر ههنا عبارة عن القوة فكان المال للغنى بمنزلة الظهر الذى عليه اعتماده واليه سناده ومن ذلك قولهم فلان ظهر لفلان اذا كان يتقوى به ويلجأ فى الحوادث اليه وقد جاء فى السير ان المسلمين كانوا عند حفر الخندق بالمدينة يرتجزون بجعيل ابن سراقه الضمرى ويقولون

سماه من بعد جعيل عمراً * وكان للبائس يوماً ظهراً

وكان النبى عليه السلم يقول معهم عمراً وظهرا ولا يقول باقى الشعر وكان جعيل بن سراقه يعمل معهم ويقول مثل قولهم ويضحك اليهم فعلموا انه لا يسوءه ارتجازهم به وكان النبى عليه السلم قد سماه عمراً واسمه الاظهر جعيل ويقال جعال وكان رجلا صالحاً من قدماء المهاجرين ومن البدريين والذين شهدوا المشاهد كلها مع النبى صلى الله عليه وآله وكان له مع ذلك اختصاص بخدمته وملازمة لمعزله وكان من فقراء الصحابه لما قسم النبى صلى الله عليه وآله غنايم حنين لم يعط الانصار منها شيئا ولا كثيرا من المهاجرين وفرقها فى قريش والمؤلفة قلوبهم ليثبتوا على الاسلام ويؤمن منهم الفساد وكان جعيل ابن سراقه ممن حرم العطية فكلم سعد بن ابى وقاص النبى عليه السلم فى شانه وقال

يارسول الله يحرم جميلا مما يعلمه من خلته ومع ماله من حرمته ويعطى عيينه بن حصن والاقرع بن حابس وفلانا وفلانا فقال عليه السلم أما والذى نفسى بيده لجعيل بن سراقه خير من طلاع الارض مثل عيينه والاقرع ولكنى تالفتهما ليسلما ووكلت جعيل بن سراقه الى اسلامه ومما فى هذا المعنى ايضا قول القائل اعطيت فلانا كذا عن ظهر يدى عن امتناع وقوة ولم اعطه عن خيفه وذلة وهذا المعنى ضد قوله سبحانه حتى يعطو الجزية عن يد وهم صاغرون فكان خلع لفظ الظهر من الكلام غير المعنى والمراد بذلك ههنا على الاظهر من التأويلات التى ذكرناها فى كتاب مجازات القرآن ان يكون حتى يعطوا الجزية عن قهر وذلة وخيفة ورقية فهو نقيض قول القائل اعطيته عن ظهر يدى عن اختيار ومشية واستظهار قوة ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم اللهم انى احمدك على العرق الساكن والليل النائم ﴾ ووصف الليل بالنوم مجاز لأن النوم انما يكون فيه لامنه ولكنه لما كان مطية للنوم وظرفا له حسن أن يوصف به ويضاف اليه وعلى هذا قول جرير

لقد لمتنا فى ام غيلان فى السرى ونمت وما ليل المطى بنائم

﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام من اكل من هاتين البقلتين فلا يقربن مسجدنا يعنى الثوم والكراث فمن كان اكلهما لابد فليمتهما طبخا ﴾ وهذا القول مجاز لان الاماتة على الحقيقة لاتلحق الا ذا حياة وانما المراد فليستخرج مافيهما من القوه التى عنها يكون شدة الرايحة المكروهة بالطبخ تشبيهاً بالميت الذى لايبلغ الى مفارقة الحياة الابعد بلوغ قوته منقطعها وتفريق الموت مجتمعها وفى روايه اخرى فليمتهما طبخا بالنار اى فليطبخهما حتى تتفتتا فتماثا ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم المؤمن مرأة أخيه ﴾ وفى روايه اخرى مرأة أخيه المؤمن يرى فيه حسنه وقبيحه وهذا القول مجاز واستعارة والمراد ان المؤمن الناصح لاخيه المؤمن ينصره مواقع رشده ويطلعه على خفايا عيبه فيكون كالمرأة له ينظر فيها محاسنه فيستحسنها ويزداد منها ويرى مساويه فيستقبحها وينصرف عنها ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع ﴾ وهذالقول مجاز لان اليمين الفاجرة على الحقيقه لاتخرب الديار ولاتمحى الآثار وانما المراد ان الله سبحانه اذا اقدم الحالف على اليمين الفاجرة استهانة بها واستغراراً بالعقوبة المرصدة عليها قطع تعالى

دابرة واخرب منازله ورداه رداء خزيه وقنعه قناع بغيه ﴾ ومن ذلك قوله عليه السلام فى حديث يختص بصلاة الجمعة يصلى فى حلاقيم البلاد ﴾ وهذا الكلام مجاز وحلاقيم البلاد عبارة عن نواحيها واطرافها والمداخل اليها فكانه عليه السلم شبه تلك الاطراف المفضيه الى الاوساط بالحلاقيم التى هى الطرق الى الاحشاء والاجواف بسم الله الرحمن الرحيم (ومن ذلك قوله عليه السلم انى ممسك بحجزكم هلموا عن النار وتغلبونى تقاحمون فيها تقاحم الفراش والجنادب واوشك ان ارسل حجزكم) وفى هذا الكلام مجاز وتوسع ذلك .ن المراد به ان عليه السلام يبالغ فى زجر امته عن التقحم فى المعاصى والارتكاس فى المضال والمغاوى بشكائم المنع وخزائم الردع فشبه ذلك عليه السلم بامساك الرجل بحجزة صاحبه اذا كاده ان يسقط فى مهواة اويرتكس فى مغواة فليتماسك بامساكه وينجو بعداشقاقه فلما شبه احدى الحالتين بالاخرى اجرعليها الاسم على سبيل المجاز وطريق الاتساع وحسن ان يقول عليه السلم انى آخذ بحجزكم عن النار ومراده عن الاعمال المؤديه الى دخول النار لان السبب للشئ جار مجرى نفس الشئ ومما يبين ان المراد ذلك انهم

لم يكونوا فى حال سماعهم لهذا الخطاب متهافتين فى النار وانما كانوا فى الاعمال يستحقون بها عذاب النار ومما يشبه هذا الخبر ماروى من قوله عليه السلم يخرج من النار قوم بعدما امتحشوا وصاروا حمما وفحما فمعنى هذا الكلام عندنا انه يخرج من استحقاق النار بالتوبه قوم هذه صفتهم وهذا على طريق المجاز أى انهم باعمالهم المؤدية الى دخول النار كمن احرق بضرمها وصار من حممها ومعنى امتحشوا احزقو والمرجيه يحملون هذا الخبر على ظاهره ولا يفزعون الى تأوله ومعنى هلموا عن النار اى ارجعو الى طاعة الله سبحانه التى هى الامان من العذاب وجانبو معاصيه التى هى الطريق الى العقاب ومعنى تغلبونى تقاحمون فيها أى انى مع كثرة الزجر لكم والاعذار اليكم تتفاتون وتنازعون الى المقبحات كما يتهافت الفراش فى الشهاب والذباب فى الشراب ومعنى واوشك ان ارسل حجزكم اى اوشك ان يطرقنى طارق الموت فتفقدون نهيي لكم عن المعاصى واخذى بكم عن طرق المغاوى فجعل ذلك عليه السلم بمنزلة ارسال حجزهم والقا ازمتهم وهذا مجاز ثان ❊ ومن ذلك قوله عليه السلم لمحلم بن جثامه الليثى فى قيلة عامر بن الاصبط الاشجعى وهو مسلم اقتلته فى غرة

الاسلام ﴾ وهذه استعارة واراد عليه السلم بغرة الاسلام اوله تشبيهاً بغرة الفرس التى هى اول مايستقبلها منه المستقبل ويراها المتأمل ولها ايضا يشتهر شينه وتبين صورته ويقولون هذا غرة الشهر أى اوله لانه اول عدد ومبدأ مدخله ويقولون فلان غرة قومه اذا كان المنظور اليه منهم والمعول عليه من بينهم ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم فى مثل ضربه لقريش يطول الكتاب بذكره ويقطع الناس فى اثارهم حتى بقيت عجز من الناس عظيمة ﴾ وهذه استعاره لان المراد بالعجز ههنا ماء خير الناس وعقابياهم تشبيها بعجز الناقة اوغيرها من الدواب لان اول مايتحرك للسير هاديها وعنقها ثم يتبعه ردفها وعجزها فسمى القوم الذين يتأخرون فى السير اعجازا كما سمى المتقدمون اعناقا يقال قد طلعت اعناق القوم اى اوائلهم ومتقدموهم وجاءت اعجازهم اى اواخرهم ومتبطوهم وعلى هذا سموا مقدمى القوم فى الوجاهة والمنزلة اعناقا ورؤساء وقد اشرنا الى ذلك فيما تقدم وقد يجوز ان يكون الحديث المروى يجيء المؤذنون اطول الناس اعناقا يوم القيمة من هذا ايضا يريد انهم يوافون يوم القيامة اوجه الناس وجوها ورؤساء فيكون قولنا اطول ههنا من الطول لانه الطول ولا بد ان يكون المراد بالناس ههنا

الخصوص دون العموم كانهم يكونون فى القيمة اوجه من الناس الذينهم كالنظراء لهم فى الطبعة معهم لانهم لا يجوز ان يكونوا يومئذ اعظم وجاهة من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ✿ ومن ذلك قوله عليه السلام لعثمان بن مظعون رحمه الله لما اراد الاختصاء والسياحة خصاء امتى الصيام ✿ وهذا القول مجاز لانه عليه السلم اراد ان الصيام يميت الشهوات ويشغل عن اللذات كما ان الخصاء فى الاكثر يكسر النزوة ويقطع الشهوة ومما يؤكد ذلك الخبر الاخر المروى عنه عليه السلم قال من استطاع منكم الباه فليتزوج ومن لم يستطعه فليصم فان الصوم وجاء والوجاء الخصاء وسمعت شيخنا ابا بكر محمد بن موسى الخوارزمى عفى الله عنه يقول فى اثناء قراءتى عليه وقد اعترض ذكر الخلاف فى وجوب النكاح يمكن الاستدلال بهذا الخبر على ان النكاح غير واجب خلافاً لداود فانه يقول انه واجب على الرجل مرة فى عمره قال وموضع الاستدلال منه انه عليه السلم نقل النكاح الى الصوم وجعل الصوم بدلا منه والابدال حكمها حكم المبدلات فلو كان الاصل واجبا كالتيمم والماء وابدال الكفارات فلما كان الصوم الذى هو بدل من النكاح غير واجب دل على ان المبدل ايضاً وهو النكاح غير واجب ✿ ومن ذلك قوله

عليه السلم لامير المؤمنين على ابن ابى طالب عليه السلم ان لك بيتاً وانك لذو قرنيها ﷺ وهذه استعارة لان المراد انك ذو قرني الامة فكانه عليه السلم قال وانك رأس هذه الامة لان الرأس هو ذو القرنين لان القرنين انما يكونان فيه ويظهر ان عليه وهذا الخبر على هذا التأويل من الاخبار الدالة على ان امير المؤمنين عليه السلم افضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله اذ كان رأس امته ورئيس اسرته ومثل قوله عليه السلم لذو قرنيها فى ان المراد به الامة وان لم يجر لها ذكر قوله تعالى حتى توارت بالحجاب وقوله سبحانه ولو دخلت عليهم من اقطارها فى ان المراد الشمس والمدينة وان لم يجر لهما ذكر وقد قال بعضهم المراد بهذا الخبر انك فى هذه الامة كذى القرنين فى امته وعلى هذا التأويل ايضاً لابد من تسليم الرياسة له على كافتهم لان ذى القرنين كان مستتبعاً ذمة الملوك كلهم والعالى بالقدرة والبسط على جماعتهم هذا ان كان ذو القرنين هو الاسكندر الرومى على مايقوله بعضهم وان كان اسم نبى من الانبياء على مايقوله الاخرون فوضع الاحتجاج بالفضل ايضا موجود لان ذلك النبي فى دهره كان افضل امته وخيار اهل دعوته وقد روى عن امير المؤمنين

عليه السلم انه قال وقد ذكر ذو القرنين فقال دعا قومه الى عبادة الله فضربوه على قرنيه ضربتين وان فيكم لمثله فترى انه عليه السلام اراد بهذا القول نفسه اى انا ادعو الى اتباع الحق وسأضرب على راسى ضربتين تكون فيهما منيتى فاكون كذى القرنين وقد يجوز ان يكون النبى عليه السلام اراد بقوله وانك لذو قرنيها هذا المعنى والله اعلم وقال بعضهم انه عليه السلام لما ذكر فى اول الكلام الجنة قال وانك لذو قرنيها يريد قرنى الجنة اى طرفيها فكانه وصفه ببلوغ غايات المثابين فيها وفى هذا القول بعد وحكى عن ثعلب انه سئل عن هذا الحديث فقال اراد عليه السلام انك لذو جبليها يعنى آلحسن وآلحسين عليهما السلام قال ويجوز ان يكون قوله ذو قرنيها يريد به طرفى الامة اى انت فى اولها والمهدى من ولدك فى آخرها قال ويجوز ان يكون ذلك من قوله عصرت الفرس قرناً اوقرنين اى استخرجت عرقه بالجرى مرة اومرتين فكانه عليه السلم ذو اقتباس العلم الظاهر واستخراج العلم الباطن والاعتماد على ماقدمنا ذكره من التأويل الاول وهو من استنباطى

ومن ذلك قوله عليه السلم اخاف عليكم اذا صبت الدنيا

عليكم صباً ﴾ وهــذه استعارة لانه عليه السلم اراد اذا
غمرتكم الدنيا بمنافعها وعمتكم بفوائدها وعوائدها فشبه
كثرة ذلك بالوبل الغزير المنصب على الانسان فى انه يبله
بدفعاته ويغمره من جميع جهاته ومثل ذلك قولهم انغمس
فلان فى الدنيا انغماساً اذا كثر التباسه لها وعظم اخذه منها
تشبهاً لها بغمرة المـاء اذا خاضها الخائض او غمس فيهـا
الغامس ﴾ ومن ذلك قوله عليه السلام ﴿ كـل
عين زانية وهــذه استعارة لانه عليه السلم لم يرد حقيقة
الزناء المذموم وانما اراد ان كـل عـين لابد ان تكون
لهـا طمحة الى حسن او طرحة الى ارب وان كـان
ذو التقوى يكـبح نفســه بالشـكيم ويعرك شـهوته
عرك الاديم ولايكون نظره الى فلتة ولا تتبع النظرة النظره
كما قال عليه السلم وقد قال الشاعر
نظرت اليها بالمحصب من منى *. ولى نظر لولا التحرج عارم
فوصف النظر بالعرام فى هذا الشعر كوصف العين
بالزنا فى هذا الخبر فاما الحديث الاخر وهو قـوله عليـه
السلام القسطنطنيه الزانيه فالمراد به الزانى اهلها وذلك
كما جاء فى التنزيل من ذكر القرى مثـل قوله تعـالى وكم
قصمنا من قرية كانت ظالمة وقرية كانت آمنة مطمئنة

اى اهلها ظالمون واهلها امنون وذلك فى القران كثير

﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم ﴾ لا يلقى الله عبد لم يشرك بالله شيئاً ولم يتندبدم حرام الا دخل من اى ابواب الجنة شاء فقوله عليه السلم ولم يتند بدم حرام مجاز لانه اراد لم يصب دماً حراماً ومن قولهم ما نديت من فلان بشيء اى لم اصب منه شيئاً فجعل عليه السلم الذى يسفك الدم متنديا به وان كان لم يباشر سفكه بنفسه لان الاغلب فيمن يتولى سفك الدم مباشرة ان يصيبه منه بلل ويشهد عليه اثر وعلى هذا قول الشاعر

تبرء من دم القتيل وبزه ... وقد علقت دم القتيل ازارها

ولم يكن هناك على الحقيقة اثر دم علقت الازار وانما اخرجه الشاعر على الوجه الذى ذكرناه فكانه جعل القاتل وان لم يظهر عليه شاهد الدم كمن ظهرت عليه شواهده الناطقه ودلايله القاطعة لقوة الامارات التى تشهد بفعله وتعصب الامر به وهذا المعنى ايضاً اراد جرير بقوله

وقلت نصاحة لبنى عدى ... ثيابكم ونضح دم القتيل

فكانه خاطب قوماً ونهاهم عن ان يقفوا موقف الظنه وينزلوا منزل التهمة ليتبرأوا من دم قتيل اتهموا بنفسه وقرفوا بقتله ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم من فعل

كذا وكذا فقد احتظر من النار بحظار وهذا القول مجاز والمراد ان من فعل ذلك فقد احتجز من النار بحاجز والحظار الحايط المستدير على الشيء فجعل عليه السلم المتباعد عن الفعلة التى توجب دخول النار كمن ضرب بينه وبينها سياج وأغلق عليه رتاج والحظار والحظيرة بمعنى واحد وهو حظار بفتح الحاء والجمع احظره كما يقال دوار والجمع ادوره ﴿ومن ذلك قوله عليه السلم اغتربوا لا تضوّوا﴾ وهذه استعارة والمراد انكحوا فى الغرائب ولا تنكحوا فى القرايب لأنهم يقولون الغرايب انجب والضوى ضوؤلة الجسم ودقته ويقال اضوّت المراة اذا اتت بولد ضاو كما يقال اذكرت اذا أتت بولد ذكر وكانوا يعتقدون ان القريبة تضوى كما ان الغريبة تدهى أى تأتى بالولد داهية وقال الشاعر

فتى لم تلده بنت عم قريبة
فتضوى وقد يضوى رديد القرايب

وقال الآخر

وأترك بنت العم وهى قريبة
مخافة ان تضوى على سليلى

- وقوله عليه السلم اغتربوا عبارة عن هذا المعنى من

احسن العبارات لانه جعل التباعد عن المنكح في العشيرة
والبيت والذهاب به الى غير السنخ والاصل بمنزلة الرجل
المغترب الذى يوطن غير وطنه ويساكن غير سكنه
﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم خير المال عين ساهرة
لعين نائمة ﴾ وهذه استعارة لان المراد بذلك عين الماء
الجارية التى لاينقطع جريها ليلا كما لاينقطع نهاراً فسماها
ساهرة لهذا المعنى لانها فى ليلها دايبة وعين صاحبها نايمة
ولفظ السهر فى هذا الكلام احسن ما جعل بهذا المعنى
ملتبساً وجيئت عليه ملبسا ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم
كل هوى شاطن فى النار ﴾ وهذا مجاز لانه وصف
الهوى بالشطون وهو البعد وأراد به تباعد صاحبه عن الرشد
وترامیه الى الغى وقال ابو عبيده الشاطن هاهنا المعوج عن الحق
والهوى على الحقيقة ليس بجسم فيوصف بالقرب والبعد
والزوال واللبث وسمى الشيطان شيطانا لانه شطن عن
أمر ربه أو ابعد فى مذاهب غيه ومنه قيل نوى شطون
وبئر شطون ومن ذلك سمى الحبل شطنا لانه يبلغ العقر
العمق والماء البعيد وفى هذا الخبر ايضا مجاز أخر وهو
انه عليه السلم جعل الهوى الشاطن فى النار ومراده صاحب
الهوى الشاطن وهو الذى يمتد به هواه فيقذفه فى المضال

ويحمله على المزال ونظير هذا الخبر الاخر وهو قوله عليه السلم عليكم بالصدق فأنه مع البر وهما فى الجنة وايا كم والكذب فانه مع الفجور وهما فى النار واراد عليه السلم صاحب الصدق والبر وصاحب الكذب والفجور ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم كيف بكم وبزمان يغربل الناس فيه ويبقى حثالة من الناس قد مرجت عهودهم و اماناتهم وهذه ﴾ استعاره والمراد انهم يتنقى خيارهم فيهلكون بالقتل السريع والموت الذريع كما يغربل الحب بالغربال فيسقط قشبه وصغاره ويبقى جلاله وخياره وقد قيل ان الغربلة اسم للقتل خصوصا ومنه قول الشاعر

ترى الملوك حوله مغربلة يقتل ذالذنب ومن لاذنب له

اى مقتله والقول الاول اشبه بالمراد واليق بالصواب وقد تكلمنا فيما تقدم على قوله عليه السلم ويبقى حثالة من الناس قد مرجت عهودهم ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم وقد سئل اى الاعمال افضل فقال الحال المرتحل قيل وما الحال المرتحل قال الخاتم المفتتح وفى هذا الكلام مجاز لانه عليه السلم انما اراد المداوم لتلاوة القرآن فهو يختم ويفتتح ويتم ويستأنف فشبهه عليه السلم بالمسافر المجد بينا ينزل حتى يرتحل وبينا يسير حتى ينزل فشبه عليه السلم

ختم التلاوة بنزول المنزل وشبه استينافها بسير المرتحل وجعله مستمرا على هذه الطريقة ابدا لايرى الى غاية ولا يقف عند نهاية وقد قيل ان المراد بذلك المجاهد فى سبيل الله الذى يغزوا ويعقب ويقفل ويعاودو القول الاول اظهر عند العلماء واوغل فى مذاهب الفصحاء ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم ان قوماً يضفرون الاسلام ثم يلفظونه ﴾ وهذا القول مجاز لان المراد انهم يلقنون الاسلام ويعلمونه فيتناسونه ويفارقونه كالذى يلقم الشئ فيدسع به ولا يسيغه الى جوفه وذلك ماخوذ من قولهم ضفرت البعير اضفره ضفرا اذا لقمته لقما عظاما وقد يجوز ان يكون ماخوذا من قولهم ضفر الرجل الدابه يضفرها ضفرا اذا القى اللجام فى فيها والمعنيان متقاربان ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم يمين الله ملئ سحالا يغيضها الليل والنهار ﴾ وهذه استعارة لان المراد باليمين ههنا نعمة الله ووصفها بالامتلاء لكثرة منافعها وعموم مرافدها فجعلها كالعين الثرة التى لايغيضها المواتح ولا ينقصها النوازح والسح شدة المطر يقال سحت السماء سحا اذ اجادت جودا وخص اليمين لانها فى الاكثر مظنة العطاء وموصلة الحباء على طريق المجاز والاتساع وقد

شرحنا هذا المعنى فى عدة مواضع من كتبنا المشتملة على علوم القرآن ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم ابنوا المساجد واتخذوها جما وهذه استعارة لان المراد ابنوها ولا تتخذوا لها شرفا فشبهها عليه السلم بالكباش الجم وهى التى قرونها صغار خافية ومنه الخبر المشهور فى ذكر القيامة انه يؤخذ للجماء من القرناء وذلك من احسن التشبيه واوقع التمثيل وقال ابن الاعرابى اجم الذى لارمح معه ومن ذلك قول الشاعر

ونل امهم معشراً جما بيوتهم من الرماح وفى المعروف تنكير

اراد ان بيوتهم خالية من الرماح المركوزه بابوابها فهى كالكباش الجم التى لاقرون يظهر لها وقال الاعشى

متى تدعهم للقاء الحروب § أتتك خيول لهم غير جم

اى قد اشرع فوارسها الرماح فهى كالكباش اذا نهدت للكفاح وسددت قرونها للنطاح وقد جاء فى كلامهم الرماح قرون الخيل ومثل ذلك الحديث المروى ستكون فتنته كانها صياصى بقر والصياصى ههنا القرون قيل انما شبهها عليه السلم بقرون البقر لكثرة مايشرع فيها من الرماح ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم لايزال العبد حفيفا معنقا بذنبه مالم يصب دما فاذا اصاب دماً بلح ﴿ وهذا مجاز لانه عليه

السلم شبه المذنب غير القاتل بحامل الحمل الآن فيه بعض الخفه فهو يعنق به اى يسرع من تحته فاذا اصاب وماثقل ذلك العبأ حتى يبلح منه والتبليح الاعياء مأخوذ من بلوج الشيء وهوانقطاعه فكان منته قدنفدت وقوته قدانقطعت وانما قال عليه السلم ذلك تغليظا لامر الدم لبقل الاقدام على سفكه ويكثر التزاجر عن التعرض به ومع ذلك فالتوبة تسقط العقاب المستحق عليه كما تسقط العقاب المستحق على غيره من المعاصى خلافا لما ظنه بعض الناس من ان القاتل لاتوبة له لان الامر لوكان على ماقاله لم يكن للقاتل سبيل الى الانتفاع بطاعته فى المستقبل لانها تقع محبطة ولايجوز الا يكون للعاصى طريق الى الانفكاك من عقاب المعاصى لان فى ذلك اغراء له بها وحملا له عليها وفى بعض الاحاديث ان اعرابيا قتل تسعة وتسعين انسانا ثم اتى راهباً بالشام يستفتيه فى توبته فقال له ماارى لك توبة فقال لاجرم والله لاكملنهم بكرمايه فقتل الراهب وماحكوه عن عبدالله ابن عباس رحمه الله من اختلاف فتواه فى هذا المعنى لانه افتى مستفتيا سأله عن توبة القاتل بانه لاتوبة له وافتى آخر بان له توبة فله عندنا وجه صحيح قد نقل عن ثقات الناقلين وذلك انه سئل عن اختلاف قوليه فى هذا الباب فقال اتانى مستفت

فافتيه بان للقاتل توبه لانى رأيت عليه امارات من قتل وهو نادم على قتله خائف من جرائر فعله واستفتانى آخر فافتيته بانه لاتوبة للقاتل لانى رأيت امارات من قصد عزم على القتل فى المستقبل واراد ان يلجأ الى التوبة بعد الاقدام على سفك الدم المحرم فافتيته بذلك ليقف عن عزمه ويخاف عواقب اثمه ﴿ومن ذلك قوله عليه السلم بلوا ارحامكم ولو بالسلام﴾ وفى رواية اخرى انضحوا ارحامكم والمعنى واحد وهذه استعاره لان المراد صلوا ارحامكم ولو بالسلام اى جددوا المودة بينكم وبين اقربائكم ولو بالتسليم عليهم تشبيها ببل السقاء اليابس لانه لايتبلل الابعلاء الماء فينتدى قاحله ويتجدد قالصه فشبهوا بل الارحام بذلك لان فى حسن المخالقة تجديدا لخلقها واحكاماً لما وهى من علايقها ومثل ذلك قول الكميت الاسدى

نضحت اديم الود بينى وبينهم § بأصره الارحام لو يبيلل

﴿ومن ذلك قوله عليه السلم لرجل قيل له انه نام عن الصلوة حتى اصبح ذاك رجل بال فى اذنه الشيطان﴾ وهذا مجاز لانه عليه السلام اراد ان الشيطان تهكم به وسخر منه لانهم يقولون ذلك فيمن ظهر اختلاله وبان انحلاله واصله مأخوذ من الافساد فكأنه عليه السلام اراد ان

الشيطان قدافسده وفسخ عقده وعلى ذلك قول الشاعر
اذا رأيت انجما من الاسد § جبهته او ألخراه والكتد
بال سهيل فى الفصيح ففسد § وطاب ألبان اللقاح وبرد
أى افسد سهيل اللبن ففسد فعبر عن افساده له ببوله فيه
تشبيها بالبايل فى الماء لانه يفسد عذبه ويمنع شربه ❁ ومن
ذلك قوله عليه السلم تعرض للناس جهنم كانها سراب يحطم
بعضها بعضاً وهذا مجاز لانه عليه السلام اراد شدة احتدامها
والتفاف ضرامها فكأن بعضها يحطم بعضاً اى يهدو ويرضه
واطم الكسر وقد يجوز ان يكون المراد انها تحطم أبدان
المعاقبين بها وجعلهم بعضها لانهم خالدون فيها غير خارجين
منها (ومن ذلك قوله عليه السلم لرجل من وفد نجيب انى
لارجو ان تموت جميعا فقال اوليس الرجل يموت جميعا
يارسول الله فقال عليه السلم تتشعب اهواءه وهمومه فى اودية
الدنيا فلعل اجله يدركه فى بعض ذلك فلا يبالى الله فى ايها هلك
وفى هذا الكلام مجازان احدها قوله عليه السلم انى لارجو
ان تموت جميعاً لان لانسان لايموت الاجميعا وانما اراد
انى لارجوا ان لايدركك الموت وهمومك متقسمه واهواءك
متشعبه فكان يكون متفرقا بتفرق اهوائه ومتشعبا بتشعب
ارائه والمجاز الاخر قوله عليه السلم فى اوديه الدنيا وهذه

استعارة عجيبة لانه شبه اختلاف طرايق الدنيا ومذاهبها وتباين احوالها ونوايبها بالاوديه المختلفة فمنها البعيد والقريب والمخصب والجديب والواسع والضيق والمنجي والمعطب ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم وهو يعنى المدينه اسكنت باقل الارض مطرا وهى بين عينى السماء عين بالشام وعين باليمن ﴾ وهذه استعارة لانه عليه السلم اراد كثرة انهلال السماء بالمطر فى هذين الموضعين الشام واليمن يكنى عن ذلك بعينى السماء كان عليه السلم شبه افقى السماء المطلين على هذين البلدين بالعينين الدامعتين فاراد ان العينين لاتنقطع عن هذين الموضعين كما لاترقاه هذين العينين وقد يجوز ان يكون انما اراد عليه السلم يشبهها بالعينين من العيون التى تنبع الماء فى الارض فكما ان ماء العين موصول لاينقطع فكذلك قطر السماء فى هذين البلدين متصل غير منقطع وكلا القولين مجاز وتوسع وقد سمو السحاب الناشى من جهة القبلة عينا على احد المعنيين اللذين ذكرناهما فقد يجوز ايضا ان يكون قوله عليه السلم بين عينى السماء يريد بين السحابين الناشين لهذين البلدين ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم الحياء نظام الايمان ﴾ وهذه استعاده والمراد ان الحياء يجمع خلال الايمان كما يجمع السلك فرايد النظام فلان الانسان

الكثير الحياء يحجم عن مواقعة المعاصى ومطاوعة المغاوى فاذا قل حياؤه يفرق جماع ايمانه فاشبه السلك فى انه اذا انقطع تهافتت خرز نظامه وهذا المعنى اراد الشاعر بقوله

يعيش المرء ما استحيا بخير ويبقى العود مابقى اللحاء

وليس ينافى هذا الحديث الحديث الاخر وهو قوله عليه السلم الحياء شعبة من الايمان فانه لايمتنع ان يكون شعبة منه ويكون مع ذلك نظاماله ومن ذلك قوله ﴿ عليه السلم منبرى هذا على ترعه من ترع الجنة ﴾ وقد قيل فى تفسير الترع ثلثه اقوال احدها ان يكون اسماً للدرجه والثانى ان يكون اسما للروضة على المكان العالى خاصه والثالث ان يكون اسما للباب وفى هذا الكلام مجاز على الاقول الثلثه وجميعها يأول الى معنى واحد فان كانت الترعه بمعنى الدرجة فالمراد عن منبره عليه السلم على طريق الوصول الى درج الجنة لانه عليه السلم يدعوا عليه الى الايمان ويتلوا قوارع القران ويخوف ويزجر ويعد ويبشر وان كانت بمعنى الباب فالقول فيهما واحد وانكانت بمعنى الروضة على المكان العالى فالمرار بذلك ايضا كالمراد بالقولين الاولين لان منبره عليه السلام على الطريق الى رياض الجنة لمن طلبها وسلك السبيل اليها وفيه زيادة معنى وهوان يكون

انما شبهه بالروضة لما تمر عليه من محاسن الكلم وبدايع الحكم التى تشبه اراهير الرياض ودبابيج النبات وهم يقولون فى الكلام الحسن كانه قطع الروض وكانه ديباج الرقيم واضاف عليه السلم الروضة الى الجنة لان الكلام المونق الذى يتكلم به عليه يهدى الى الجنة ويكون دالا عليها وقائد اليها وعندهم ان الروضة اذا كانت على الايقاع والاشيار كانت احسن منظراً وانيق زهرا وعلى ذلك قول الاعشى

ماروضة من رياض الحزن معشبة

خضراء جاد عليهاوا كف خضل

وقدقال بعضهم الترعه الكوة وهو غريب فأن كان المراد ذلك فكانه عليه السلام قال منبترى على مطلع من مطالع الجنة والمعنى قريب من معنى الباب لان السامع لما تلى عليه كانه يطلع الى الجنة فينظر الى بهجتها والى ما اعد الله للمؤمنين فيها ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم ان الاسلام لياذر الى المدينة كما تأذر الحيه الى جحرها ﴾ وهذه استعاره والمراد ان الاسلام ليأوى الى المدينة كما تاوى الحيه الى جحرها واصل ذلك مأخود من التقبض والاجتماع يقال اذرى ذرآ اذا كان منه ذلك فجعل عليه السلام المدينة كالوجار للاسلام يتقلص

اليها وينظم الى حاها لانها قطب مداره ونقطة ركازه
ومن ذلك قوله عليه السلم لايدخل الجنة لحم نبت
من سحت وهذا القول مجاز لانه عليه السلام شبة
نماء اعضاء البدن بنبات اغصان الشجر لما بينهما من المشاكلة
لان العروق كالعروق والالحيه كالجلود والايراق كالحياة
والايباس كالوفاة ومن ذلك قوله عليه السلم لعبد
الله بن عمر بن العاص وذكر قيام الليل وصيام النهار
فقال انك اذا فعلت ذلك هجمت عيناك وتهمت نفسك
فقوله عليه السلم هجمت عينك استعارة لان المراد به
غور العينين لطول القيام ولبعد العهد للطعام وذلك
مأخوذ من قولهم هجم فلان على فلان اذا دخل عليه
دخولا فيه سرعة وله روعة ويقال هجم عليهم البيت اذا
سقط عليهم فشبه عليه السلم افراط دخول العينين فى حجاج
الرأس بهجوم الرجل الهاجم اووجوب البيت الواقع
فالتشبيه بالاول لانعاله فى مدخله والتشبيه بالثانى لزواله
عن موضعه ومعنى تهمت نفسك اى اصابها الملال وجدها
الاعياء والكلال ومن ذلك قوله عليه السلم لان يمتلى جوف
احدكم قيحا حتى يرويه خير له من ان يمتلى شعرا وفى هذا القول
مجاز لان المراد به النهى عن ان يكون حفظ الشعر اغلب

على قلب الانسان فيشغله عن حفظ القرأن وعلوم الدين حتى يكون احضر حؤاضره واكثر خواطره فشبهه عليه السلام بالاناء الذى يمتلى بنوع من انواع المايعات فلا يكون لغيره فيه مشرب ولامعه مذهب وقال بعضهم انما هذا فى الشعر الذى هجى به النبي عليه السلام خصوصا والصحيح انه فى كل شعر استولى على القلب كالاستيلاء عموماً لان النهى يتعلق بحفظ القليل ماهجى به النبي عليه السلام وكثيره يراعى فيه ان يكون غالباً على القلب وطافحا على اللب وقوله عليه السلام حتى يرويه معناه حتى يفسده ويهيضه ويقولون ورأه الداء اذا فعل ذلك به قال الشاعر

وراهن ربى مثل ماقدورينى § واحمى على اكبادهن المكاويا

﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام كل صلوة لايقرء فيها بام الكتاب فهى خداج ﴾ وروى هذا الخبر بلفظ اخر وهو قوله كل صلوة لاقراءة فيها فهى حداج وهذه استعاره عجيبه لانه عليه السلام جعل الصلوة التى لايقرء فيها ناقصه بمنزلة الناقة اذا ولدت ولداً ناقص الخلقة او ناقص المدة ويقال اخدج الرجل صلوته اذا لم يقرأ فيها فهو مخدوج وهى مخدجه وقال بعض اهل اللغة يقال خدجت الناقة اذا القت ولدها قبل اوان النتاج وان كان تام الخلقة واخدجت

اذا القته ناقص الخلق وان كان تام الحمل فكانه عليه السلم
قال كل صلوة لا يقرأ فيها نهى نقصان الا انها مع نقصانها
مجزية وذلك كما يقول فى قوله عليه السلم لا صلوة لجار
المسجد الا فى المسجد انما اراد به نفى الفضل لا نفى الاصل
فكانه قال لا صلوة كاملة او فاضلة الا فى المسجد وان كانت
مجزية فى غير المسجد فنفى عليه السلم كمالها ولم ينف اصلها
ومما يؤكد ذلك الخبر الخبر الاخر وهو قوله عليه السلم
لاضرار فى صلوة ولا تسليم اى لا نقصان فيهما من قولهم
ناقة مغار اذا نقص لبنها ومنه الحديث الاخر لا تغاروا
التحية اى لا تنقصوا السلام وردوا على البادى به مثل
ما قال ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم عائد المريض على
مخارف الجنة ﴾ وفى هذا الكلام مجاز على التاويلين
جميعاً فان كان المراد المخارف جمع مخرف وهو جنا النخل
فكأنه عليه السلام شهد لعايد المريض بدخول الجنة وحقق
له ذلك حتى عبر عنه هو بعد فى دار التكليف بعبارة من
صار الى دار الخلود ثقة له بالوصول الى الجنة والنزول
فى دار الامنه وهذا موضع المجاز وان كان المراد بالمخارف
جمع مخرفة وهى الطريق كما روى عن بعض الصحابه انه
قال فى كلام له وتركتكم على مثل مخرفة النعم اى طريق

النعم الواضح الذى اعلمته باخفافها واعتدته بكثرة غدوها ورواحها فموضع المجاز انه عليه السلم جعل عايد المريض كالماشى فى طريق يفضى به الى الجنة ويوصله الى دار المقامه

﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم للمغيره ابن شعبه وقد خطب امرأة ليتزوجها لو نظرة اليها فانه احرى ان يؤدم بينكما وفى هذا اللفظ مجاز على التاويلين جميعا فاحدهما ان يكون قوله عليه السلم احرى ان يودم بينكما مأخوذ من الطعام المأدوم لان طيبه وصلاحه انما يكون بالادام كالزيت والاهاله ومايكون فى معناها فكانه عليه السلم اراد ان ذلك احرى ان يتوافقا كما يوافق الطعام ادمه او كما يوافق الادام خبزه قال الكسائى ادم الله بينهما على مثال فعل اذا الفى بينهما المحبة والاتفاق واقول ان هذا يشبه دعاؤه عليه السلام للبانى على اهله وهو قوله بالرفاء والبنين كانه عليه السلام دعا بان يلايم الله بينهما كما يلايم الرافى بين شقق الثوب المرفوء واما التأويل الاخر فى اصل الخبر فهو ان يكون بمعنى ذلك احرى ان يصلح الله بينكما من قولهم عنان مؤدم اذا كان مصلحاً محكما قال الراجز بشراً مثل العنان المؤدم ويقال اديم مودم اذا ظهرت أدمته وهو ماوى اللحم منه أديم مبشر اذا ظهرت بشرته وهو ماوى الشعر منه ويقال رجل

مودم اذا كان محبوباً قال الراجز والبيض لا يؤد من الامؤدما
اى لا يحببن الا محبوباً ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم ان من
البيان لسحراً ﴾ وهذا القول مجاز والمراد به ان البيان قد يخدع
بتزويقه وزخارفه وحسن معارضه ومطالعه حتى يستزل
الانسان من حال الغضب والمخاشنه الى حال الرضا والملاينه
وينزع حمات السخايم ويفسخ عقود العزائم ويكتبح الجامح
حتى يرجع ويسف بالمحلق حتى ينقع ويعود بالخصم الضالع
موافقا وبالضد الابعد مقاربا والسحر فى الاصل هو التمويه
والخديعة والتلبيس والتغطيه وقال بعضهم السحر ما نقلك
من حال الى حال وكانت العرب تعتقد ان السحر يصرف
الوجوه ويقلب القلوب ويمرض الاجسام ويسفه الاحلام
ويفرق بين المتحابين ويجمع بين المتباغضين وهذا فى الحقيقة
نقل من حال الى حال وهو عندنا باطل الا ان يراد به ما قدمنا
القول فيه من خديعة الانسان بلين القول وحسن اللفظ
حتى يرضى بعد استطاطه وينثنى بعد جماحه وهذا الوجه
هو الذى ذهب اليه النبي عليه السلم دون ما يقوله اهل
الجهاله وطغام الجاهليه ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم
الا ان يتغمدنى منه برحمة ﴾ واصل هذا الكلام مستعار
لان المراد به الا ان يعطينى الله ويجللنى منه برحمة مأخوذ

من غمد السيف الذي يكون كننا له وسياقا عليه وقال الشاعر

نصبنا رماحا فوقها جد عامر § كظل السماء كل ارض تغمدا

اى امتد جدهم على اقطار الارض فغطاها كامتداد
السماء عليها من جميع جهاتها يصفهم باستطالة الجد وانبساط
اليد وثرا المال والعدد ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم
اللهم انى اسئلك رحمة تلم بها شعثى ﴾ وهذه استعارة
والمراد يجمع بها امرى فكنى عليه السلام عن ذلك بالشعث
تشبيها بالعود الذي يشعث رأسه وتشبظت اطرافه فهو محتاج
الى جامع يجمعه وشاعث يشعثه ومن ذلك قول الشاعر
يصف النار

وغبراء شعثاء الفروع منيفة § لها توصف الحسناء وهي جميل

اراد تفرق اطرافها ونشعث شواظها

﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم اعوذ بالله من شر عرق
نعار ﴾ وهذه استعارة والاصل في ذلك رفع الصوت
يقال فلان نعار في الفتن اى صياح فيها ودعاء اليها وقال
بعض التابعين وقد صلى خلف مصعب بن الزبير وهو رافع
صوته بالتكبير والتهليل قاتله الله نعاراً بالبدع اى صياحا بها
فشبه عليه السلام شغور دم العرق وتواتره بصوت الصائح
المتوه من وجهين لارتفاع ندائه ولتكرير دعائه فجعل العرق

اماراً للعلة المذكورة على طريق المجاز والاتساع وقال بعض اهل اللغة يقال نعر العرق نعراً ونعراناً اذا اهتز بالدم ولم يرقاء فان كان الامر على ماقال فقد خرج الكلام عن باب المجاز الى حيز الحقيقة ❊ ومن ذلك قوله عليه السلام من كانت الدنيا همه وسدمه جعل الله فقراً بين عينيه ❊ وهذا الكلام مجاز والمراد به ان من جعل الدنيا همه وقرعايها باله واعرض عن الاخرة بوجهه واخرج ذكرها من قلبه واقبل على تثمير الاموال واستضحام الاحوال عاقبه الله على ذلك بان يزيده فقر نفس وضرع خد فلا تسد مفاقره كثرة ماجمع وعدد وعظيم ماانال وثمر فكأنه يرى الفقر بين عينيه فهو ابداً خايف من الوقوع فيه والانتهاء اليه فلا يزال أكلا لايشبع وشاربا لاينقع فمعه حرص الفقراء وله مال الاغنياء وقال عليه السلم جعل فقره بين عينيه مبالغة في وصفه بتصور الفقر فكأنه قريب منه وغيره نائب عنه كما يقول القائل لغيره اذا اراد هذا المعنى حاجتك بين عيني اى هي متصورة لي وغير غائبة عن قلبي ❊ ومن ذلك قوله عليه السلام في صفة شاء ذكرها فتجيب على قالب لون واحد ❊ وهذه استعارة وان الوانها جاءت متساويه فكانما افرغت

في قالب واحد وهذه من احسن العبارات عن هذا المعنى وذلك كما يقول القائل منا اذا اراد ان يصف قوما متشابهين في الخلق والمناظر اوفي الطبايع والعزائز كانما طبعوا على سكة واحدة اوخلقوا من طينة واحدة ❊ ومن ذلك قوله عليه السلام خير الخيل الادهم الاقرح المحجل ثلثا طلق اليد اليمنى ❊ وهذه من محاسن الاستعارات لانه عليه السلام شبه الثلث من قوائمه لالتفاف التحجيل عليها بالثلث المعقول من قوائم البعير والمشكوله من قوائم الفرس وشبه اليمنى منها لخلوها من التحجيل بالمطلقة من العقال اوالعاطلة من الشكال ويقال ناقة علط اذا لم يكن موسومة ويقال طلق اذا لم تكن معقولة وناقة علط اذا لم تكن مزمومة ❊ ومن ذلك قوله عليه السلام لسراقة ابن مالك المدلجي لما خرج رسول الله صلى الله عليه واله من مكة مهاجراً الى المدينة وقد لحق به وهو بعد على شركه قم هاهنا فم علينا بتهور النجوم ❊ وهذه استعارة فكانه عليه السلم شبه السماء وما فيها من مواقع الكواكب ومراقب الثواقب بالابنية الموطودة والدعايم المرفوعة وجعل تزحزها عن مطالعها وانصبابها بعد ترفعها كالبنا المتهور والسقف المنقوض ❊ ومن ذلك

قوله عليه السلم في حديث طويل وقد خط في الارض خطوطا يمثل بها احوال ابن آدم فقال صلى الله عليه وآله وهذه خطوط الى جنبه الاعراض تنهشه من كل مكان فان اخطاه هذا اصابه هذا ﴾ وفي هذا الكلام مجاز وقوله عليه السلم وهذه الخطوط الى جنبه الاعراض تنهشه ويروى تنهشه بالسين والمراد بذلك اعراض الدنيا وهي ماتعرض فيها من المصائب وتطرق من النوائب وشبهها عليه السلم بالحيات الناهشة والذؤبان النامسة لاخذها من لحم الانسان ودمه وتأثيرها في نفسه وجسمه ﴾ ومن ذلك قوله عليه السلم لايصل الرجل وهو زناء ﴾ وهذا القول مجاز لان اصل الزنا الضيق والاجتماع وقال الاخطل يذكر حفرة القبر (واذا قذفت الى الزناء تعرها غبراء مظلمة من الاحقار) ويقال قد زناء بوله يزناء زنوا اذا احتقن وازناء الرجل بوله ازناءً اذا حقنه فسمى الحاقن زناء لاجتماع البول فيه وضيق وعائه عليه وموضع المجاز من هذا الكلام انه عليه السلم وصف الرجل بالضيق وانما الضيق وعاء البول الا ان ذلك الموضع لما كان شيئا من جملته ونوطا معلقا به جاز ان يجرى اسمه عليه وقوله عليه السلم لايصل الرجل وهو زناء فيه من الفائدة ماليس

فى قوله وهو حاقن لان الحاقن قد يحقن القليل كما يحقن الكثير والزناء هو الضيق ولا يكاد يضيق وعاء البول الا من الكثير دون القليل ﴿ومن ذلك قوله عليه السلم الحجاز قطيفة الايمان﴾ وهذه استعارة والمراد بها ان يحيط بالايمان ويجمع شمله ويضم اهله كما تضم القطيفة وهى الكساء الغليظ جملة بدن الانسان اذا اشتمل بها ودخل فيها وانما قال عليه السلم ذلك لثبات عرب الحجاز من قريش وغيرها على الاسلام بعدد خولهم فيه فلم يرتد منهم احد كغيرهم ممن خلى حبل الدين من يده ورجع على عقبه وقال اصحاب الاثار ما من قبيلة من قبايل العرب بعد وفاة النبى (ص)عليه السلم الا وقد فشا فيها الارتداد عامة اوخاصة الا قريشا وثقيفا فانه لم يرتد منهم احد هذا على ان هاتين القبيلتين كانتا فى الاسلام اشد نكاية ولرسول الله صلى الله عليه وآله احضر عداوة ﴿ومن ذلك قوله عليه السلم ان هذه المسائل كد يكد بها الرجل وجه﴾ وفى هذا الكلام استعاره على تاويل الكد فى العربية واحد التاويلين ان يكون الكد بمعنى الاتعاب والانصاب كما يقول القائل كددت فرسى اذا اراد انه اتعبه واستنفذ طاقته فعلى هذا التأويل يكون معنى كد الرجل وجهه بالمسائل

انه لكثرة بذله فى السؤال وطلب مافى ايدى الرجال قد اجراه مجرى المطية التى يحضرها بكثرة الحل والترحال وقطع المسافاة الطوال و التأويل الاخر ان يكون الكد مأخوذاً من استقصاء النزح ماء الركية حتى يبلغ حماتها ويستنفد غمرتها يقال كد الركية واكتدها اذا فعل ذلك بها قال الشاعر

أمض ثمادى والمياه كثيرة   اعالج منها حفرها واكتدادها

ويكون قول القائل على هذا التأويل كددت فرسى اى اعتصرت مادته واستقصيت ماعنده فيكون كد الوجه على هذا القول يراد به اعتصار مائه واستقطار حيوته ومن المتعارف بيننا ان يقول القائل اذا اراد هذا المعنى قد هرقت ماء وجهى بكثرة الطلب الى فلان والرغبة فيما عند فلان ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام للرجل الذى قال لبعض الصحابه ان فتح الله عليكم الطايف فسئل النبي عليه السلم ان يهب لك نادية بنت غيلان بن سلمه فانها اذ اقامت تثنت واذا تكلمت تغنت فى كلام طويل بلغه عليه السلم عنه وكان هذا الرجل من مخنثى المدينة فقال عليه السلم لقد غلغلت النظر ياعدو الله ﴾ وفى هذا الكلام استعارة لان غلغلته الشئ هو ادخاله فيه حتى يلتبس به

ويصير من جملته وذلك لا يصح فى نظر الانسان الاعلى طريق
الاتساع والمجاز فكانه عليه السلم اراد ان هذا الانسان بلغ
بنظره من محاسن هذه المرأة الى حيث لا يبلغ ناظر ولا يصل
واصل فكان كالشىء المتغلغل الذى يدق مدخله ويلطف
مسلكه ويبعد متوكجه وروى لنا ابو على الحسن بن احمد
بن عبد الغفار النحوى الفارسى فى كتابه الموسوم بالايضاح
اجازة وانشدنا الشيخان ابو الفتح وابو الحسن النحويان
ملافظة قول الشاعر

غلين بكديون واشعرن كرة فهن اضاء صافيات الغلائل

والكديون عكر الزيت تطلى به الدروع وتحمى به فى النار ليذهب
اصداؤها ويصفوا الوانها وقيل ايضا ان الكديون اسم من
اسماء التراب والكرت البعر الذى يوقد به النار عليها وقيل
فى الغلايل التى ذكرها الشاعر فى هذا البيت قولا فاحدها
انها اسم لبطائن وشعارات يلبس تحت الدروع والواحدة
غلاله وانما سميت غلايل لانغلالها بين الدروع والاجساد
التى تجمع بين رؤس الحلق والواحده غليله وانما سميت
بذلك لانها تغل فى الدروع اى يستقصى ادخالها فيها فيصير
كالاجزاء منها ❊ ومن ذلك قوله عليه السلم فى كلام
طويل وليس من ملك الا وله حمى الا وان حمى الله محارمه

فمن ارتع حول الحمى كان قمنا ان يرتع فيه ﴾ وهذا
الكلام مجاز لانه عليه السلم شبه ماخطره الله سبحانه من
محارمه بالحمى الذى يحميه ذوالسلطان والملكة من مواقع
السحاب ومنابت الاعشاب فلا ترعى فيه الابله ولاينزل به
الاحيه وما كان يفعل ذلك من العرب الا الاعز فالاعز
والابر فالابر حتى ضربت العرب المثل بحمى كليب بن ربيعة
وهو كليب وائل فى انه رجل حرام وممنوع لايرام فقالوا اعز
من حمى كليب فجعل عليه السلم ماخطره الله سبحانه على
العباد من المحارم كالحمى الذى يجب عليهم الايطوروا به
ولايمروا بجوانبه ومن خاف الله منهم ارصدله العقاب
وانتظر له النكال فما حرم سبحانه من الاشياء حمى لاترعى
وماحل منها مرعى لاتحمى وقوله عليه السلم فمن ارتع حول
الحمى كان قمنا انيرتع فيه يريد به التحذير من الالمام بشئ
من صغائر الذنوب لئلايكون ذلك مجرياعلى الوقوع فى كبائرها
والتهور فى معاظمها وهذه من احسن العبارات عن هذا
المعنى وهذا الغرض نحاه عمر بن عبدالعزيز بقوله دع بينك
وبين الحرام جزءاً من الحلال فانك ان استوفيت الحلال
كله تاقت نفسك الى الحرام ﴾ ومن ذلك قوله عليه السلم
لزيد بن ارقم وقدكان رقى اليه صلى الله عليه واله فى غزوة

المريسيع كلاماً سمعه من عبدالله بن ابى سلول فيه طعن على المهاجرين وعمض لرسول الله صلى الله عليه واله وهو مشهور فى كتب المغازى فاتهمت الانصار زيداً فى حكايته وكان اذذاك صغير السن حتى نزل القرآن بتصديقه فى السورة التى يذكر فيها المنافقون وذلك قوله سبحانه يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لايعلمون فدعى النبى عليه السلم زيد ابن ارقم وهو متأثر على مافيه فأخذ بأذنه فرفعه ثم قال له ﴿ وفت اذنك ياغلام وصدق الله حديثك ﴾ فقوله عليه السلم وفت اذنك مجاز كانه جعل اذنه فى سماعها ماسمعت كالضامنة لتصديق ما حكت لانه صدق فى نفسه فلما نزل ما نزل فى القرآن فى تحقيق ذلك الخبر صارت الاذن كانها وافية بضمانها وخارجة من الظنه فيماادته الى لسانها وهذا من غريب المجازات ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام حسان حجاز بين المؤمنين والمنافقين لايحبه منافق ولا يبغضه مؤمن ﴾ وفى هذا الكلام مجاز لانه عليه السلم جعل حسان كالسباح المضروب بين حيزى الايمان والنفاق فمن كان فى حيز الايمان أحبه ومن كان فى حيز النفاق ابغضه وذلك لما كان يظهر عنه من المنافحة عن رسول الله صلى

الله عليه وآله والاسلام بسيف لسانه ونوافذ اقواله فكان قوله يسر المؤمنين ويغبطهم ويسوء المنافقين ويزعجهم وهذا الكلام عندنا فى حسان متعلق بوقت مخصوص وهو زمن النبى صلى الله عليه وآله فاما حين ظاهر امير المؤمنين عليه السلم بعداوته ورماه بمعاريض القول فى اشعاره فقد خرج من ان يكون مجازاً بين الايمان والنفاق وتحيز الى جانب القمة والضلال ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم فى كلام تكلم به عند منصرفه من تبوك فلم يبق منهم تحت اديم السماء الا رجل فى الحرم منعه الحرم من عذاب الله ﴾ وفى هذا الكلام مجازان احدهما قوله عليه السلم تحت أديم السماء فجعل للسماء اديما يريد ما ظهر منها للابصار تشبيهاً باديم الحيوان وهى الجلود التى تلبس الاجساد وتغطى اللحوم والعظام ويقال ايضاً أديم الارض ويراد به ماظهر من صفحاتها التى تباشرها النواظر وتطؤها الاقدام والحوافر والمجاز الاخر قوله عليه السلم فمنعه الحرم من عذاب الله والحرم على الحقيقة غير مانع من العذاب الذى يريد الله سبحانه ان ينزله بالمستحقين وانما المراد ان الله تعالى جعل الحرم معاذه لعباده تعظيما لقدره وتفخيما لامره فمن استجار به من عذابه عند مواقعة معصيته جاز ان يؤخر عنه العذاب

ما كان متعلقاً به وفى اقامة الحدود على اللاجى الى الحرم خلاف بين العلماء ليس هذا موضع ذكره ولابد ان يوفيه تعالى ما يستحقه من العقاب فى دار الجزاء الا ان يكون منه توبة تسقط بها عقابه او طاعة عظيمة تصغر معها معصيته فالحرم لا يمنع من العذاب وانما يمتنع الله سبحانه من فعله باللاجى اليه والعائذ به للعلة التى ذكرناها فلما كان الله تعالى انما يفعل ذلك لاجل الحرم جاز ان ينسبه اليه على طريق المجاز وعادة الاتساع ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم اوثق العرى كلمة التقوى ﴾ وهذه استعارة لانه عليه السلام جعل التقوى كالعروة التى يتعلق بها فتنهض من المعاثر وتنجى من المزال والمزالق لان المتقى لله سبحانه يأمن من نقماته وينجو من سطواته فيكون كالممسك بعروة الحبل المتين والمستند الى النضد الامين ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام وهو يتجهز لغزوة تبوك انى على جناح سفر ﴾ وهذه استعارة واقعة موقعها ومقرطسة غرضها لانه عليه السلم شبه السفر بالطاير الذى قد هم بالمطار وجعل الاخذ اهبة المسافر كالكائن على جناح ذلك الطاير ينتهض نهوضه ويرقب تحليقه ومما يؤكد ذلك قولهم للانسان الذى يكثر اسفاره ويطول حله وترحاله ماهو الا طاير

طيار عبارة عن التردد فى السفر وكثرة الانزعاج عن الوطن ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام الناس معادن ﴾ وهذه استعارة لانه عليه السلم شبه الناس بالمعادن التى تكون فى قرارات الارض فلا يحكم على ظواهرها حتى يستخرج دفائنها ويستنبط كوامنها فيكون منها اللجين والنضار ويكون منها النفط والقار فكذلك الناس لا يجب ان يحكم على مخاليهم ولا يقطع على بواديهم حتى يخبروا ويعرفوا ويثاروا ويبحثوا فيخرج البحث جواهرهم ويمحص الامتحان ضمائرهم فتبين حينئذ كرم النجائز وطيب الغرايز وتكشف ذمتهم الطرايق ولئيم الخلائق ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام فى آخر خطبة خطبها ببطن عرفه وذلك فى حجة الوداع الا ان كل شيء من امر الجاهلية تحت قدمى موضوع ﴾ وهذا القول مجاز والمراد بها اذلال امر الجاهلية وحط اعلامها ونقض احكامها كما يستذل الشيء الموطؤ الذى تدوسه الاخامص الساعية والاقدام الواطية فلا يبقى منه مرفوع الا وضع ولا قائم الا صرع ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام فى وصية وصى بها أسامة ابن زيد لما اراد بعثه الى موته ليثأر باذنيه زيد فى كلام طويل طويل واعلموا ان الجنة تحت البارقه ﴾ وهذا القول

مجاز والبارقة هاهنا السيوف وليس الجنـة تحتها عـلى
الحقيقة وانما المراد ان الصبر تحتها لجهاد الكافرين ودفاع
اعداء الدين يفضى بالصابر الى دخول الجنة ونزول دار
الامنه فلما كان ذلك سبب دخولها والوصول الى نعيمها
جاز ان يسميه باسمها ونظائر ذلك كثيرة وقد اشرنا فى
كتابنا هذا الى بعضها ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم
فى الكتاب المكتتب بينه وبين قريش فى صلح الحديبيه ان
الاسلال والا غلال وان بيننا عيبة مكوفة ﴾ وهـذه
استعاره والمراد بالعيبة المكفوفة السلم الذى تضم النشر
وتجمع الامر كانه عليـه السلم شبه حال السلم من انهـا
تحجز بين الفريقين عن شن الغـارات وتكـف ايديهم
عن المجاذبات بالعيبة المشرجـة التى لا تنتشر مطـاويهـا
ولا يتذاهب مافيها وقد يجـوز ان يكون معـنى ذلك عـلى
قول من قال ان الاسلال السرقـه والاغـلال الخيـانة
انه عليه السلام شبه الصلح الواقع بينهم فى ان اموالهـم
تكون به محروسة وخزائنهم محفوظة بالعيبة التى قد استوثق
من اشـراجها فلا يصل اليها خائن ولا يقدر عليها سارق
والمعنيان متقاربان ويقال رجل مسل مغل اى صاحب سلة
وهى السرقة ومغلة وهى الخيانة وقوله تعالى وما كان لنبى

ان يغل قرأنا على شيوخنا القراء لابى عمر وابن كثير وعاصم يغل بفتح الياء وضم الغين اى ما كان له ان يخون وقرأ بقية القراء السبعة يغل بضم الياء وفتح الغين اى ما كان له ان يخان ويجوز ان يراد بذلك ايضا ما كان له ان يخون اى ينسب الى الخيانة وقد قال بعضهم المراد بالاسلال هاهنا سل السيوف وبالاغلال لبس الدروع وهذا القول غير معروف والقول الاول هو القول السدد والصحيح المعتمد ﴿ومن ذلك قوله عليه السلام فى الرحم هى شجنة من الله وفيها لغتان شجنه وشجنه﴾ وهذا القول مجاز لان اصل الجنة اسم لشعبة من شعب الغصن المتصل بالشجرة ويقال شجر متشجن اذا التف بعضه ببعض ومنه قولهم الحديث شجون وذو شجون اى ذو شعب يتشعب فيذكر بعضها بعضاً ويجر اول اخراً وقيل ايضاً ان الشجون هى الشعاب المتصلة بالاودية فيجوز ان يكون الحديث شبه بها لكثرة طرقه ومداخله وتعلق اواخره باوايله والمراد بالشجنة ههنا تشبيه الرحم بالشعبة المتصلة بالشجرة فهى بعض منها ومنتسبة اليها فكذلك الرحم يجب صلتها على من وجب عليه حقها وضرب اليه عرقها ويجوز ايضاً ان يكون انما شبهت بشجون الوادى لتعلقها به واضافتها اليه كما

قلنا فى شجون الحديث وقوله من الله المراد ان الله سبحانه جعل حقها واجباً وذمامها لازماً وقد يجوز ان يكون المراد بذلك ان الله سبحانه يثبت واصلها ويرعى راعيها فكانه متعلقة به تعالى على طريق التمثيل لا على طريق التحقيق ليعظم تعالى حقها بترهيب قاطعها وترغيب واصلها

﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام الولد للفراش وللعاهر الحجر ﴾ وهذا مجاز على احد التاويلين وهو انه يكون المراد ان العاهر لاشيء له فى الولد فعبر عن ذلك بالحجر اى له من ذلك مالاحظ فيه ولا انتفاع به كما لا ينتفع بالحجر فى اكثر الاحوال كانه يريد ان له من دعواه الخيبة والحرمان كما يقول القائل لغيره اذا اراد هذا المعنى ليس لك من هذا الامر الا الحجر والجلمد والتراب والكثكث اى ليس لك منه الا ما لا محصول له ولا منفعة فيه ومما يؤكد هذا التأويل مارواه عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عن النبى عليه السلم قال الولد للفراش وللعاهر الاثلب والاثلب التراب المختلط بالحجارة وهذا الخبر يحقق ان المراد بالحجر هاهنا مالا ينتفع به كما قلنا اولا ومما يصدق ذلك قول الشاعر

كلانا يا معاذ نحب ليلى § بفى وفيك من ليلى التراب

شركتك فى هوى من كان حظى § وحظك من تذكرها العذاب

أراد ليس لنا منها الا ما لا نفع به ولا حظ فيه كالتراب
الذى هذه صفته واما التاويل الاخر الذى يخرج الكلام
عن حيز المجاز الى حيز الحقيقة فهو أن يكون المراد
انه ليس للعاهر الا اقامة الحد عليه وهو الرجم بالاحجار
فيكون الحجر ههنا اسماً للجنس لا للمعهود وهذا اذا كان
العاهر محصنا فان كان غير محصن فالمراد بالحجر ههنا
على قول بعضهم الاعنات به والغلظة عليه بتوفية الحد الذى
يستحقه من الجلد له وفى هذا القول تعسف واستكراه
وان كان داخلاً فى باب المجاز لان الغلظة على من يقام
الحد عليه اذا كان الحد جلدا لا رجما لا يعبر عنها بالحجر
لان ذلك بعد عن سنن الفصاحة ودخول فى باب الفهاهة
فالاولى اذاً الاعتماد على التاويل الاول لانه الاشبه بطريقهم
والاليق بمقاصدهم ﷺ ومن ذلك قوله عليه السلام اللهم
انا نعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب والحور بعد
الكور وسوء المنظر فى الاهل والمال ﷺ وفى هذا الكلام
مجازان احدهما قوله عليه السلام من وعثاء السفر وهى
فعلاء من الوعث وهو ضد الجدود والسير فيه يشق على
القدم والمنسم فجعل عليه السلام طول السفر ومشقته وتكاليفه
ومشقته بمنزلة الوعثاء التى قاطعها تعب والسارى فيها نصب

والمجاز الآخر قوله عليه السلم والحور بعد الكور أى انتشار الامور بعد انضمامها وانفراجها بعد التيامها وذلك ماخوذ من حور العمامه بعد كورها وهو نقضها بعد ليها ونشرها بعد طيها وقد قيل ان معناه القلة بعد الكثرة والنقصان بعد الزيادة فكانه تعوذ من الانتقال عن حال حسنه الى حال سئية وعلى ذلك قول الشاعر

واستعجلوا عن شديد المضغ فابتلعوا
والذم يبقى وزاد القوم فى حور

أى فى نقصان والمعنيان متقاربان وقد روى هذا الكلام على وجه آخر فقيل من الحور بعد الكون بالنون من قولهم حار اذا رجع يقولون كان على حال جميلة فحار عنها أى رجع عما كان عليه منها والرواية الاولى اعرف عند اهل اللسان واشبه بمزاوجة الكلام ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم للشارب فى آنية الذهب والفضة انما يجرجر فى بطنه نار جهنم ﴾ برفع النار والاكثر من الروايات على نصبها وهذا القول مجاز لان نار جهنم على الحقيقة لا تجرجر فى جوفه والجرجرة صوت البعير عند الضجر والدأب قال امرء القيس يصف طريقا

على لاحب لا يهتدى بمناره اذا ساقه العود الديافى جرجرا

ولكنه عليه السلم جعل صوت جرع الانسان للماء
في هذه الاواني المخصوصة لوقوع النهي عن الشرب فيها
واستحقاق العقاب على استعمالها كجرجرة نار جهنم في بطنه
على طريق المجاز اذكان ذلك مفضيا به الى حلول دارها
واصطلاء نارها نعوذ بالله ولفظ الخبر يجرجر بالياء
والوجه ان يكون تجرجر بالتاء على قول من رواه برفع
النار ولكنه لما دخل بين فعل المؤنث وفاعله الذي هو النار
لفظ آخر حسن تذكير الفعل للبعد بينهما كما قال الشاعر
لقد ولد الاخيطل ام سوء وقد روى في خبر آخر كانما
يجرجر في بطنه ناراً فالانسان ههنا فاعل والنار مفعوله
وعلى هذه الروايه فالمراد كانما يجرعا في بطنه ناراً فقال
يجرجر طلبا لتضعيف اللفظ الدال على تكثير الفعل كما جاء
في التنزيل فكبكبوا فيها هم والغاوون والمراد فكبوا فيجوز
على هذا ان يقال جر وجرجر كما يقال كب وكبكب وان كان
الوجه ان يقال جرر وقد جاء في العرب جرجر فلان الماء
اذا جرعه متواترا له صوت كصوت جرجرة البعير
فيكون المراد على هذا القول كانما يجرع
نار جهنم وهذا اصح التأويلين فاما آنية الذهب والفضة
فلا يحل عندنا الاكل فيها ولا الشرب منها ولا يجوز ايضاً

استعمالها فى شيء مما يؤدى الى مصالح البدن نحو الادهان واتخاذ الميل للاكتحال والمجمر للبخور وكنت سألت شيخنا ابا بكر محمد بن موسى الخوارزمى رحمه الله عند انتهائى فى القراءة عليه الى هذه المسئلة من كتاب الطهارة عن المدخنة اذ لا خلاف فى المجمرة فقال القياس انها غير مكروهة لانها تستعمل على وجه المتتبع للمجمرة فهى غير مقصودة بالاستعمال لان المجمرة لو جردت من غيرها فى البخور لقامت بنفسها ولم تحتج الى المدخنة مضافة اليها فاشبهت الشرب فى الاناء المفضض اذا لم يضع فاه على موضع الفضة وفى هذه المسئلة خلاف للشافعى لانه يكره الشرب فى الاناء المفضض وذهب داود الاصفهانى الى كراهة الشرب فى اوانى الذهب والفضة دون غيره من الاكل والاستعمال فى مصالح الجسم مضياً على نهجه فى التعلق بظاهر الخبر الوارد فى كراهة الشرب خاصة وليس هذا موضع استقصاء الكلام فى هذه المسئلة الان المعتمد عليه فى كراهة استعمال هذه الاوانى الخبر الذى قدمنا ذكره لما فيه من تغليظ الوعيد وقد روى عنه عليه السلام انه قال من شرب بها فى الدنيا لم يشرب بها فى الاخرة فثبت بهذين الخبرين وما يجرى مجراهما كراهة الشرب فيها ثم صار الاكل والادهان

والاكتحال مقيساً على الشرب بعلة ان الجميع يؤدى الى منافع الجسم ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم وقد سئل عن ليلة القدر هى ليلة اضحيانه كان قمرآ يفضحها ﴾ وهذه استعارة لان حقيقة الفضح كشف القبيح وهو ان يكشف على الانسان ريبة اوتنى عليه سوءة ولكن القمر لما كاشفا للسدفة وصادعاً للظلامة اجراه عليه السلم مجرى الثانى للسوءة المخفاة والكاشف للريبة المغطاة وهذه من محاسن الاستعارات وقال الشاعر فى فضح الصبح للظلام

يارب كل ظابق ومسطبح * ورب كل شيطى منسرح *
ارسل على حوقاه فى الصبح الفضح * حويرنا مثل قضيب المجتدح * متى نضت من كعبها عرقا يرح *

قوله حويرنا تصغير حاريريد حبه طال بقاؤه حتى حاراى رجع من غلظ عظم الى دقة خلق وجسم فصارا كقضيب المجتحد وهو المجدح الذى يحرك به الشراب والسويق وما يجرى مجراهما ومن كلامهم رماه الله بافعى حاريه يريدون هذا المعنى وقوله يرح أى يميت ومثل ذلك قول العجاج اراح بعد الغم والتغمغم أى اماتت الله بعد الكرب والحناق وقيل يجوز ان يكون قوله يرح عائداً على العرق لاعلى الحية كانه قال متى نضب منها عرقا يحدث

فيه جرحاً اذا قيح كانت عنه رائحة خبيثة والقول الاول اسدو عليه المعتمد ﴿ومن ذلك قوله عليه السلام للضحاك بن سفين الكلابى وقد نعته مصدقا خذ من حواشى اموالهم﴾ وهذه استعارة على اصل وضعها فى كلام العرب لانهم يسمون صغار الابل حشواً وحاشية كانهم يشبهونها بحشو الشئ الذى يتاتى ذلك فيه كالمرفقة والحشيه لانها غير معتد بها كما ان الحشو غير معتد به وانما الاعتداد بما هو فى ضمنه ومن هذا الموضع سمو الرذال والطغام من الناس حشواً وقد يجوز ان يكونوا انما سموها بذلك تشبيها بحشوة الانسان التى هى حوايا جوفه وامعاء بطنه يقولون طعنه فانتثرت حشوته وضربه فخرجت حشوته وانما قيل لها حشوة حطالها عن منزلة ما هو اعلى قدراً منها من كرايم اعضاء الانسان التى يشتمل عليها جوفه كالقلب والنياط والكبد والفؤاد وقد يجوز ان يكون انما سموها بذلك تشبيهاً لها بحواشى الثوب فى انها كالتبع له وغير قائمة بذاتها دونه وكذلك صغار الابل تابعة لكبارها وغير قائمة بانفسها وعلى مثل هذا المعنى تسميتهم ردى المال ورذاله من الابل وما فى معناها شوى تشبيها له بشوى الانسان والفرس وغيره من الحيوان

ذى الاربع وهو الاطراف دون كرام الاعضاء وشرايف الاحشاء قال الشاعر

أكلن الشوى حتى اذالم نجد شوى
اشرنا الى خيراتها بالاصابع

أى أكلنا ارذال أبلنا فلما انفدناها عطفنا على خيارها واشرنا الى شيارها فكأنه عليه السلم نهى ان يأخذ المصدق من كرايم الابل وعقايلها وامره بالعدول الى حشوها واراذلها رفقا بأصحابها وحنوا على اربابها ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم بين يدى الساعه ينطق الرويبضه ﴾ وهذه استعارة لانه عليه السلم اراد امام الساعة فقال بين يديها تقريبا لهذه الحال من قيام الساعة لانه لو قال قبل الساعه لما افاد ذلك من القرب منها ما افاد قوله بين يديها لانك اذا اردت التقريب على من استرشدك مكانا تطلبه او انسانا تتبعه قلت له هو بين يديك اى قريب منك ولو قلت هو امامك لاحتمل البعد والقرب كما ان قبل يحتمل البعد والقرب هذا على الاغلب والاكثر وقد يجوز ان يكون قولك امامك وبين يديك عبارة عن مراد واحد وقالوا فى الرويبضة هو امرؤ السوء التافه وقالوا هو الفويسق الخامل ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم فى كلام وصف عدة من قبائل العرب وغطفان اكمه

خشناء يتقى الناس عنها ﴿ وهذا القول مجاز وذلك انه عليه السلام شبه غطمان لاشتداد شوكتها وانقاد جمرتها بالاكمة الشاقة التى تزل الاقدام عنها وتنقطع اطماع الراقين دونها ﴾ فجعل امتناع الناس من التعرض لها بمنزلة منعها لهم من التطرق اليها ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم فى كلام ذكر امرء القيس ابن حجر يجئ يوم القيمة معه لواء الشعراء الى النار وهذا القول مجاز وذلك انه عليه السلام لم يرد ان امرء القيس يحمل لواء الشعراء على الحقيقه وانما اراد انه يجئ يوم القيمة على مقدمتهم ويدخل النار قبلهم كما كان فى الدنيا متقدماً لهم ومقدماً عليهم وانما عبر عليه السلم عن هذا المعنى بحمل اللواء لان حامل اللواء فى الجحافل المجرورة يكون متقدماً متوعاً ونابهاً مشهوراً يطأ الناس على قدمه ويتلاحقون على آثار تقدمه ﴾ ومن ذلك قوله عليه السلم مامن جرعة تجرعها الانسان اعظم اجراً عند الله من جرعة غيظ فى الله وهذا القول مجاز والمراد بجرعة الغيظ ههنا الصبر عند الاهتياج والكظم عند الانزعاج وترك اتباع نوازع النفس الى ماتدعوا اليه فى تلك الحال من شفاء غيظ او تنفيس كرب او اطلاق عقال اوفعل مراقبة لله سبحانه وتحجزاً لثوابه واحتجازاً

عن عقابه وشبه عليه السلام تلك الحال بالجرعه لان الانسان كانه بالكظم لها والصبر عليها قد ضاق بها مرارة واساغ منها حرارة وعلى ذلك قول الشاعر

شربنا الغيظ حتى لو سقينا دماء بنى امية ماروينا

وقد روى هذا الخبر على خلاف هذا اللفظ وهو قوله عليه السلم ما تجرع عبد جرعة احب الى الله من جرعة مصيبة يردها بحسن عزاء اوجرعة غيظ يردها بحلم

﴿ومن ذلك قوله عليه السلام في خبر طويل روى عن انس بن مالك سمعه منه صلى الله عليه وآله في ذكر منافع كثير من بقول الارض ومضارها فقال عليه السلم عند ذكر الجرجير فوالذى نفس محمد ص بيده مامن عبد بات في جوفه شيء من هذه البقلة الابات الجذام يرفرف على رأسه حتى يصبح امان يسلم واما ان يعطب﴾ وهذا القول مجاز لان الداء المخصوص الذى هو الجذام لا يصح ان يوصف بالرفرفة على الحقيقة لانه عرض من الاعراض وانما اراد عليه السلم ان البايت على اكل هذه البقلة يكون على شرف من الوقوع من الجذام لشدة اختصاصها بتوليد هذه العلة فاما ان يدفعها الله تعالى عنه فتدفع اويوقعه فيها فيقع وانما قال عليه السلام يرفرف على رأسه عبارة عن دنو هذه العلة

منه فيكون بمنزلة الطائر الذى يرفرف على الشيء اذاهم بالنزول اليه والوقوع عليه بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم وهل يكب الناس على مناخرهم الا حصائد السنتهم وفى رواية اخرى على مناخرهم فى النار ﴾ وهذه من الاستعارات العجيبة والمراد بها ان اكثر معاثر الاقدام ومصارع الانام انما تكون بجرائر السنتهم عليهم وعواقب الاقوال السيئةالتى توثر عنهم هذا فى الدار الدنيا وعلى المتعارف بين اهلها والمتعالم من مجارى عاداتها فامافى الدار الآخرة فيؤخذون فيها باثام الاقوال كما يؤخذون باثام الافعال فيكبون على مناخرهم فى اطوار العذاب وبين اطباق النيران نعوذ بالله منها والعياذة عن هذه الحال بحصائدالالسنة من احسن العبارات لانه عليه السلم شبه ماتجدف به السنتهم من الاقوال المذمومة التى تسوء عواقبها ويعود عليهم وبالها بالزراع الذى يستوبى عاقبة زرعه والغارس الذى يستمر ثمره غرسه وهذا كقول القائل لمن اخذ بجريرة وعوقب على جريمة احصد مازرعت فى اجزماغرست ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم تدور رحا الاسلام لسنة كذا ﴾ وهذا مجاز والمراد ان الاسلام على هذا العهد يضطرب فى قراره

ويملق في نصابه بالولاة الذين يتنكبون واضح السبيل وينتقص على ايديهم مرر الدين فشبه عليه السلام الاسلام بالرحاء الساكنه في مستقرها القائمة على قطبها فاذا كان الوقت الذى وقع الايماء اليه دارت دور هرج واضطراب لادور قوة واستتاب ودور الرحا يكون عبارة عن حالين مختلفين احداهما مذمومة والاخرى محمودة المذمومة هي الحال التى بني الخبر عليها وعلى ذلك كان قول عثمان بن حنيف الانصارى رحمه الله يوم الجمل وكان في حيز امير المؤمنين عليه السلم وقد رأى استجرار القيل واستلحام لامر دارت رحاء الاسلام ورب الكعبه اراد ان الناكثين بيعة امير المؤمنين عليه السلم وهم اصحاب الجمل قد ازعجوا الاسلام عن مناطه وازحقوه عن قراره واما الحال المحمودة فهي ان يكون دور الرحا عبارت عن تحرك جد القوم وقوة امرهم وعلو نجمهم يقال دارت رحا بني فلان اذا اتفقت لهم هذه الاحوال المحمودة ومن هذا القبيل ايضا العبارت بدوران الرحا عن هزم عسكر لعسكر وكسر فيلق لفيلق قال الشاعر

طحنت رحاء بدر لمهلك فتية § ولمثل بدر تستهل الادمع

فهذه حال كان دور الرحا فيها محموداً لمن دارت له ومذموماً لمن دارت عليه وانما قالوا دارت رحا الحرب

لجولان الابطال فيها وحركات الخيل تحتها وقد روى هذا الخبر على وجه آخر وهو قوله تزول رحاء الاسلاو والمراد بذلك انها تزول عن ثباتها وتميل عن موضع استقرارها

﴿ ومن ذلك قولة عليه السلام من بايع اماماً فاعطاه صفقة يده وثمرة قلبه ونخيلة صدره فليطعه مااستطاع ﴾

فقوله عليه السلام وثمرة قلبه استعارة لان المراد بها خالصة صدره اى بايعه بطاعة صحيحه وبنية غير مدخوله فشبه عليه السلام ذلك بالثمره لانها لباب كل شيء وخالصته وصفوته وخلاصته ومثل ذلك الحديث الاخر عنه عليه السلم الولد مجلة مجنبة ومجهلة ثمرات القلوب وقرأت العين اراد عليه السلم ان الاولاد خالصه القلوب والاكباد كما ان الثمر خالصة النبات والاشجار وعندى فى ذلك وجه آخر وهو ان الولد من ابيه بمنزلة الثمرة من الشجرة لانه منه تفرع وبوساطته ظهر وطلع فلو قال الاولاد ثمرات الرجال لكان الغرض صحيحا والمعنى مستقيما الا انه عليه السلم اضافهم الى القلوب فجعلهم ثمارا لها دون سائر الاعضاء غيرها لان القلب سيد الاعضاء الرئيسة والاحناء الشريفة فحسنت حينئذ اضافة الولد الى القلب خصوصاً وان حسنت اضافة الى سائرا اعضاء الاب عموماً لانه عصارة مائه وخلاصة

اعضائه ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم وقد سئله رجل عما شيبه فقال هود واخواتها قصفت على الامم ﴿ وهذا القول مجاز لان اصل القصف كسر الشيء وحطمه ومن ذلك ماحكي عن بعض اليهود ولما قدم النبي صلى الله عليه وآله المدينة ان قال تركت بني قيله يتقاصفون بقباء على رجل يزعم انه نبي تقول من شدة ازدحامهم عليه كان بعضهم يكسر بعضا ومنه سميت الريح الشديدة قاصفا لانها تحطم الاشجار وتهدم الجدران فالمراد بقوله عليه السلم قصفت على الامم ان هوداً ومايجري مجراها من السور ايضا فيها ذكر مهالك الامم الخالية ومصارع القرون الماضية فنسب عليه السلام اهلاكهم الى هذه السورة لما كانت المترجمة عن ذكر هلاكهم والهاتفة ثانيا ببوارهم على طريق المجاز والاتساع قوله عليه السلم قصفن على اي تكون على اخبار تلك المهالك وانباء تلك المعاطب وهذا مجاز آخر لان السور متلوه وليس بتاليه ولكنه لما نسب فعل الهلاك اليها واقامها مقام المهلك المعطب حسن ان يقيمها مقام المتكلم المخبر ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم الرحم يتكلم بلسان طلق ذلق يقول صل من وصلني وقد روى ايضاً بلسان طلق ذلق بالضم في الحرفين جميعاً ﴿ وهذا الكلام مجاز والمراد ان الله سبحانه قد اوجب

على خلقه صلة الرحم وامرهم بالعطافة عليها والقيام
بالحقوق الواجبة لها فصارت بظاهر هذه الحال كانها ناطقة
بالحض على صلتها والدعاء لمن وصلها ومن كلامهم اطت
بفلان الرحم والاطيط هٰهنا الصوت فيه بعض الحنين كانها
دعته الى ان ترعى أدمتها وذكرته بما يجب عليه لها ويقولون
ارزمت اليه الرحم وناشدته الرحم وذلك فى لسانهم اشهر
من ان يحتاج الى اقامة الشواهد وايضاح الدلايل ﴿ ومن
ذلك قوله عليه السلم لاتمشوا على اعقابكم القهقرى ﴾
وهذه استعاره والمراد لاترجعوا عن دينكم ولاتكفروا
بعد ايمانكم فتكونو كالراجع على عقبه ناكساً لقدمه
وناكصاً بعد تقدمه فهذا وجه وقد يجوز ان يكون المراد
لاتولو عن الدين راجعين وتلتووا عنه منصرفين فعبر عن
الرجوع بعد الذهاب بالرجوع على الاعقاب لان من دعاتهم
ان تقولوا رجع فلان على عقبه اذا ادبر عن وجهته او خالف
قصد جهته والمعنيان متقاربان ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم
من اتاكم وامركم جمع ﴾ يريد ان يشق ﴿ عصاكم ويفرق
جماعتكم فاقتلوه ﴾ فقوله عليه السلام يريد ان يشق عصاكم
استعاره والمراد به تفريق امرهم وتشتيت جمعهم فشبه ذلك
بشق العصا لان عن شقها يكون نشضيها وتطاير الصدوع

فيها قال الراعي

فتشققت من بعد ذاك عصاهم
شققا وغودر جمعهم مفلولا

اى انتشرت امورهم وتفرقت جموعهم ومثل ذلك من كلامهم قولهم فض الله مروتهم وهي الصخرة وفض الله خدمتهم وهي الحلقة فكأنهم شبهوا التيام جموعهم بالصخرة الململمة وشبهوا التحام شؤونهم بالحلقة المأطورة ويجوز ان يكون بشق العصا وجه آخر وهو ان يراد به فل شوكتهم وايهان قوتهم لان العصا لصاحبها قوة يدفع بها وبسطة يعول عليها الا ترى الى قوله تعالى حاكيا عن موسى عليه السلام هذه عصاى أتوكؤ عليها واهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى فجمل من مرافقها الاعتماد عليها والهش على الغنم بها ومن المآرب الاخرى التي فيها ان تكون آلة لدفاعه وعدة لقراعه وهي بعد عون للماشي وهداية للعاشي وسلاطة للراعي ❊ ومن ذلك قوله عليه السلام من لبس في الدنيا ثوب شهرة البسه الله ثوب مذلة ❊ وهذه استعارة والمراد ان الله سبحانه يشمله بالمذلة حتى يضفوا عليه من جهاته ويلتقي عليه من جنباته كما يشمل الثوب بدن لابسه فيكون ساد الخلله ومغطياً

لفرجه ومعنى هذه المذلة ان يحقره سبحانه فى القلوب
ويصغره فى العيون وربما زيد فى هذا الخبر اليه الله توب مذلة
فى الآخرة والمذلة فى الاخرة هى حرمان الثواب وانزال العقاب
﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم ﴾ وقد جاء رجل بامرأته
يشكو خلقها فأخذ عليه السلام برأسيهما وقال ﴿ اللهم
ار بينهما ﴾ وهذه استعارة والمراد اللهم قرب بينهما ولائم
بين خلقيهما وذلك مأخوذ من الارى وهى الاخية التى تربط
الدابة اليها فكأنه عليه السلام دعا لهما ان يكونا كالدابتين
على الارى فى المقاربة والملازمة وعدم النفار والمباعدة وقد
يجوز ان يكون ذلك مأخوذاً من قولهم اريت العقدة
اذا شددتها واحكمت عقدها فكأنه عليه السلم دعا لهما
بان يكون عقد الود بينهما فيكون اخلاقهما متوافقة
واحوالهما متلائمة وقد يجوز ايضاً ان يكون ذلك مأخوذا
من قولهم ارى فلان بالمكان اذا قام به فكأنه عليه السلام
دعا لهما بان يثبتا على الالفة ويدوما على المودة والتأرى
ايضاً التوقع للشيء والانتظار له قال الشاعر

لا يتأرى لما فى القدر يرقبه
ولا يعض على شرشوفة الصفر

﴿ ومن قوله عليه السلم فى هجاء شعراء الاسلام لمشركى

قريش فو الذى نفسى بيده لكانما ينضحونهم بالنبل
وقد يجوز ان يكون ذلك مأخوذاً من قولهم نضح الشجر
وينضح نضحاً اذا تفطر للتوريق فكانه عليه السلم قال
شققوا جلودهم بنبلكم كما يتشقق الحبة الشجر عن طوالع
اوراقه ونواجم افنانه ومن ذلك قوله عليه السلم وقد
كسا اسامه بن زيد قبطية فكساها امرأته فقال له عليه السلم
اخاف ان تصف حجم عظامها وهذه استعارة
والمراد ان القبطية برقتها تلصق بالجسم فتبين حجم الثديين
والرادفتين وما يشذ من لحم العضدين والفخذين فيعرف
الناظر اليها مقادير هذه الاعضاء حتى يكون كالظاهر للحظه
والممكنة للمسه فجعلها عليه السلام لهذه الحال كالواصفة
لما خلفها والمخبرة عما اشتر بها وهذه من احسن العبارات
عن هذا المعنى وهذا الغرض رمى عمر بن الخطاب فى قوله
اياكم ولبس القباطى فانها لا تشف تصف فكان رسول
الله صلى الله عليه وآله ابى عذر هذا المعنى ومن تبعه فانما
سلك نهجه وطلع فجه ومن ذلك قوله عليه السلام لا
تعضيه فى ميراث الا فيما حمل القسم وهذه استعارة
والمراد بالتعضية التفريق من قولهم عضى الجزور اذا نحرها
وقسم اعضاءها وفرق اشلاءها فشبه عليه السلام الميراث

المقتسم بالاعضاء المتفرقة والاشلاء الموزعة ومعنى الاما حمل القسم اى ما احتمل اذا قسم انضاءً وفرق اجزاءً الا ان يكون ذلك مضراً به ومفسداً له وما لا يحتمل القسم كالحمام من العقار والذرة من العروض وما فى معنى هذين الجنسين من المال الموروث وعلى ذلك قول الشاعر

﴿وليس دين الله بالمعصا﴾ اى ليس الدين بالمفرق الموزع ولكنه المضموم المجتمع ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام فى كلام ولا تسلط عليهم عدواً من سوى انفسهم فتستبيح بيضتهم ﴾ وهذه استعارة والمراد بالبيضة ههنا مجتمع امته عليه السلام وموضع سلطانهم ومستقر دعوتهم وشبه ذلك بالبيضة لاجتماعها وتلاحك اجزائها واستناد ظاهرها الى باطنها وامتناع باطنها بظاهرها وقد يجوز ان يكون المراد بالبيضة ههنا المغفر الذى هو من لامة الحرب فكانه عليه السلام شبه مكان اجتماعهم ومظنة اتفاقهم والتيامهم ببيضة الحديد التى تحصن الدراع وترد القوارع وكان شيخنا ابو الفتح النحوى رحمه الله يقول قولهم فيها الجماء العفير يريدون به البيضة التى هى المغفر وسموها جماء لملاستها وغفراً التغطيتها كانهم بهذا الكلام يصفون قوماً بالقوة والاجتماع والكثرة والاحتشاد فشبهوا اقوتهم

بالحديد الذى هو النهاية فى الشدة وشبهوا كثرته فى أن بعضهم ليستر بعضا بالمغفر الذى هو غطاء لما تحته من شعر الهامة وفى هذا الكلام مسئلة من الاعراب وهى من مسائل الكتاب وليس كتابنا هذا مقتضيا لذكرها فتتعاطاه لاسيما وغرضنا فيه اتباع نهج الاختصار والانحراف عن طريق الاكثار والاطناب ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام من كسب مالا من نهاوش انفقه من نهابر ﴾ وفى هذا الكلام مجاز والمراد بالنهاوش على ماقاله اهل العربية اكتساب الاموال من النوحى المكروهة والوجوه المذمومة ومن غير حلها ولا حيد سبلها وذلك مأخوذ من نهش الحيه كانها تنهش من هانها ومن هنا لايتقى منهشا ولا يجتنب ملدساق ذلك ضدقوله عليه السلم على أحد التاويلين اطلبو المال من حسان الوجوه أى من وجوه المكاسب الطيبة التى يحسن الطلب منها ولا يذم التعرض لها وقال ابو عبيده هو مهاوش بالميم يريد أخذ المال من التلصيص نحو لصوص بنى سعد وقال غيره ذلك مأخوذ من الهوش يقال تهاوش القوم اذا اختلطوا ومنه قوله عليه السلم اياكم وهوشات الاسواق أى اختلاطها بها وفسادها والميم زآئدة فى بناء الكلمة والمعنى راجع الى ماقاله ابو عبيدة لان

الاموال المأخوذة من التليص موصوفة بالاختلاط فى انفسها والاخذ لها موصوف بالتحليط فيها وقوله عليه السلم انفقه فى نهابر فى الوجوه المحرمة التى يضيع الانفاق فيها ولا يعود اليه نفع منها وذلك ماخوذ من نهابر الرمل واحدتها نهبورة وهى وهدات تكون بين الرمال المستعظمة اذا وقع البعير فيها استرخت قوائمه ولم يكد يتخلص منها ويقال حفر بين الاكام يصعب السلوك بها وتكثر المعاثر فيها فكانه عليه السلم شبه مايكسب من الحرام وينفق فى الحرام بالشيء الواقع فى تجمة الرمل لايرجى وجوده ولا ينشد مفقوده ومع ذلك فقد ارصد لمنفقه اليم العذاب وعظيم العقاب ﴿ومن ذلك قوله عليه السلم فى كتاب كتبه لبعض الوفود لايباح ماؤه ولايعقر مرعاؤه﴾ وهذه استعارة والمراد به لايقطع مافيه من شجر اوكلام الاباذن صاحبه فشبه عليه السلام مايقطع من الشجر بما يعقر من الابل وذلك من التشبهات الواقعة والتمثيلات النافعه لان سقوط الشجر عن قطعها كسقوط البدنة عن عقرها ﴿ومن ذلك قوله عليه السلام الولاء لحمة كلحمة النسب لايباع ولا يوهب﴾ وهذه استعارة لانه عليه السلام جعل التحام الولى بوليه التحام النسيب بنسيبه فى استحقاق الميراث وفى

كثير من الاحكام وذلك ماخوذ من لحمة الثوب لسداه لانهما يصيران كالشيء الواحد بما بينهما من المداخله الشديدة والمشابكة الوكيدة ويقال لحمة البازى ولحمة النسب ولحمة الثوب واحد وهى المشابكة والمخالطة الا انهم فرقوا بين اللفظين ليكون ذلك تميز المسميين ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام المؤمن مؤه راقع وهذه استعارة والمراد ان المؤمن اذا اساء احسن واذا اخطأ ندم فكانه يوهى دينه بمعصيته ويرقعه بتوبته فشبهه عليه السلام بمن يخرق ثوبا ثم يبادر رقع ماخرق ورتق ما فتق ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام من خلع يدا من طاعة لقى الله ولا حجة له ﴾ وهذه استعاره والمراد بخلع اليد هاهنا الخروج عن طاعة الامام العادل فشبه عليه السلام من يخرج عن طاعة سلطانه بالاسير الذى نزع يده من ربقته واخرج عنقه عن جامعته فكأنه عليه السلام اقام لوازم الطاعة فى الاعناق مقام الجوامع فى الايدى والرقاب وجعل الخارج منها كالمارق من ربقة الاسر والناصل من مثناة الحبل ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام من كانت نيته الآخرة جعل الله سبحانه غناه فى قلبه واتته الدنيا وهى راغمة ﴾ وهذه استعارة والمراد اتته الدنيا من حيث لا يطلبها ودرت عليه منافعها من حيث

لايحتسبها فاقام عليه السلام مواتاة الدنيا من غير طلب مقام آبائها راغمة واقبالها عليه ضارعة واصل الرغم ان يلصق الانف بالرغام وهو التراب وقيل الرمل وليس يكاد يكون ذلك الا عن غاية الخشوع ونهاية الخضوع ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم عليكم بسنتى وسنة المهديين من بعدى وعضوا عليها بالنواجد ﴾ وهذا مجاز والمراد ان اقطعوا عليها وقفوا عندها ولا تجاوزوها الى غيرها كما ان من شدد العض بنواجده على الشيء الذى يتأتى فيه القطع قطعه والنواجد اقصى الاضراس وهى اقواها وامضاها وقد يجوز ان يكون المراد الامر بلزوم سنته عليه السلام كان العاض بنواجده على الشيء الذى لا يتأتى فيه القطع يلزمه اشد اللزوم لقوة الموارم واستحصاف اللوازم ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام حبك الشيء يعمى ويصم ﴾ وهذا مجاز لان الحب للشيء على الحقيقة لا يعمى ولا يصم وانما المراد ان الانسان اذا احب الشيء اغضى عن مواضع عيوبه كانه لا ينظرها واعرض عن الملاوم والمعاتب من اجله كانه لا يسمعها فصار من هذا الوجه كالاعمى لتغاضيه والاصم لتغابيه ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام تنام عيناى ولا ينام قلبي ﴾ وهذا القول عند المحققين من العلماء مجاز

لانه عليه السلام لوكان قلبه لاينام على الحقيقة كقلوب
الناس لكان ذلك من اكبر معجزاته وابهر آياته ولوجب
ان تتظاهر الاخبار بنقله كما تظاهرت بنقل غيره من اعلامه
ودلالته ومما يحقق قولنا مارواه عبدالله ابن عباس رحمهما
الله من انه صلى الله عليه وآله نام ونفخ فصلى ولم يتوض
فقيل له عليه السلام فى ذلك فقال ليس الوضوء على من نام
قاعدا انما الوضوء على من نام مضطجعا وفى بعض الروايات
اومتوركا فانه اذا نام كذلك استرخت مفاصله فبين عليه
السلام انه لونام مضطجعا للزمه الوضوء لاسترخاء مفاصله
فلو كان قلبه لاينام لما وجب عليه الوضوء اذانام مضطجعا
كمالايجب عليه اذا نام قاعداً وقد يجوزان يكون المراد بقوله
عليه السلام تنام عيناى ولا ينام قلبى انه لايعتقد فى حال
نومه من الرويا الفاسدة والمنامات المتضادة مايعتقده غيره
من ساير البشر فيكون فى حكم المستيقظ وبمنزلة المتحفظ
ومن ذلك قوله عليه السلام اياكم والمشارة فانها
تحى العزة وتميت الغرة وهذه استعارة عجيبة والمراد بها
إن مشارة الناس تظهر المعايب وتخفى المناقب لان المهاتر
المشاغب لايقد لمخاصمة على مثلبة الا بحثها ولا يجد له
منقبة الا دفنها فكأنه يميت محاسنه ويحى مساويه وجعل

عليه السلام الغرة فى مكان المنقبة لتحمل الانسان بنشرها وجعل الغرة فى مكان المثلبة ليهجن الانسان بكشفها وقد قيل أن المراد بالعزة ههنا النفيسة من المال ومنه قول الشاعر

شهاد انجية الكرام § عزيز التلاد منيل الطعام

اراد بعزيز التلاد كرايم المال والمراد بالغرة البلاء والهلاك ماخوذ من الغرة وهى قروح تصيب الابل وهذا القول ذكره ابو عبيده والقول الاول اشبه بظاهر الكلام وابعد من الاعتساف والاستكراه ومما يؤكد ذلك ماروى عن حدنا الصادق جعفر ابن محمد عليه وعلى ابائه السلام انه قال اياكم وتمداد العزة فانها تكشف العودة وتورث المغرة فهذا كالبيان لذلك الاجمال والاخراج من ذاك الاحتمال ✽ ومن ذلك قوله عليه السلام دب اليكم داء الامم من قبلكم الحسد والبغضاء هى الحالقة حالقة الدين لا حالقة الشعر ✽ وهذه استعارة والمراد بالحالقة ههنا المبيرة المهلكة اى هذه الخلة المذموته تهلك الدين وتستأصله كما تستأصل الموسى الشعر والمقراض الوبر وعلى هذا قول الشاعر

ارسل عليهم شبه ماسورة

تختلف الناس اختلاف النورة

اى تبير الناس فتاتى على نفوسهم اوتاتى على اموالهم من

الابل والشياة فتكون كانها قداتت على نفوسهم باتيانها على ماهو قوام نفوسهم وانما جعل عليه السلام البغضاء حالقة للدين لانها سبب التفاني والتهالك والايقاع في المعاطب والمهالك والداعي الى سفك الدم الحرام واحتمال اعباء الآثام ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام قيدوا العلم بالكتاب ﴾ وهذه استعارة لانه عليه السلام جعل ضروب العلم بمنزلة الامل والصعاب التي تشردان لم تعقل وتندان لم تقيد وجعل الكتاب لهما بمنزله الاقتار المانعة والعقل اللازمة ومن هناك ايضاً سموا مثل شكل الخط تقيداً فقالوا خط مقيد بالشكل كانه حفظ عليه ايضاحه في افهامه ولولا الشكل لضل بيانه وانكر عرفانه ومما يشبه ذلك الحال التي من اجلها سمي العقل عقلا وهو عندنا اسم لعلوم مخصوصة يطول بتعدادها الكتاب منها العلم بمجاري العادات ومنها العلم بالمشاهدات وهو اقوى هذه العلوم واولاهنا بالتقديم لان الانسان اذا لم يعمل المشاهدا لم يصح ان يعلم شيئا غيرها من المعلومات ومنها العلم بان الشيء لايخلو من وجود او عدم والموجود لايخلو من حدوث اوقدم وان الجسم لايجوز ان يكون في مكانين في وقت واحد والجسمين لايصح كونهما في مكان واحد في حال واحدة ومنها العلم بقبيح كثير من المقبحات كنحو

الظلم والكذب الذى ليس فيه جر منفعة ولادفع مضرة والامر بالقبيح وكفران النعمة ومنها العلم بحسن كثير من المحسنات كنحو ارشادالضال وبذل الافضال ومنها العلم بوجوب كثير من الواجبات كنحوا الانصاف والعدل وشكرالمنعم ونترك الظلم ومنها العلم بتعلق الفعل بالفاعلين والاضطرار عند احوال مخصوصة الى كثير من قصود المخاطبين ومنها معرفة مايمارسه الانسان من الصنايع المتعاطاة والحرف المعتادة ومنها معرفة مايسمعه من مخبر الاخبار اذا كان المخبرون عدداً مخصوصا وكانوا عالمين بما اخبروا به اضطراراً وقد تركنا ذكر كثيره من هذه الاقسام عدولا الى جانب الاختصار وذكرلى قاضى القضاة ابوالحسن عبد الجبار بن احمد عند قرآتى عليه ماقرأته من كتابه الموسوم بالعمد فى اصول الفقه ان هذه العلوم المخصوصة انما سميت عقلا لانها تعقل عن فعل المقبحات وذلك لان العالم بها اذا دعته نفسه الى ارتكاب شيء من المقبحات منعه علمه بقبحه من ارتكابه والاقدام على طرق بابه تشبيها بعقال الناقة المانع لها من الشرود والحايل بينها وبين النهوض ولهذا المعنى لم يوصف القديم تعالى بانه عاقل لان هذه العلوم غير حاصلة له اذ هو عالم

بالمعلومات كلها لذاته قال وقيل ايضا انما سميت هذه العلوم
المخصوصة عقلا لان ماسواها من العلوم يثبت بثباتها
ويستقر باستقرارها تشبيها بعقال الناقة الذى به تثبت فى مكانها
ولمثل ذلك قليل معقل الجبل للمكان الذى يلجأ اليه ويعتصم
به وله سميت المراة عقيله وهى التى يعصمها شرف بيتها وكرم أصلها
وقوة حزمها من الاقدام على ما يشينها والتعرض لما يعيبها
والكلام فى تفصيل هذه العلوم وبيان ما لاجله احتيج
الى كل واحد منها يطول وليس هذا الكتاب من مضان
ذكره ومواضع شرحه ﴿ومن ذلك قوله عليه السلام
سيحرصون بعدى على الامارة فنعمت المرضع وبئست
الفاطم﴾ وهذه استعاره كانه عليه السلام اقام الامارة فى
حلاوة اوايلها ومرارة اواخرها مقام المرضع التى تحسن
الرضاع وتسئ الفطام وهذا من اوقع تشبيه واحسن تمثيل
لان مداخل الامارة محبوبة ومخارجها مكروهة لما فى
المداخل اليها من قضاء الارب وعلو الرتب ولما فى المخارج
عنها من طرق السوء وشمات العدو ﴿ومن ذلك قوله عليه
السلم لا تغالوا بمهور النساء فانما هى سقيا الله سبحانه﴾ وهذه
استعارة والمراد اعلامهم ان وفاق النساء المنكوحات
وكونهن على ارادات الازواج ليس هو بان يزاد فى مهورتهن

ويغالى بصدقاتهن وانما ولك الى الله سبحانه فهى كالاحاظى والاقسام والحدود والارزاق فقد يكون المرأة منزورة الصداق واقعة بالوفاق وقد يكون ناقصة الفقه وان كانت زايدة الصدقة فشبه ذلك عليه السلام بقيا الله يرزقها واحد ويحرمها آخر ويصاب بها بلد ويمنعها بلد وهذه من احسن العبارات عن المعنى الذى اشرنا اليه ودللنا عليه ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام فى جملة كلام ضربه مثلا ان الله سبحانه جعل الاسلام دارا والجنة مأدبة والداعى اليها محمدا صلى الله عليه وآله ﴾ وهذا الكلام مجاز لانه عليه السلام اقام الاسلام مقام الدار المتجمعة والجنة مقام المأدبة المصطنعة والنبى عليه السلام مقام الدال عليها والداعى اليها وانما شبه عليه السلام الاسلام بالدار من حيث كان جامعا لاهليته حاميا لمن فيه وشبه الجنة بالمأدبة من حيث كانت مجتمع الشهوات ومنتجع اللذات وشبه نفسه عليه بالداعى اليها من حيث كان المرشد الى الاسلام والهادى للانام صلى الله عليه وآله الطيبين الاخيار ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام انا النذير والموت المغير ﴾ وهذه من الاستعارات الناصعة والمجازات الواضحة لان الاستعارة على ضربين ظاهرة تعرف بحليتها وغامضة يضطر الى استنباط

خبيتها فكانه عليه السلم شبه الموت الذى يطلع الثنايا ويطلب البرايا بالجيش المغير الذى يهجم هجوم السيل ويطرق طروق الليل وشبه نفسه عليه السلم بالنذير المتقدم امامه يحذر الناس من فجئه ليعد والصادق يتزود الازواد وهذا القول منه عليه السلم تصديق لقول الله سبحانه فيه ان انا الا نذير لكم بين يدى عذاب شديد وقد تكلمنا على هذه الآية فى كتابنا الموسوم بمجازات القرآن ويقال انه عليه السلم لما نزلت هذه الآية اتى على ابى قبيس ونادى ياصباحاه فلما اجتمع الناس اليه قال لهم يامعشر قريش ولوكنت مخبركم بان جيشا يطلع عليكم من هذه الثنيه اكنتم مصدقى قالوا اجل والله ماعلمناك الا صادقا مصدقا قال فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد فلما سمعوا ذلك انفضوا عنه ارتكاساً فى الغواية واتباعا للضلالة ولقد احسن صلى الله عليه وآله ضرب المثل لهم وسلك الطريق الاخصر فى حياشتهم وتقريب الامر عليهم ولكن عشوا عن النور الا بلج وابوا غير الطريق الاعوج

ومن ذلك قوله عليه السلم فى وصف الفرس الذى جاء سابقا انه لبحر وهذا مجاز وربما طعن بعض الجهال بمناديح كلام العرب فى هذا القول بأن يقول كيف

شبه عليه السلام سرعة جرى الفرس بالبحر والبحر راكد لايجرى وقايم لايدرى فجوابه ان يقال انما شبه عليه السلم اتساعه فى الجرى باتساع ماء البحر الاتراهم يقولون انه لواسع الحضر ووساع الخطو يريدون هذا المعنى والبحر فى كلام العرب الشئ الواسع ومن هناك سموا البلدة المتسعة لاقطار بحره وقد يجوز ان يكون المراد بتشبيهه بالبحران جريه عزيز لاينفد كما ان ماءالبحر كثير لاينضب ويقال للفرس الكثير الجرى بحر وفيض وسكب وعلى هذا قول الشاعر

وفى البحور تعرق البحور

قيل اراد الخيل السابقة التى تسبقها خيل اسبق منها فقد بان ان التشبيه واقع موقعه وان الطاعن فيه لم يفهم غرضه ومن ذلك قوله عليه السلم الا اخبركم باحبكم واقربكم منى مجالس يوم القيمة احاسنكم اخلاقا الموطؤن اكنافا الذين يألفون ويؤلفون الا اخبركم بأبغضكم الى ابعدكم منى مجالس يوم القيامة الثرثارون المتفيهقون فقوله عليه السلام الثرثارون المتفيهقون استعارة والمراد به الذين يكثرون الكلام ويتعمقون فيه طلبا للتكلف وخروجا عن القصد وتباعدا عن الحق واصل الثرثار ماخوذ من

العين الثرثارة وهى الواسعة الارجاء الغزيرة الماء . يقال عين ثرة وثرثارة وبذلك سمى الثرثار وهو النهر المعروف بالشام وقال الاخطل ﴿ لعمرى لقد لاقت سليم وعامر على جانب الثرثار راغية البكر ﴾ قال المبرد وليست الثرة عند النحويين والبصريين من لفظ الثرثارة ولكنها فى معناها وقوله عليه السلم المتفيهقون يريد به مايريد بقوله الثرثارون ومتفيهق متفيعل من قولهم فهق الغدير تفهق اذا اكثر ماءه وطمت حماته ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام فى وصيه لمعاذ بن جبل وامت امر الجاهلية الا ماحسنه ﴾ وهذه استعارة والمراد توصيته بان يحمل امر الجاهلية بنقض احكامها وخفض اعلامها حتى ينسى ذكرها ويعفوا اثرها فتكون كالميت الذى نسى ذكره وانقطع خبره ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام الصوم جنة والصدقة تطفى الخطيئة ﴾ وهاتان استعارتان احدها قوله عليه السلام الصوم جنه والمراد ان الصائم الذى يخلص فى صومه ويستكمل آخر يومه يكون بالاخلاص فى ذلك الصوم كانه قدلبس جنة من العقاب واخذ امانا من النار وللصوم مزية على سائر العبادات فى هذا المعنى وان كانت اذا اديت على شروطها بهذه الصفة وذلك ان

الصيام لايظهر أثره بقول اللسان ولافعل الاركان وانما هونية في القلوب وامساك عن حركات المطعم والمشرب فهو يقع بين الانسان وبين الله خالصا من غير رياء ولانفاق وساير العباد وضروب القرب والطاعات وقد يجوز ان يفعل على وجه الرياء والسمعة دون حقايق الاخلاص والطاعة وقال لي ابو عبدالله محمد بن يحيي الجرجاني المقبه عند اصحابنا ان الصلوة افضل من الصيام لانها تتضمن مافي الصيام من الامساك وفيها مع ذلك الخشوع وتلاوة القرأن وقال النبي (ص) عليه السلام لايزال العبد في جهاد الشيطان مادام في صلوته فجعل الصلوة ايضاً تتضمن معنى الجهاد فاما ماروى في الخبر من انه عليه السلم قال حاكياً عن الله تعالى كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لي وانا اجزى به فليس مافيه من تفضيل الصوم بدال على ان غيره من العبادات ليس بافضل منه وانما وجه اختصاصه بالذكر من بين العبادات على التعظيم له لاجل ماقدمنا ذكره من انه لايفعل الا على محض الاخلاص ولايتأتى في حقيقته شيء من الرياء والنفاق وقد جاء عنه عليه السلام انه قال ليس في الصوم رياء وهذا بيان للمعنى الذى تكلمنا عليه وحكي عن سفين بن عيينه في تفسير هذا الخبر انه قال الصوم

هو الصبر لان الانسان يصبر عن المطعم والمشرب والمنكح وقد قال تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب يقول فثواب الصوم ليس له حساب يعلم من كثرته على قدر كلفته ومشقته وقد جاء عنه عليه السلام انه قال ليس فى الصوم رياء وهذا بيان للمعنى الذى تكلمنا عليه والاستعارة الاخرى قوله عليه السلام والصدقة تطفى الخطيئة وذلك انه عليه السلام جعل الخطيئة بمنزلة النار من حيث كانت مفضية الى عذاب النار وجعل الصدقة مطفيه لها اذا كثرت فأثرت فى سقوط عقابها وهذا القول يصح على طريقة من يقول بالموازنة فاذا كان عقاب الخطيئة مأة جزء وكان ثواب الصدقة خمسين جزءا سقط من اجزاء العقاب بقدر اجزاء الثواب فكان الصدقه بنقصانها من قدر العقاب قد اطفأت وقدته وكسرت سورته وكان ابو هاشم يختار فى الاحباط والتكفير الموازنه وكان ابو على يقول ان الزايد يسقط الناقص من الثواب والعقاب لا على طريق الموازنة ولا يجوز ان يتساوى ما يستحق على الطاعة وما يستحق على المعصية لانهما لو تساويا لسقطا فلم يكن المكلف مستحقا لحمد ولا لذم ولا مستوجبا لثواب

ولا عقاب وقدامنا الاجماع من ذلك الامة مجمعة على ان كل من كلفه الله سبحانه فى الدار الدنيا فهو فى يوم المعاد فى أحدى الدارين مثابا اومعاقبا ويبين ذلك قوله سبحانه فريق فى الجنة وفريق فى السعير والكلام على تفصيل هذه الجملة يخرجنا غرض الكتاب ويدخلنا فى باب الاطناب

﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام لكعب بن عجره فى كلام طويل يا كعب بن عجره الناس غاديان فغاد مبتاع نفسه فمعتقها وغاد بايع نفسه فموبقها ﴾ وهذه استعارة والمراد ان احدهما يعصم نفسه من اتباع الشهوات وركوب الموبقات وقام بوظايف الواجبات فامن ضرب العقاب ونقاش الحساب فكانه ابتاع نفسه بذلك فاعتقها واستشلاها واستنقذها والآخر اتبع نفسه هواها واوردها ارداها بالنهوك فى المغاوى والارتكاس فى المهاوى والتقاعس عن الواجبات والاسراع الى المقبحات فكانه باع نفسه بذلك فاوبقها وعرضها للهلكة فاوردها وهذه من احسن العبارات عن المطيع الناجى بطاعته والعاصى الهالك بمعصيته

﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام ان من اشراط الساعة سوء الجوار وقطعية الارحام وان يعطل السيف من الجهاد وان يختل الدنيا بالدين والكلمة الاخيرة داخلة ﴾ فى باب المجاز

والمراد بها النهي عن طلب منافع الدنيا وحطامها واستدراب اجلابها وموادها باظهار الورع وابطان الطمع فكان الانسان بذلك يختل الدنيا ليرمى تغرتها ويصيب غرتها كالصائد الذى يختل الوحش بضروب الحيل حتى تعلق فى حباله وتنشب فى اشراكه وعلى ذلك قول الكميت بن يزيد

وانى على حبيهموا وتطلعى § الى نصرهم امشى الضراء واختل

وقد يجوز ان يكون المراد وان يختل اهل الدنيا بالدين فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه على مثال قوله سبحانه واسئل القرية وهذا النوع فى الكلام لا يحصى كثرة ❊ ومن ذلك قوله عليه السلام فى كلام طويل ولا تكلم اليوم بكلام تعتذر منه غداً واحزن لسانك ❊ وهذه استعارة والمراد بخزن اللسان حفظ فلتاته وكف جمحاته حتى لا يسرع الى ما تسوء مغبته ولا يؤمن عاقبته فاقام عليه السلام ضبط اللسان عن ذلك مقام الخزن له فاجراه مجرى المال الذى يحفظ فلا ينفق فى الوجوه المفسدة والمخارج المضرة ولا يكون انفاقه الا فيما جر منفعة اودفع مضرة ❊ ومن ذلك قوله عليه السلام من جملة كلام العلم خليل المؤمن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قيمه واللين اخوه والرفق والده والصبر امير جنوده ❊ وهذه الالفاظ كلها

مستعاره ونحن بتوفيق الله نتكلم عليها ونبين مواضع الاستعاره منها فالمراد بقوله عليه السلم العلم خليل المؤمن انه يأنس به من الوحشة ويسكن اليه فى الوحده كما يأنس الخليل بخاليلة ويسكن الحميم الى حميمه والمراد بقوله عليه السلم والحلم وزيره انه يقوى به على الامور ويوازره على كظم المكروه والمراد بقوله عليه السلم والعقل دليله انه بالعقل يهتدى فى ظلم المشكلات وينجوا من مضايق الغمرات فهو كالدليل الذى يرشد فى المظال ويجنب عن المزال والمراد بقوله عليه السلم والعمل قيمه ان العمل يثقف ميله ويقوم زلله ويسد خلله فهو كالقيم الذى يأتى لمصالح مايقوم عليه ومراشد مايوكل اليه والمراد بقوله عليه السلم واللين اخوه ان اللين يفيده مواخاة الاخوان ومخالصتهم ويحفظ عليه صفاهم ومودتهم فجعله عليه السلام اخاه من حيث كان سبباً لاجتلاب الاخوان اليه وحفظ الموداة عليه والمراد بقوله عليه السلام والرفق والده كالمراد بقوله واللين اخوه لان الرفق يقبل اليه بالقلوب ويطار عليه كوا من الصدور فيصير كل واحد فى الحنو عليه والميل اليه كالوالد الرؤف والجد والمعطوف والمراد بقوله عليه السلام والصبر امير جنوده ان الصبر ملاك امره وشداد ازره وبه يبلغ الآراب وتدرك المحاب فهو كامير جنده الذى

يقوى به على اعداء ويصل به الى اغراضه وطلباته وقد يجوز
ان يكون المراد ان الصبر رأس خلاله ورئيس خصاله فهو
متقدم عليها وكالامير اسايرها كما ان الامير متقدم على رعيته
وشأن على من فى طبقته ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام فى
جملة كلام والمهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء
بنفسه ﴾ فقوله عليه السلام شح مطاع استعارة كانه اقام الشح
مقام الامر بالامساك والمخوف من عواقب الاقتاد واقام
البخيل مقام المطيع لامره والمتصرف على حكمه وقد بين
عليه السلام ذلك فى خطبة له فقال واياكم والبخل فانه
اهلك من كان قبلكم امرهم بالقطيعة فقطعوا وامرهم
بالفجور ففجروا فبين عليه السلام كيف يكون البخل
امراً مطاعاً وقايداً متبوعا وهذه ايضاً استعارة اخرى لان
البخل على الحقيقة لايكون امراً ناهياً ولاقائدا مخاطبا
والمراد بقوله عليه السلام امرهم بالقطيعة فقطعوا ان
البخلاء يضنون بمالهم على اهل الحاجة من اقربائهم واولى
الخلة من ذوى ارحامهم فيكونون بذلك قاطعين للرحم القريبة
وعاقين للاعراق الوشيجة والمراد بقوله عليه السلام وامرهم
بالفجور ففجروا ان البخل حسن لهم منع الاموال من
الانفاق فى الحقوق واسلاكها سبل المعروف فأجرى عليهم

لهذه الحال اسم العجور ﴿ومن ذلك قوله عليه السلام
انكلمه الحكيمه ضاله الحكيم حيث ماوجدها﴾ فهو احق
بها وهذه استعارة وذلك انه عليه السلام جعل الكلمه
الحكيمة للحكيم بمنزلة الضالة التي هو ناشد لها وساعٍ في
طلبها لانه اشبه بحكمته واولى بالانضمام الى اخواتها في قلبه
فحيث مسمعها من قائل غير حكيم اومرشدٍ غير رشيدٍ فهو
احق بالحيازة لها والغلبة عليها ويشهد بذلك ماروى في
الحديث الاخران الكلمة الحكيمة تكون في قلب المنافق
فلاتزال تنزع حتى تلحق بصواحباتها في قلب المؤمن فكانها
جعلت في قلب المنافق بمنزلة الغريبة التي هي في غير وطنها
ومع غير اهلها وجعلت في قلب المؤمن بمنزلة المستقرة في
الوطن والساكنة الى السكن وهذه ايضاً استعارة اخرى
﴿ومن ذلك قوله عليه السلام في خطبة له الاوان الدنيا قد
ارتحلت مدبرة وان الاخرة قدارتحلت مقبلة وهذ استعارة
لانه عليه السلام جعل الدنيا بمنزله الهارب المولى و لاخرة بمنزلة
الطالب المجلى وذلك من احسن التمثيلات واوقع التشبيهات لان
ابناء الدنيا بمثابة الهاربين من علايق الحمام وبوايق الايام
والموت الذى هو من اسباب الاخرة بمنزلة المغير على
الارواح والهاجم على الآجال وهذه الصفة مستمرة للدنيا

فى شبابها قبل ان تهرم وفى ابتداء مدتها قبل ان تتصرم لان كون الموت طالباً لاهلها ومبدداً لشملها معلوم من اول انشائها وتصوير ابنائها وقد يجوز ان يكون المراد بارتحال الدنيا مدبرة معنى آخر يختص بحال الدنيا فى اواخر مدتها وعندتنا هى غايتها وهو ان توصف بتصرم الامد ونقصان العدد كما يقول القائل قد ارتحل عمر فلان وقد ادبرت مدة فلان اذا مضى عنفوان ايامه وقربت اوقات حمامه ويروى هذا الكلام على تغيير فى الفاظه لامير المؤمنين على ابن ابى طالب عليه السلم وقد اوردناه فى كتابنا الموسوم بنهج البلاغة وهو المشتمل على مختار كلامه عليه السلم فى جميع المعانى والاغراض والاجناس والاعراض ﴿ومن ذلك قوله عليه السلم الاحتباء حيطان العرب والعمايم تيجان العرب﴾ وهاتان استعارتان عجيبتان فاما قوله عليه السلم الاحتباء حيطان العرب فانما اراد به انها اذا استعملت الحبو فى قعودها قامت لها مقام الحيطان فى الاستناد اليها والاعتماد عليها كما تتساند الظهور الى الجدران او كما يستروح الجراب الى الاجذال واما قوله عليه السلم والعمايم تيجان العرب فانما اراد ان لها العرب يكون بعمايمها كما يكون لها ملوك العجم بتيجانها فان العمايم تخص الهامة

وتمم القامة وتفحم الجلسة وتوقر الحملة حتى ان العرب لتقول على المتعارف بينهاماسفه معتمقط ولهذا المعنى فسر قول الفرزدق

اذا مالك الق العمامة فاحذروا
بوادر كفى مالك حين تعصب

اراد انه اذا القى العمامة طاش حلمه وخيف سطوه ومادام معتما فهو مامون الهفوة ومغمود السطوة على مجرى عادتهم وعرف طريقتهم وقد فسر ايضاً قول الاخر

انا ابن جلا وطلاع الثنايا
متى اضع العمامة تعرفونى

على مثل هذا المعنى فكانه توعدهم عندإلقاء العمامة ببادرته وان يفيض عليهم مايستجمه من مثابة سطوته وقوله تعرفونى ليس يريد العرفان الذى هو ضد الانكار وانما اخرجه مخرج الوعيد واطلعه مطلع التهديد كما يقول القايل لغيره اذا اراد هذا المعنى سيعرفنى او اما تعرفنى والمراد ستعرف عقوبتى او اما تعرف غضبى وسطوتى ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم المجاهد من جاهد نفسه ﴾ وهذا مجاز والمراد من امتنع من مواقعة المعاصى الموبقة واستعصم من الخطايا المردية فجعله عليه السلم بمنزلة من نازله قرن ينازله

وعدو يقابله لما يعاينه من المشقة فى مغالبة نوازع قلبه ودواعى نفسه وما يحركه من ادمها ويملكه من شكيمتها

﴿ومن ذلك قوله عليه السلام فى خطبة طويلة والنساء حبايل الشيطان﴾ وهذه من احاسن الاستعارات وذلك انه عليه السلام جعل النساء من اقوى ما يصيد به الشيطان الرجال فهن كالحبايل المبثوثة والاشراك المنصوبة لانهن مظان الشهوات ومقاود الخطيات وبهن يستخف الركين ويستخون الامين ﴿ومن ذلك قوله عليه السلام فى كلام والشباب شعبة من الجنون﴾ وهذا القول مجاز والمراد ان الشباب يحسن القبيح ويسفه الحليم ويحل مسكة المتماسك ويكون عذراً للمتهالك فمن هذه الوجوه يشبه صاحبه السكران من الخمر والمغلوب على العقل ومن هناك قيل سكر الشباب كسكر الشراب وعلى ذلك قول الشاعر ان شرخ الشباب

والشعر الاسود ما لم يعاض كان جنونا

﴿ومن ذلك قوله عليه السلام الا ان الغضب جمرة توقد فى جنب ابن آدم الم تروا الى حمرة عينيه وانتفاخ اوداجه فى حديث طويل﴾ وهذه استعارة كانه عليه السلام جعل اهتياج الطبع واحتدام الغيظ بمنزلة الجمرة التى تتوقد فى جوف الانسان فيظهر آثار اتقادها فى احمرار عينيه واختناق وريديه

فلا تزال كذلك حتى يطفيها برد الرضا اوعواطف الحلم والبقيا ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام العلم زايد والعقل سايق والنفس حرون ﴾ وهذا الكلام مجاز وذلك انه عليه السلام شبه علم الانسان بالرايد الذى يتقدم امام الحى فيدلهم على المنزل الوسيع والمرعى المريع لان العلم يأخذ بصاحبه الى المناجى ويعدل به عن المغاوى وشبه العقل بالسابق لانه يحث الانسان على سلوك النهج الاسلم ويحمله على الذهاب فى الطريق لاقوم وشبه النفس بالدابة الحرون لانها تتقاعس عن مراشدها وتلذع بسوط الادب حتى تسلك طرق مصالحها ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام كل واعظ قبلة ﴾ وهذا القول مجاز والمراد امر الناس بالاقبال على الواعظ لهم والمتكلم بما يأخذ الى الرشاد بازمتهم اصغاء الى كلامه وتفهما لمقاصد خطابه كاقبالهم على القبلة التى يصلون اليها ويتوجهون نحوها ولا يجوز لهم الانحراف عنها ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام نعم وزير الايمان العلم ونعم وزير العلم الحلم ونعم وزير الحلم الرفق ونعم وزير الرفق اللين ﴾ وهذا الكلام مجاز والمراد كل خلة من هذه الخلال المذكورة توازر صاحبتها وتعاهد قرينتها وتقوى كل واحدة منها باختها كما يوازر الرجل صاحبه على الامر

يطلبه والعدو يحاربه فيفسد متناها وتستحصف قواها

ومن ذلك قوله عليه السلام زاد المسافر الحدا والشعر مالم يكن فيه خناء وهذا القول مجاز والمراد ان التعلل باغاريد الحداء واناشيد القريض يقوم للمسافرين مقام الزاد المبلغ فى امساك الارماق والاستعانة على قطع المسافات والى هذا المعنى ذهب الشاعر بقوله

ان الحديث طرف من القرى

ومن ذلك قوله عليه السلام من عد غدا من اجله فقد اساء صحبة الموت وهذا القول مجاز لانه عليه السلام اقام الموت للانسان مقام العشير المخالم والرفيق الملازم وجعل من اغتر بطول اجله واتساع مهله بمنزلة من اساء صحبة ذلك الرفيق المصاحب والخليط المقارب اذ كان الاولى ان يعتقد انه غير مفارق له وان المدى غير منفرج بينه وبينه وعلى ذلك قول الشاعر

والمنايا قلايد الاعناق

ومن ذلك قوله عليه السلام انا مدينة العلم وعلى بابها ولن تدخل المدينة الا من بابها وهذا القول مجاز لانه عليه السلام شبه علمه بالمدينه المحصنه التى لا يطمع طامع فى دخولها ولا الوصول اليها الا من بابها واقام عليا امير المؤمنين عليه السلام لتلك المدينة مقام الباب الذى يفتتح من جهته ويوصل اليها من ناحيته ومن ذلك قوله عليه السلام

لكل شيء وجه ووجه دينكم الصلوة فلايشينن احدكم
وجه دينه ولكل شيء انف وانف الصلوة التكبير ﴾ وهذا
القول مجاز والمراد ان الصلوة يعرف بها جملة الدين كما ان
الوجه يعرف بها جملة الانسان لانها اظهر العبادات واشهر
المفروضات وجعل انفها التكبير لانه اول ماتبدوا من اشراطها
وتسمع من اذكارها واركانها ﴿ ومن ذلك عليه السلام
اطعموا الله يطعمكم ﴾ وهذا القول مجاز لانه سبحانه قال
وهو يطعم ولايطعم والمراد اطعموا فقراء الله الذين امركم
باطعامهم وجعلكم سبباً لارزاقهم يجازكم على ذلك بجزيل
الثواب ويكثر لكم من الاخلاف الاعواض ﴿ ومن
ذلك قوله عليه السلام العلم خزاين ومفتاحها السؤال
فسئلوا رحمكم الله فانه يؤجر اربعة السايل والمجيب
والمستمع والمحب لهم وهذا القول مجاز والمراد تشبه
العلم في قلوب العلماء بالخزائن المستبهمة والابواب المستغلقة
وانما تستفتح بسؤال السائلين ويستخرج مافيها بحث
الباحثين ﴾ ومن ذلك قوله عليه السلام الموت ريحانة
المؤمن ﴾ وهذا القول مجاز والمراد ان المؤمن يستروح الى
الموت نغوتا من كروب الدنيا وهمومها وروعاتها
وخطوبها كما يستروح الانسان الى طيب المشمومات ونظر

المستحسنات ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام الدعاء سلاح المؤمن وعمود الدين ﴾ وهذا القول مجاز والمراد ان المؤمن يستدفع بالدعاء كيد الكايدين وظلم الظالمين فيقوم له مقام السلاح الذى يريق الدماء ويفل الاعداء وجعل عليه السلام الدعاء عمود الدين لانه لايصدر الا عن قلب المخلص الاواب لا الشاك المرتاب والاخلاص قطب الدين الذى عليه المدار واليه المحار ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام من كلام فى وصف النساء ومنهن ربيع مربع وغل قمل ﴾ وهذا القول مجاز والمراد تشبيه المرأة الحسناء المتوفقه بالربيع المزهر والروض المنور وتشبيه المرئه الشوهاء المستثقلة بالغل الذى يثقل الرقاب ويطول العذاب وجعله عليه السلم قملا لتكون اعظم لعذابه وابلغ فى مكروه المبتلى به ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم ان المسجد لينزوى من النخامة كما تنزوى الجلدة فى النار اذا انقبضت واجتمعت ﴾ وهذا الكلام مجاز وفيه قولان احدهما ان المسجد يتنزه عن النخامة وهى البصقة بمعنى ان يجب ان يكرم عنها والابتذل بها فاذا رايت عليه كانت شانية له وزارية عليه فكان معها بمنزلة الرجل ذوى الهيئة يشمئز مما يهجنه وينقبض عما يدنسه واصل الانزواء الانحراف مع تقبض وتجمع والقول الاخر ان

يكون المراد اهل المسجد فاقيم المسجد فى الذكر مقامهم لما كان مشتمل عليهم وعلى ذلك قول الشاعر

واستب بعدك ياكليب المجلس

والمراد اهل المجلس لان الاستباب لايكون بين القاعات والجدران وانما يكون بين الانسان والانسان فالمعنى ان اهل المسجد ينقبضون من النخامة اذا رأوها فيه ذهابا به عن الادناس وصيانة له عن الادران ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام من القتلى رجل قرف على نفسه من الذنوب والخطايا حتى اذا القى العدو قاتل حتى قتل فتلك مضمضة محت ذنوبه وخطاياه ان السيف محا للخطأ وهذا الكلام مجاز لان السيف على الحقيقة لا يمحو شيئا من الذنوب ولكن القتل بالسيف لما كان سبباً للشهادة التى يستحق بها دخول الجنة وحقيقتها شهادة الملائكة للقتيل بانه من اهل الجنة اذا بذل مهجته فى طاعة الله مجتهداً وطن نفسه على الم الجراح والثبات للقاء صابراً محتسبا كان السيف كانه قد محا ما سلف من ذنوبه وليس يبلغ الانسان الى هذه المنزلة فى طاعة الله تعالى من بذل النفس للقتل وتوطينها على الهلك فى الاغلب الاكثر الا وهو تائب من جميع الذنوب التى توجب العقاب وتحبط الثواب فتكون الشهادة حينئذ دالة على انه من اهل الجنة وسببها

السيف فكانه قد محا ذنوبه اى ازالها وابطلها وعلى ذلك قول الشاعر

فلا تكثر وافيها الضجاج فانه
محا السيف ماقال ابن دارة اجمعا

اى ازاله وابطله وقوله عليه السلام فتلك مضمضة محت ذنوبه مجاز آخر كان القتل غسله من درن الذنوب قال ابن السكيت يقال مصمصة الاناء ومضمضة بالصاد والضاد اذا غسلته ويقال ايضاً ماص الثوب بالصاد غير معجمة اذا غسله ﴿ومن ذلك قوله عليه السلام لاصحابه اتبعونى تكونوا بيوتاً﴾ وهذا القول مجاز لانه عليه السلام لم يرد بيوت الشعر وبيوت المدر على الحقيقة وانما اراد انكم تكونون لعلو اقداركم واشتهار اخباركم بيوت شعوباً تقف نسبة اولادكم عندكم ولا يتجاوزكم الى من فوقكم وهذا لايكون الا انباهة الاب الا دنى واستغنائه بالنباهه عن الاب الا على كما يقال لمن ينسب الى امير المؤمنين على عليه السلم علوى ويستغنى ان يقال هاشمى اومنافى وكما يقال لمن كان من ولد عمر عمرى ولا يقال عدوى ونظاير ذلك كثيرة وانما سميت المناسب المخصوصة بيوتا لاشتمالها على ضروب الرجال المتصلين بها والمضافين اليها تشبيهاً بالبيت المبنى

في اشتماله على الدعائم والعماد لشهرته ونجابته والاوتاد والاطناب ونظير الخبر المذكور من الشعر قول الطائي الاكبر في صفة الفرس

هذب في جنسه ونال المدى

بنفسه فهو وحده جنس

اراد ان نسله ينسب اليه ولا يتجاوزه الى من وراءه من آبائها وامانه كما يقال هذا الفرس من نسل ذي العقال ومن نتاج ذي الخمار وما اشبههما

ومن ذلك قوله عليه السلم في الكلام الذي تكلم به يوم الغدير واسئلكم على ثقلي كيف خلفتموني فيهما فقيل له وما الثقلان يارسول الله فقال الاكبر منهما كتاب الله سبب طرف منه بيدالله وطرف بايديكم هذه روايه زيد بن ارقم وفي رواية ابي سعيد الخدري حبل ممدود من السماء الى الارض والاصغر منهما عترتي اهل بيتي انهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض وفي روايه اخرى حبلان ممدودان من السماء الى الارض فان الكلام يعود على الثقلين وهذه استعارة لانه عليه السلم شبه كتاب الله بالحبل الممدود بين الله وبين خلقه يعصم منهم من اعتصم به ويستنقذ من المهاوي والمعاطب من اعتلق بطرفه وليس

هناك يدا على الحقيقة تعصم المتعلق بها وتستشبل المتورط
وانما ذلك على التمثيل والتشبيه لان المستنقذ من الورطة
والمنهض من السقطه فى الا كثرانما يجتذب بيده ويستعين
بسببه فأخرج عليه السلم كلامه على العرف والمعروف
والامر المعهود ومن روى حبلان ممدودان واراد باخذ
الحبلين العترة فالمعنى انه عليه السلم اقام عترته مقامَ الحبل
الممدود الذى يكون عصمة المستعصم ونجاة المستسلم كما قلنا
فى القران وهذا الخبر بتمامه هو خبر يوم الغدير الذى يقول
فيه صلى الله عليه واله من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم
وال من والاه وعاد من عاداه واخذل من خذله وانصر من
نصره وقد رواه من مشهورى الصحابة عشرة اولهم
امير المؤمنين عليه السلم وهو الصادق المصدق وزيد ابن ارقم
وحذيفة بن اسيد والبراء بن عازب وسعد بن ابى وقاص
وابو هريره وجابر بن عبد الله وابو ايوب خالد بن زيد وانس
بن مالك وبريده بن الحصيب الاسلمى فاما زيد بن ارقم وبريد
ابن الحصيب فقد روى عنهما فى هذا الخبر من كنت وليه
فعلى وليه ووافقهما ابن عباس على ذلك واخبرنا بهذه
الروايه خاصة وهى اشهر الروايات ابو عبيد الله محمد بن عمران
المرزبانى قال اخبرنا ابراهيم بن محمد بن عرفه الواسطى قال

حدثنا عبيدالله بن جرير بن جبله قال حدثنا مسلم بن ابراهيم
قال حدثنا نوح بن قيس قال حدثنا الوليد بن صبيح عن ابن
امرأة زيد ابن ارقم عن زيد بن ارقم اخبرنا بذلك ابو عبيدالله
المرزباني فى جملة ما اخبرنا به من رواياته ومصنفاته وعلى هذه الرواية
تخرج اللفظة من الاحتمال وتكون اقرب الى المعنى المراد لان ولى
النبي (ص) اولى به من غيره واحق بالاستيلاء عليه من كل من
لم يضرب فيه بمثل حقه وقد روى عمر ان ابن حصين
عن النبي عليه السلم انه قال على ولى كل مؤمن بعدى
وفى هذا الخبر تصريح بانه من بعده ولى الامر وواليه
والقائم مقامه فيه كما قال الكميت ابن زيد فى ذلك

ونعم ولى الامر بعد وليه ومنتجع التقوى ونعم المؤدب

والكلام فى هذا المعنى يطول وليس كتابنا هذا من
مظان استقصائه ومواضع استيفائه وفى هذا الخبر ايضاً مجاز
وذلك تسميته عليه السلم الكتاب والعترة بالثقلين وواحدهما
ثقل وهو متاع المسافر الذى يصحبه اذا رحل ويسترفق
به اذا نزل فاقام عليه السلام الكتاب والعترة مقام رفيقه
فى السفر ورفاقه فى الحضر وجعلهما بمنزلة المتاع الذى
يخلفه بعد وفاته فلذلك احتاج الى ان يوصى بحفظه ومراعاته
وقال بعض العلماء انما سميا ثقلين لان الاخذ بهما ثقيل

وقال بعضهم انما سميا بذلك لانهما العدتان اللتان يعول في الدين عليهما ويقوم امر العالم بهما ومنه قيل للانس والجن ثقلان لانهما اللذان يعمران الارض ويثقلانها ومن ذلك قول الشاعر

تقوم الارض ماعمرت فيها ... وتبقى مابقيت بها ثقيلا
لانك موضع القسطاس منها ... فتمنع جانبيها ان تزولا

ومن ذلك قوله عليه السلم لبعض ازواجه احسني جوار نعم الله فأنها قل مانفرت عن قوم فكادت ترجع اليهم وهذه استعارة لانه عليه السلم جعل النعم المتفاضلة على الانسان بمنزلة الضيف النازل والجار المجاور الذي يجبان يعد قراه ويكرم مثواه وتصفى مشاربه وتؤمن مساربه فان اخيف سربه ورنق شربه وضيعت قواصيه واعتميت مقاربه كان خليقا بأن ينتقل وجديراً بان يستبدل فكذلك النعم اذا لم يجعل الشكر قرى نازلها والحمد مهاد منزلها كانت وشيكة بالانتقال وخليقة بالزيال وفي روايه اخرى احسنوا جوار نعم الله فانها وحشيه وباقي الخبر على لفظه فعلى هذه الروايه كانه عليه السلم شبه النعم باوابد الوحش التي تقيم مع الايناس وتنفر مع الايحاش ويصعب رجوع شاردها اذا شردو دنونا فرها اذا بعد

﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم وقد سمع مؤذنا يقول اشهد ان لا اله الا الله فقال صدقك كل رطب ويابس ﴾ وهذا الكلام مجاز لان الرطب واليابس من الشجر والاعشاب والماء والتراب لا كلام لهما ولا روح فيهما وانما اراد عليه السلم ان تصديقهما بلسان الحال لا بلسان النطق فجميع المخلوقات شاهدة بالا اله الا الله سبحانه بما فيها من تأثير الصبغة واتقان الصنعة وشواهد الصانع الحكيم والمقدر العليم فهى من هذه الوجوه متكلمه وان كانت خرساء ومفصحة وان كانت عجماء وعلى هذا المعنى خرج قول الشاعر

وفى كل شئ له آية ... تدل على انه واحد

﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ﴾ وهذه استعارة والمراد ان الحسد يحرج بصاحبه الى الاقدام على المعاصى والارتكاس فى المهاوى فيلغ فى الدماء الحرام ويحتطب فى حبائل الآثام ويشرع فى نقل النعم من اماكنها وازعاجها عن مواطنها فيكون عقاب هذه المحظورات محبطا لحسناته ومسقطا لثواب طاعاته على المذهب الذى اشرنا اليه فيما تقدم فيصير الحسد الذى هو السبب فى استحقاق العقاب واحباط الثواب

كانه يا كل تلك الحسنات لانه يذهبها ويفنيها ويسقطاعيانها
ويعفيها وانما شبه عليه السلم فى اكله الحسنات بالنار التى تاكل
الحطب لان الحسد يجرى فى قلب الانسان مجرى النار لاهتياجه
واتقاده وارماضه واحراقه ومن هنالك قال بعضهم ما رأيت ظالما
اشبه بمظلوم من الحاسد نفس يتصعد وزفير يتردد وحزن
يتجدد ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم فى عهد كتبه لعماله
على اليمن فان هذا القرآن حبل الله المتين فيه اقامة
العدل وينابيع العلم وربيع القلوب ﴾ وفى هذا الكلام
ثلث استعارات اولاهن قوله عليه السلام فان هذا القرآن
حبل الله المتين وقد تقدم كلامنا على نظيرها وبينا لاى معنى
شبه القرآن بالحبل الممدود بين الله سبحانه وبين خلقه وانه
عصمة لمستعصمهم ومسكة لمستمسكهم والاستعارة الثانية
قوله عليه السلم فى صفة القرآن وينابيع العلم وذلك انه
صلى الله عليه وآله شبه ما يفتحه القرآن لمتفهميه ويبينه
للناظرين فيه من ابواب العلم وطرقه وتفتقه من اكمته وعلقه
بينابيع الماء المتفجرة وعيونه المستنبطه ولان العلم ايضا
ينقع الغليل بعد الشك المحير كما يبرد الماء الغلة بعد العطش
المبرح فلذلك شبهه عليه السلام بعيون الماء وينابيع الرواء
والاستعارة الثالثة قوله عليه السلام وربيع القلوب وذلك

انه جعل القرآن للقلوب الواعية بمنزلة الربيع بل الراعية
لان القلوب تنتفع بتدبر القرآن وتامله كما تنتفع الا بل
بخمض الربيع وتنقله فهذا غذاء للارواح كما ان ذلك غذاء
للاجسام وقد يجوز ان يكون المراد ان القلوب تنفرج بحكم
القرآن وادابه كما تنفرج العيون بانوار الربيع واعشابه
والربيع اسم للغيث فى الاصل ثم صار اسما عندهم لما ينبت
عن الغيث من افانين النور والعشب الا ترى الى قول
الشاعر وهو يريد الغيث

انت ربيعى والربيع ينتظر

وخير انواء الربيع مابكر

وهذا كما سمو الغيث سماء لان نزوله يكون من جهة
السماء قال الشاعر :

اذا سقط السماء بارض قوم

رعيناه وان كانوا غضابا

اراد اذا سقط الغيث ثم قال رعيناه فرد الكلام على
ماينبت عن الغيث من الرعى الجميم والكلام العميم ومثل هذا
فى كلامهم كثير مستفيض والربيع ايضا النهر الصغير وفى الحديث
وما سقى الربيع وجمعه اربعاء على وزن انصباء ﷺ ومن
ذلك قوله عليه السلام فى هذا العهد وهو يذكر اوقات

الصلوة والعصر اذا كان ظل كل شئ مثله وكذلك مادامت الشمس حيه والعشاء اذا غاب الشفق الى ان تمضى كواهل الليل ﷺ وهاتان استعارتان اولاهما قوله عليه السلام مادامت الشمس حيه والمراد بحياة الشمس ههنا كونها فى بقية من الاحمرار من قبل ان يفضى الى الحول والاصفرار ومن هنالك قالوا شمس مريضة اذا ولى احمرارها وقيل اصفرارها وعلى هذا قول الشاعر

لدن غدوة حتى نزعن عشية

وقدمات شطر الشمس والشمس مدنف

فجعل يصفها ميتا لما تصرم اكثر ضيائها وجعل يصفها مدنفا لما كان من التصرم على شفا ومثل ذلك قول الراجز

والشمس قد كادت تكون دنفا

اى قد قاربت ان تسفى على الغروب

كما يفى الدنف المريض على الحتوت فجعلها دنفا مبالغة فى وصفها بنقصان اللون وحوؤل الضوء على اصل وصفهم لها بالمرض ولوصفهم الشمس بالموت فى اشعارهم وجه آخر وهو اذا ارادوا ان يصفوا يوم الحرب باشتداد الحر واسوداد الافق للقتام المتراكب والنقع المتعاطل فيقيمون تغيب الشمس واحتجابها مقام انقراضها وذهابها

والاستعارة الاخرى قوله عليه السلام الى ان تمضى كواهل الليل والمراد الى ان تمضى اوائله فسماها كواهل تشبيها لليل بالمطايا السايرة التى تتقدم اعناقها وهواديها ويتبعها اعجازها وتواليها ومن هناك قالوا فى السارى ليلا اتخذ الليل جملا ويقولون ركب الليل وامتطى الليل لما جعلوه بمنزلة الظهر المركوب والبعير المرحول ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام مفاتيح الجنة لا اله الا الله ﴾ وهذه استعارة والمراد ان هذا القول به يوصل الى دخول الجنة فجعله عليه السلام بمنزلة المفاتيح التى يستفتح بها الاغلاق ويستفرج الابواب واراد عليه السلم هذه الكلمة وما يتبعها من شعائر الاسلام وقوانين الايمان الا انه صلى الله عليه واله عبر عن جميع ذلك بهذه الكلمة لانها اول لتلك الشعائر وسايرها تابع لها ومتعلق بها فهى لها كالزمام القائد والمتقدم الرائد وذلك كما يعبر عن حروف المعجم ببعضها فيقال الف باتاثا والمراد جميعها وكذلك يقولون هو فى الجد ويريدون ساير هذه الحروف الان هذه الحروف لما كانت اولة لباقيها ومتقدمة لما يليها حسن ان يعبر بها عن جميعها ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم فى وصية لمعاذ بن جبل لما بعثه الى اليمن وصل الظهر بعد ما يتنفس الظل وتبرد

الرياح ﴾ وهذه استعارة والمراد بعد ما يزيد امتداد الظل من قولهم تنفس النهار اذا اخذ بالطول ومنه قوله تعالى والصبح اذا تنفس أى اذا زاد ضياؤه وانتشرت انواره وقد استقصينا الكلام على ذلك فى كتاب تلخيص البيان عن مجازات القرآن واصل هذه مأخوذ من تنفس الحيوانات وهو امتداد الريح الحارة من تجاويف صدورها عن ترويح رياتها عن قلوبها بانقباضها وانبساطها وانضمامها وانفراجها ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم اقيلوا ذوى الهيئات عثراتهم فان احدهم ليعثر وان يده بيد الله يرفعها ﴾ وهذا القول مجاز والمراد بذكر يد الله ههنا معونة الله تعالى وتقدس ونصرته فكأنه عليه السلم اراد ان احدهم ليعثر وان معونة الله لمن ورائه تنهضه من سقطته وتقيله من عثرته الا انه عليه السلام لما جاء بلفظ العثار اخرج الكلام بعده على عرف العادات لان العادة جارية ان يكون المنهض للعاثر والمقيم للواقع انما يستنهضه بيده ويستمين عليه بجلده والمراد بذى الهيئات ههنا ذوا الاديان لا ذو الملابس الحسان كما يظن من لا علم له لان هيئة الدين وظاهره احسن الهيئات والظاهر وافخم المعارض والملابس ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم جبرئيل ناموس الله ﴾ وهذا القول

مجاز واصل الناموس المكان الذى يستجن فيه الصايد عن
الوحش لئلا تراه فتنفر عنه ومن ذلك سمى من يجعله الانسان
موضع سره ومستودع نفثه ناموساً يقال منه نمس ينمس
نمسا ونامسه منامسة فكانه عليه السلام أنما شبهه بذلك لانه
يستخفى بما يؤديه عن الله سبحانه الى الانبياء عليهم السلم
من اوامر الله التى تقيد القلوب بحبايل الخوف والرجا
وتجتذبها بعلايق الوعد والايعاد تشبيهاً بالصائد الذى يحيل
حيله حتى يصيب غرته ويقتحم غفلته وقد قال بعضهم ان
الناموس فى كلام بعض العرب اسم للنمام فكان جبرئيل
عليه السلام هو الذى يظهر امر الله لانبيائه لاعلى الوجه
المذموم الذى يقصده لسان النمام ويعتمده ناقل الكلام
وقال بعضهم الناموس من اسماء العلم فيكون فى الخبر اذا
حملناه على هذا الوجه تقدير مضاف حذف لدلالة الكلام
عليه فكانه عليه السلام قال جبرئيل حامل علم الله اوصاحب
علم الله والحذف انما يحسن فى الكلام اذا كان فيما يبقى
دليل على مايلقى كقوله تعالى واسئل القرية التى كنا فيها
والعير التى اقبلنا فيها فلما كانت القريه والعير لاتسئلان
ولا تجيبان علم ان المطلوب غيرهما وانه المضاف اليها ولا يجوز
على هذا جاء زيدوانت تريد غلام زيد لان المجى قديكون

من الغلام كما يكون من صاحب الغلام فلا دليل فى مثل هذا على المحذوف كما كان فى الوجه الاول ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام بلغنى عن فلان كلام تشذر لى من ابعاد ﴾ فوصف الكلام بالتشذر مجاز واصل التشذر ان الناقة اذا القحت عقدت ذنبها ونصبته على عجزها قال الشاعر

لهـا ذنب كالقنـو قـد مـذلت به

واسـمح للتحظـار بعـد التشـذر

فكانه عليه السلام اراد ان الكلام الذى سمعه اعرب له عما فى ضمنه من الوعيد كما ان تشذر الناقة بذنبها دليل على لقاح بطنها ويجوز ان يكون المراد صفة ذلك الكلام بالارتفاع والعلو والاشتطاط والغلو تشبيها بذنب الناقة اذ عقدته لاقحة ورفعته شامذة ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام الايمان هيوب ﴾ وفى هذا الكلام مجاز لان فيه تقدير كلام محذوف فكأنه عليه السلام قال صاحب الايمان هيوب والعرب تقول الباب لئيم اى مغلق الباب دون الاضياف والمراد ان صاحب الايمان بما معه من حواجز ايمانه وبصاير ايقانه يهاب تطرق الحوب ومواقعة الذنوب فلا يقدم عليها اقدام المرتكس الهادى والضال الغاوى ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام الاستغفار ممحمة للذنوب ﴾ فوصف

الاستغفار بانه يهدم الذنوب مجاز لان المعاصى الكثيرة لما
كانت كالبناء فى تراكب اجزائها واستغلاظ خرابها كان
استغفار النادم واقلاع التائب كانهما هدم لذاك البناء
من اساسه وكب له على ام رأسه بسم الله الرحمن الرحيم
﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام ماأذن الله لشيء كاذنه
لنبي يتغنى بالقرآن ﴾ وهذا القول مجاز والمراد مااستمع
الله لشيء كاستماعه لنبي يداوم تلاوة القرآن فيجعله دأبه
وديدنه وهجيراه وشغله كما يجعل غيره الغناء مستروح حزنه
ومستفسح قلبه ليس ان هناك غناء به على الحقيقة وهذا
كما يقول القائل قد جعل فلان الصوم لذته والصلوة طربته
اذا اقامهما مقام شغل غيره باللذات وطربه الى المستحسنات
وقد قيل ان المراد بذلك تحزين القراءة ليكون اشجى
للسامع واخذ بقلب العارف فسمى هذه الطريقة غناء على
الاتساع لانها تقود ازمة القلوب وتستميل نوازع النفوس
والى ذلك ذهب عليه السلام بقوله زينوا اصواتكم
بالقرآن فى حديث آخر وليس المراد بذلك تلحين القراءة
وتطريبها فان الاخبار قد وردت بذم هذه الطريقة حتى
ذكر عليه السلام فى اشراط الساعة اموراً عددها ثم قال
وان يتخذ القرآن مزامير وقال بمضمم مغنى يتغنى بالقرآن

اى يذكر القرآن من قولهم يغنى فلان بفلان اذا ذكره في شعره اما هجاء واما مدحا فاما الحديث الاخر وهو قوله عليه السلام ليس منا من لم يتغن بالقرآن فليس المراد به هذا المعنى وانما اراد عليه السلام ليس منا من يستغن بالقرآن عما سواه وتغنى هاهنا بمعنى استغنى وهو تفعل من الاستغناء لا من الغناء قال العجاج

ارى الغوانى قد غنين عنى وقلن لى عليك بالتغنى

اى استغنين عنى وقلن لى استغن عنا كما استغنينا عنك وهذا عند موت الشباب وانقضاء الاراب ويؤكد ذلك الحديث الاخر وهو قوله عليه السلام من قرأ القرآن فراى ان احداً اعطى افضل مما اعطى فقد عظم صغيراً وصغر عظيما ولو كان المراد بالتغنى في هذا الخبر ترجيع الصوت بالقرآن لكان من لم يقصد هذه الطريقة في تلاوته ويعتمدها في صلوته داخلا تحت الذم ومقارفا للذنب لانه عليه السلام قال ليس منا من لم يتغن بالقرآن فبان ان المراد به الاستغناء لا الغناء ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر ﴾ وهذا مجاز وذلك ان العرب كانت اذا قرعتها القوارع ونزلت بها النوازل وحطمتها السنون الحواطم وسلبت كرايم اعلاقها من مال مثمر او ولد مؤمل او حميم

مرحب القت الملاوم على الدهر فقالت فى كلامها واسجاعها وارجارها واشعارها استقاد منا الدهر وجار علينا الدهر ورمانا بسهامه الدهر كقول القائل منهم وهو عدى بن زيد

ثم امسوا لعب الدهر بهم   وكذاك الدهر يؤدى بالرجال

وكقول الآخر

اكل الدهر عليهم وشرب

وكقول الآخر

والدهر غيرنا وما يتغير

والاشعار فى ذلك اكثر من ان نحيط بها او نأتى على جميعها فكانه عليه السلم قال لا تذموا الذى يفعل بكم هذه الافعال فان الله سبحانه هو المعطى والمنتزع والمغير والمرتجع والرايش والهايض والباسط والقابض وقد جاء فى التنزيل ماهو كشف عن هذا المعنى وهو قوله تعالى ﴿ وقالوا ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون ﴾ فصرح تعالى بذمهم على اعتقادهم ان الدهر يملكهم ويهلكهم ويعطيهم ويسلبهم ودل بمفهوم الكلام على انه سبحانه هو المالك للامور والمصرف للدهور ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم الصوم

في الشتاء الغنيمة الباردة ﴾ وهذه استعارة وذلك انهم
يقولون هذه غنيمة باردة اذا جازوها من غير ان يلقوا
دونها حر السلاح وألم الجراح لانه ليس كل الغنائم كذلك
بل في الاكثر لا تكاد تنال الا باصطلاء نار الحرب ومألم
الطعن والضرب فكانه عليه السلام جعل صوم الشتاء
غنيمة باردة لان الصائم يحوز فيه الثواب الجزيل والخير
الكثير بلا معاناة المشقة ولا ملاقاة كلفة لقصر نهاره
وعدم اواره وقد قيل ايضاً انما وصف الصوم في الشتاء
بانه غنيمة باردة ابرد النهار الذي يقع الصيام فيه وانه بخلاف
نهار الصيف الذي يشتد فيه العطش وتطول المخامص
ويقصر ليله عن القيام بوظايف العبادة التي تحمد عقبى
وتقرب الى الله زلفى والشتاء على خلاف هذه الصفة
لقصر نهار الصائم وطول ليل القائم ﴾ ومن ذلك قوله
عليه السلم اتقوا الله في النساء فانهن في ايديكم عوان ﴾
وهذا مجاز لانه عليه السلام جعل النساء عند ازواجهن بمنزلة
الاسراء وذلك لان المرأة تجري على احكام الرجل في الصدور
والورود والوقوف والخفوف فهي راسفة في اقياد حصره
وناشبة في حبائل نهيه وامره ومن ههنا قيل فلانه في حبال فلان
اذا كان بعلها للعلة المقدم ذكرها والعاني الاسير والجمع

عناة والاسيرة عانيه والجمع عوان وقديقال للاسير ايضا الهدى وقال المتلمس فى قتل ابى عمرو بن هند طرفه بن العبد بعدان سجنه زمانا

كطريقة بن العبد كان هديهم
ضربو صميم قذاله بمهند

وقيل انما سميت المراة المنقوله الى زوجها هدياً لانها بمنزلة الاسيرة عنده وقال بل سميت بذلك لانها تهدى الى زوجها فهى فعيل فى موضع مفعول فهدى فى مكان مهدى يقال هديت المراة الى زوجها اهديها هداء وهو من الهداة وليس من الهدية لانه لايقال من الهدية الا اهديت وقد قيل ان فى بعض اللغات اهديت المرأة واللغة الاولى هى المعتد بها والمعمول عليها ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام استعيذوا بالله من طمع يهدى الى طبع ﴾ وهذا مجاز والمراد ان الطمع يصير بصاحبه الى معايب الافعال ومدانيها ويوقعه فى مذامها ومناقصها والطبع الدنس والعيب يقال فلان كدنس وجشع فلما كانت عواقب الطمع صايرة الى مدارن الطبع جعل عليه السلام الطمع كانه هاديا اليها ودليلا عليها على المجاز والاتساع والطبع على ماسمعته من شيخنا ابى الفتح النحوى رحمه الله ماخوذ من الطابع وهو

الخاتم كانه يسم صاحبه بالمعايب ويشهره بالمثالب فيكون كالخاتم الذى يظهر رسمه ويؤثر وسمه ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم فى حديث مشهور للرجل الذى يفوت ابنه عليه ماله ففرقه ويبذره اردد الى ابنك فانما هو سهم من كنانتك ﴾ وهذه استعارة لانه عليه السلم جعل ابن الرجل بمنزلة السهم الذى فى كنانته ولذلك وجهان احدهما ان يكون انما شبهه بالسهم من سهامه لان الاب سبب نشأه وتربيته ووالى تثقيفه وتأديبه كما ان النابل بارئ السهم ورايشه ومثقفه ومقومه والوجه الاخر ان يكون المراد انه بمنزلة السهم فى كنانته من حيث كان فى حضنه وحاصلا تحت ضبنه وانه متى شاء صرفه فى ارائه كما ان صاحب السهم متى شاء رمى فى اغراضه ومعنى قوله عليه السلام اردد على ابنك اى استرجع مافرقه من ماله فى وجوه التبذير ومضان التبديد فرده الى ملكه استظهاراً له واشبالا له اذليس له ان يفتات عليك بمال ولا يعصيك فى حال ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم الخلق عيال الله عز وجل فاحبهم اليه انفعهم لعياله ﴾ اخبرنا بهذا الحديث ابو القسم عيسى بن على ابن عيسى بن داود بن الجراح فى جملة مااخبرنا به من الاحاديث قال حدثنا ابو القسم

عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز البغوى فى سنة سبع وثلثمائه
قال حدثنا احمد بن ابراهيم الموصلى قال سمعت المأمون
فى الشماسية وقد اجرى الحلبه فجعل ينظر الى كثرة
الناس فقال ليحيي بن اكثم اما ترى الى هذه الامم ثم
قال حدثنا يوسف ابن عطية عن ثابت عن انس ان النبى
صلى الله عليه واله قال الخلق عيال الله فاحبهم اليه انفعهم
لعياله وقد حدثنا بهذا الحديث ايضاً سهل بن احمد بن
عبدالله بن سهل الديباجى عن محمد بن يحيي الصولى فيما
صنفه مما رضاه خلفاء بنى العباس من احاديث النبى عليه
السلام على خلاف هذه الحكاية وهذا القول مجاز لان
عيال الانسان من يعوله ثقلهم ويهمه امرهم والله سبحانه
وتعالى لاتؤده الاثقال ولا تهمه الاحوال ولكنه سبحانه
وتعالى لما كان متكفلا بمصالح عباده يذر عليهم حلب
الارزاق ويلم لهم شعث الاحوال ويعود عليهم بمرافق
الابدان ومراشد الاديان شبهوا من هذه الوجوه بالعيال الذى
فى ضمان العايل وكفاية الكافل على طريق الاتساع وعلى
معارف العادات ❊ ومن ذلك قوله عليه السلام الخمر ام
الخبائث ومن شربها لم يقبل الله منه صلوة اربعين يوماً فان
مات وهى فى بطنه مات ميتة جاهلية ❊ سمعنا هذا الحديث

من عمر بن ابراهيم بن احمد المقرى ابن حفص الكنانى فى جملة مارواه لنا من الاحاديث قال حدثنا ابو بكر النيشابورى قال حدثنا على ابن اشكاب قال حدثنا محمد بن ربيعه قال حدثنا الحكم بن عبد الرحمن بن ابى نعيم عن الوليد بن عباده قال سمعت عبدالله بن عمر وبن العص يقول قال رسول الله صلى الله عليه واله الخمر ام الخبائث وذكر مافى الحديث وهذه استعارة وانما سماها عليه السلم ام الخبائث على تغليظ النهى عن شربها وتعظيم قدر العقاب عليها فكانها جماع الخبائث المرديه ومعظم الذنوب الموبقة كما ان الام جامعة لاولادها ومتقدمة عليهم بميلادها والفائده فى تقديمها على غيرها من المعاصى ان الاغلب فى شربها ان يكون طريقاً الى ارتكاب الكبائر وجر الجرائر فان السكران قد يحمله سكره على القذف والافتراء واراقه الدماء واستحلال الفروج والاموال وغير ذلك من مقاحم الذنوب ومعاظم العيوب وكل هذا فالسكر من اقوى اسبابه واقرب ابوابه ❁ ومن ذلك قوله عليه السلم كل امر ذى بال لايبدء فيه بحمدالله اقطع ❁ وحدثنا بهذا الحديث عمر ابن ابراهيم ابو حفص المقرى قال حدثنا ابوالقسم عبدالله بن محمد البغوى بن بنت منيع قال حدثنا

داود بن رشيد قال حدثنا الوليد بن مسلم عن الاوزاعى عن قره عن ابن شهاب عن ابى سلمه عن ابى هريره قال قال النبى صلى الله عليه واله كل امر ذى بال لايبدأ فيه بحمدالله اقطع وهذا القول مجاز وانما شبه عليه السلم الامر الذى تهم الافاضة فيه وتمس الحاجه الى الكلام عليه اذا لم ينظر فيه حمدالله سبحانه وتعالى بالاقطع اليد من حيث كان قالصا عن السبوغ وناقصا عن البلوغ ومما يقوى ذلك مارواه ابوهريره ايضاً قال قال عليه السلام الخطبة الذى ليس فيها شهادة كاليد الجذماء فاقام عليه السلام نقصان الخطبة مقام نقصان الخلقه ومما يشبه هذا الخبر الحديث الاخر الذى ذكره ابو عبيد القاسم بن سلام فى كتابه غريب الحديث وهو قوله عليه السلم من تعلم القران ثم نسيه لقى الله سبحانه وهو اجذم قال والاجذم المقطوع اليد واستشهد على ذلك بقول الشاعر

وما كنت الامثل قاطع كفه بكف له اخرى فاصبح اجذما

واعترض هذا القول عبدالله بن مسلم بن قتيبه قادحاً فيه وطاعنا عليه فقال انما أتى ابوعبيد فى فساد هذا التفسير من قبل البيت الذى استشهده وليس كل اجذم اقطع اليد واذا نحن حملنا الحديث على ماذهب

اليه ابو عبيد رأينا عقوبة الذنب لاتشاكل الذنب لان اليد
لاسبب لها فى نسيان القرآن والعقوبات من الله سبحانه
وتعالى يكون بحسب الذنوب كقوله تعالى وتقدس الذين
يأكلون الربا لايقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان
من المس يريد ان الربا الذى اكلوه اثقل بطونهم فهم
يقومون ويسقطون كما يصيب من يتخبطه الشيطان ويقول
رسول الله صلى الله عليه واله رأيت ليلة اسرى بى قوماً
تقرض شفاههم بالمقاريض كلما قرضت وفت فقال جبرائيل
هؤلاء خطباء امتك الذين يقولون مالا يفعلون لانهم قالوا
بافواههم فعوقبوا فيها ومثل هذا كثير قال والاجذم ههنا
المجذوم يقال رجل اجذم وقوم جذماء مثل احمق وحمقاء
وانوك ونوكاء الا ان يكون روى فى حديث آخر انه يحشر
اقطع اليدا وما يدل على ذلك فيقع التسليم منا وانما سمى
من به هذا الداء اجذم لانه تقطع اصابع يديه وينقص خلقه
والجذم القطع وكل شيء قطعته فقد جذمته وجذوته ولهذا
قيل للمقطوع اليد اجذم كما قيل له اقطع وهذا اشبه بالعقوبة
لان القرآن كان يدفع عن جسمه كلة العاهة ويحفظ عليه
الصحة ولما نسيه فارقه ذلك فنالته الآفة فى جميعه ولاداء
اشمل للبدن من الجذام ولاافسد للحاقه انقضى كلام ابن

قتيبه قلت انا وقد خلط هذا الرجل فى اعتراضه هذا تخليطا كثيراً لانه انكر غير منكر وطعن فى غير مطعن وذلك ان اباعبيد انما فسر الاجذم فى الحديث بانه المقطوع اليد على اصل صحيح وهو ماذكرناه فى الخبر الاول من ان الاقطع هناك كالاجذم هاهنا والمراد به انه يلقا الله تعالى بعد نسيان القرآن ناقصا بعد تمامه كالذى قطعت يده فظهرت نقيصة اعضائه وان كان ابو عبيد لم يبين هذا البيان فانه لم يرد هذا المراد فاما قول بن قتيبه ان عقوبة الذنب يجب ان تكون مشاكلة للذنب وتعلقه بالمثالين اللذين اوردهما فقد غلط فيما ظنه ووهم فيما توهمه لان العقوبات لاتجب ان تكون مقصورة على الاعضاء المباشرة للذنوب وانما المعاقب بها جملة الانسان ولو كان الامر على ماظنه لكان الزانى اذا زنا غير المحصن يضرب ذكره والقاذف اذا قذف يجلد لسانه لانهما واقعا المعصية وباشرا الخطيئة فلما راينا هذين المذنبين يعاقب منهما غير المواضع التى باشرت الذنب وواقعت الجرم علمنا ان المقصود بالعقوبة جملة الانسان دون اعضاء الجسم فاما يد السارق فلم تكن علة لقطعها انه باشر بها السرقة الا ترى انه لو دخل حرزا فاخرج منه بفمه دون يده مايجب فى مثله القطع قطعت يده ولم

يعتبر اخذه الشيء المسروق بفمه وايضا فلو اخذ فى اول مرة بيده اليسر قطعت يده اليمنى واذا سرق ثانيه بعد قطع يده اليمنى قطعت رجله اليسرى ولم تقطع يده اليسرى وان باشر السرقة بها وكذلك على مذهب من يرى استيفاء الاعضاء الاربعة فى تكرير السرقة وهو مذهب الشافعى فبان انه لا يعتبر بقطع ما باشر اخذ السرقة من اعضاء الانسان وسقط ما اعتمد عليه بن قتيبه من تشقيق الكلام ❊ ومن ذلك قوله عليه السلم حين قال له خديفه بن اليمان وقد ذكر الفتن افبعد هذا الشر خير يارسول الله فقال هدنه على دخن وجماعه على اقذاء وفى هذا الكلام استعارتان احديهما قوله عليه السلام هدنه على دخن وقيل ان الدخن فى الاصل اسم للون الذى فيه كدورة والصحيح انه مأخوذ من الدخان لكدر جزائه وارتداد الوانه فكانه عليه السلم شبه الهدنه التى توذن بالفتنه والسلم التى تنكشف عن المحاربه بالدخان الذى توذن سواطعه بالنار الموقدة وتجلى عن الجواحم المتصرمه ويقال دخان وداخن وعثان وعوائن وهما جمعان على غير القياس ويجوز ان يكون المراد بالدخن هاهنا قسطل الحرب لانه يشبه بالدخان فى الحقيقه فكانه عليه السلام قال هدنه ينكشف عن رهيج القراع وغبار المصاع وانما قال على دخن اى

ان تلك الهدنة كأنها عطياء تحته هيعة الحرب وزلزال الخطب وليس باطنها كظاهرها وشاهدها كغائبها والاستعاره الاخرى قوله عليه السلام وجماعة على الاقذاء فكأنه صلى الله عليه وآله شبه الاجتماع على فساد الغيوث وتغلل القلوب بالعين المغضية على الداء المغمضة على الاقذاء فالظاهر سليم والباطن سقيم وفى رواية اخرى زياده فى هذا الحديث فيها مجاز آخر وهى قوله عليه السلام وفتنة عمياء صماء ودعاة ضلالة على ابواب جهنم من اجابهم قدفوه فيها فوصف الفتنة بالعماء والصم مجاز والمراد ان اهلها عمى عن المراشد صم عن المواعظ فلما كانت الفتنة سبباً لعماهم وصممهم جاز ان ينسب العمى والصم اليها دونهم وقد يجوز ايضاً ان يكون المراد انها تعمى الابصار برهج غبارها وتصم الاسماع بزجل اصواتها والقول الاول اقرب الى الصواب واشبه بمقاصد الكلام ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام لرجل حلب ناقة دع داعى اللبن ﴾ وهذه استعاره والمراد امره ان يبقى فى خلف الناقة شيئا من لبنها من غير ان يستفرغ جميعه لان مايبقى منه يستنزل عفاقتها ويستجم درتها فكأنه يدعوا بقية اللبن اليه ويكون كالمثابة له واذا استفد الحالب ما فى الخلف ابطأ غزيره وقلص دره ﴿ ومن ذلك قوله

عليه السلام ما نزل من القرآن آية الا ولها ظهر وبطن ولكل حرف حد ولكل حد مقطع ﷺ وفي هذا الكلام استعارتان احديهما قوله عليه السلام ما نزل من القرآن آية الا ولها ظهر وبطن وقد قيل في ذلك اقوال منها ان يكون المراد ان القرآن يتقلب وجوها ويشتمل من التأويلات ضروباً كما وصفه امير المؤمنين (علي) عليه السلام في كلام له فقال القرآن حمال ذو وجوه اي يحتمل التصريف على التأويلات والحمل على الوجوه المختلفات وقد ذكرنا هذا الكلام في كتابنا الموسوم بنهج البلاغة ومن ذلك قول القايل قلبت امري ظهراً لبطن اي صرفته وادرته ليبين لي منه وجه الرأي فآتيه وطريق الرشد فاقصده وانشدنا ابو الفتح النحوي رحمه الله قول الشاعر

﴿ اقلب امري ظهره للبطن ﴾ ﴿ اما تراني قالباً مجني ﴾

﴿ قد قبل الله زياداً عني ﴾ وكان رحمه الله يقول في قوله

قد قبل الله زياداً عني سر لطيف وهو انه اقام قبله مقام عزله فكانه قال قد عزل الله زياداً عني لانه اذا قبل فقد زال سلطانه وامنت سطواته وقال آخرون الظهر تنزيل القرآن وكلامه والبطن تأويله واحكامه وقال بعضهم معنى الظهر ههنا ما قصه الله سبحانه علينا في القرآن من انباء القرون واخبار

الملوك وماوقعه بهم من سطواته وانزله بهم من نقماته لما جمحوا فى اعنه الطغيان وابعدوا فى مذاهب البغى والعدوان وجميع ذلك احاديث قصها سبحانه علينا فهى فى الظاهر اخبار منه لنا واما المراد بالباطن فانه سبحانه جعل تلك الانباء المقصوصه والامثال المضروبة عظة تنبيه بها على طريق الرشد ويحذر معها مصارع البغى فيتناهى عما كان السبب فى اهلاك القرون الماضية والامم الخالية وذلك بخبر اخبرنا عن ايقاع السلطان بجماعة من الجناة فقوم قتلهم لما قتلوا وقوم قطعهم لما سرقوا وقوم جلدهم لما سكروا فظاهر ذلك انه انقال لنا عن هذه الافعال الواقعه بمستحقيها من الجناة والباطن انه وعظ وتنبيه لعقولنا على ان من اقدم منا على مثل تلك المحظورات انزل به مثل تلك العقوبات وقد مضى فيما تقدم من كتابنا هذا كلام مختصر على نظير لهذا الخبر الا اننا فى هذا الموضع شرحنا ذلك فضل شرح وبسطناه فضل بسط والاستعاره الاخرى قوله عليه السلام ولكل حرف حد ولكل حد مطلع قال بعضهم معنى المطلع هاهنا يطلع قوم يعملون به وروى عن عبدالله بن مسعود انه قال مامن حرف اوقال ايه الا وقد عمل بها قوم اولها قوم سيعملون بها وقال بعضهم المراد بالمطلع هاهنا

الماتى الذى يؤتى منـــه حتى يعلم تأويل القرآن من جهته وقال بعضهم المطلع هو المنحدر من المكان المشرف الى المكان المنخفض وقديكون ايضا المصعد من المكان المنخفض الى المكان المشرف فهو من الاضداد على هـــذا التقدير فكان الانسان يكون فى التوصل الى علـم تاويل القـرآن بمنزلة الراقى الى الذروة والصاعد الى النجوه اويكون فى التولج على غوامضه بمنزلة الهابط من المكان انشطط الى المكان المنحط وقال بعضهم الحد ههنا الفرايض والاحكام والمطلع الثـواب والعقاب فكانه تعالى جعل لكل حد من حدوده التى حدها من الحرام والحلال مقـداراً من الثواب والعقـاب يلاقيه الانسان فى العاقبة ويطلع عليه فى الاخرة ومن ذلك مايكثر على الالسنه من ذكر مايكثر على الا لسنة من ذكر هـول المطلع انما يراد به مايشرف الانسان عليه بعدالموت من اعلام الساعه واشراط القيامة وعندى فى ذلك وجه آخر وهوان يكون المراد ان لكل حرف حدتجب على التالى ان يقف عنده ويتعرف مغداه ومغبيه فانه اذا فعل ذلك افضى به ذلك الحد الى مطلع يشرف منه على حقيقة المعنى وجلية المغزى فكان الوقـوف عند تلك الحدود والتمهـل عليها والتثبت فيها يفضى الانسان الى مطالع معرفتها ومفاتقوا كمتها

فيكون كطالع الثنية فى الاشراف على ماتحتها والادراك لما استجن عن الناظر قبل الايفاء عليها وهذا القول من استنباطى وماظن احدا قرع بابه وطلع نقابه قبلى ومن ذلك قوله عليه السلم من احيا ارضا ميتة فهى له وليس لعرق ظالم حق وهذا مجاز والمراد به ان يجيء الرجل الى ارض قد احياها حى قبله فيغرس فيها غرسا او يحدث فيها حدثا فيكون ظالما بما احدثه وغاصبا لحق لا يملكه وانما اضاف عليه السلم الظلم الى العرق لانه انما ظلم بغرس عرقه فنسب الظلم الى العرق دون صاحبه ذلك كما قالوا ليل نائم ونهار صائم اى ينام فى هذا ويصام فى هذا وروى سفين بن عيينه عن هشام بن عروة عن ابيه عروة ابن الزبير قال العروق اربعة عرقان ظاهران وعرقان باطنان اما الظاهران فالغرس والبناء واما الباطنان فالتبر والمعدن وربما روى هذا الخبر على الاضافه فيكون ليس لعرق ظالم حق فان كانت هذه الرواية صحيحة فقد خرج الكلام من حيز الاستعارة ودخل فى باب الحقيقه ومن ذلك قوله عليه السلام اللهم المم شعثنا وهذه استعارة والمراد اللهم اجمع كلمتنا وانظم ماتشتت من امرنا وتبدد من شملنا فاقام عليه السلام تفرق الكلمة وانصداع الامور الملتئمة مقام العود المتشعث الذى

كثر تشظيه واستطارت الصدوع فيه وقد مضى الكلام على نظير هذه الكلمة ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام قلدوا الخيل ولا تقلدوها الاوتار ﴾ وهذه استعارة على احد التاويلين وهو ان يكون المراد النهى عن طلب اوتار الجاهلية على الخيل بشن الغارات وشب النايرات ومعنى لا تقلدوها اى لا تجعلوها كانها قد قلدت درك الوتر فتقلدته وضمنت اخذ الثار فتضمنته وذلك عبارة عن فرط جدهم فى الطلب وحرصهم على الدرك فكانه عليه السلام قال قلدوا الخيل طلب اعداء الدين والدفاع عن المسلمين ولا تقلدوها طلب اوتار الجاهلية ودخول مصارع الحمية واذا حمل الخبر على التأويل الاخر خرج عن ان يكون مجازا وهو ان يكون المراد النهى عن تقليد الخيل اوتار القسى وقيل فى وجه النهى عن ذلك قولان احدهما ان يكون عليه السلام انما نهى عنه لان الخيل ربما رعت الاكلاء والاشجار فنشبت الاوتار التى فى اعناقها ببعض شعب ما ترعاه من ذلك فخنقتها او حبستها على عدم المأكل والمشرب حتى تقضى نحبها والوجه الاخر انهم كانوا فى الجاهلية يعتقدون ان تقليد الخيل بالاوتار يدفع عنها حمة عين العاين وشرار نظر المستحسن فيكون كالعوذ لها والاحراز عليها فاراد

عليه السلم ان يعلمهم ان تلك الاوتار لاتدفع ضررا ولاتصرف حذرا وانما الله سبحانه وتعالى الدافع الكافى والمعيذ الواقى ومما يقوى هذا التاويل ماروى من امره عليه السلم بقطع الاوتار من اعناق الخيل ولتقليد الخيل وجه آخر وهو ان العرب كانت اذا قدرت وظفرت قلدت الخيل العمايم وذكر ان معاوية بن ابى سفيان لما تغلب على الامر ودخل الكوفة بعد صلح الحسن بن على عليهما السلم فعل ذلك بخيله فقالت ام الهيثم بنت الاسود

اقر عينى ان جاءت مقلدة

خيل الشامين فى اعناقها الخرق

﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم ضاله المؤمن حرق النار ﴾ وهذا مجاز لان الضالة على الحقيقة ليست بحرق النار وانما المراد اخذ ضالة المؤمن والاشتمال عليها والحول بينه وبينها يستحق به العقاب بالنار فلما كانت الضاله سبب ذلك حسن ان يسمى باسمه لان عاقبة اخذها يؤل الى حريق النار ويفضى الى اليم العقاب وقد نهى رسول الله صلى الله عليه واله عن اخذ ضوال الابل وهواميها والهوامى الضايعه قال الشاعر ﴿ همت بغلها بالسلجين واوفضت بوادى تميل عن جبين مشيد ﴾ اى ضاعت بغل هذه

الناقة بهذا الموضع المذكور وذلك لايكون الا عند تقطع
حلبها واجحاف السير بها ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم
ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق ولا تبغض الى نفسك
عبادة الله فان المنبت لاارضا قطع ولا ظهراً ابقى ﴾
ووصف الدين بالمتانه ههنا مجاز والمراد انه صعب الظهر
شديد الاسر ماخوذ من متن الانسان وهو مااشتد من لحم
منكبيه وانما وصفه عليه السلم بذلك لمشقة القيام بشرايطه
والاداء لوظايفه فامر عليه السلم ان يدخل الانسان ابوابه
مترفقا ويرقا هضابه متدرجا ليستمر على تجشم متاعبه ويمرن
على امتطأ مصاعبه وشبه عليه السلم العابد الذى يحسر منته
ويستنفد طاقته بالمنبت وهو الذى يغذ السير ويكد الظهر
منقطعاً من رفقته ومنفرداً عن صحابته فتحسر مطيته ولا
يقطع شقته وهذا من احسن التمثيلات واوقع التشبيهات
ومما يقوى المراد بهذا الخبر ما كشفنا عن حقيقة الخبر الاخر
عنه عليه السلم وهو فيما رواه بريدة بن الخطيب الاسلمى
قال قال عليه السلم عليكم هدياً قاصدا فانه من يشار هذا الدين
يغلبه ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم اذا سافرتم فى الخصب
فاعطوا الركب اسنتها ﴾ وفى رواية اخرى فاعطوا الركاب
اسنانها وهذه استعارة والمراد بالاسنه ههنا على ماقاله جماعة

من علماء اللغة الاسنان وهو جمع الجمع لان الاسنان جمع سن والاسنه جمع الاسنان والركب جمع الركاب فكانه عليه السلم امرهم بان يمكنو ركابهم زمان الخصب من الرعى فى طرق أسفارهم وعند نزولهم وارتحالهم فكنى عن ذلك باعطائها اسنانها والمراد تمكينها من استعمال اسنانها فى اجتذاب الاكلاء وامتشاط الاعشاب فكانهم بتمكينها من ذلك قد اعطوها اسنانها وهذا كما يقول القايل لغيره أعط الفرس عنانها واعط الراحله زمامها أى مكنها من التوسع فى الجرى ومد العنق فى الخطو وعندى فى ذلك وجه آخر وهو ان يكون المراد مكنو الركاب فى الخصب من ان يسمن بكثرة الرعى والاستكثار من الرعى لانهم قد عبر وافى اشعارهم عن سمن الابل وبدنها بالسلاح تارة وبالاسنه تارة قال الشاعر

ولا تاخذو الكوم الجلاد سلاحها

له عند صرات الشتاء الضناير

أى لم يمنعه سمن ابله وشارتها فى عينه من ان نحرها لاضيافة ويبذالها لطارقه فجعل السمن لها كالسلاح الذى تدافع به عن نحرها وتماطل به عن عقرها وقد قال الاحز فى مثل ذلك ويعنى الابل ﴿ خايلت فيها ولم يأخذ اسنتها ﴾ ومن ابيات لا يأس بن سلم الاسلمى يمدح بها النبى عليه

السلم

واتيك حقـاً ان ابل محمد

عزل يناوح ان تهب شمال

واذا رأين لذى الفناء قريبة

فاضت لهن على الخدود سجال

يقول ان ابله مبذولة عند نزول النازل وطروق الطارق فلا يمنعه من عقرها بروائها وشارتها فكانها عزل لا سلاح معها كما جعل الشاعر الاول هذه الحال بمنزلة السلاح لها واراد بقوله اذا رأين لذى الفناء قريبة اى راين رفقة قريبة بفناء النبي عليه السلام بكين وتناوحن علما بانهن يخرن لها ويعقرن لاجلهـا وكذلك اذا هبت الشمال فى صميم الشتاء حاذرن العقر وانتظرن النحر ومما يقوى ذلك ما جاء فى الحديث المشهور عنه عليه السلم وهو قوله عليه السلام ان الجفاء والقسوة فى القدادين الا من اعطى فى نجدتها ورسلها والفدادون هاهنا على اصح الاقوال هم اصحاب الابل الكثيرة فكانه عليه السلم قال الا من اعطى من ابله فى حال كثرة شحومها وشارة جسومها وسمى ذلك نجدة لها على ما قدمنـا القول فيه لانها اذا كانت فى تلك الحال كانت كالمانعة لصاحبها من

نحرها نفاسة بها وشحا عليها فكانت شارتها كالمنجدة لها والسلاح الذى يدفع به عن انفسها وقد قيل فى رسلها ههنا قولان احدهما فى حال كثرة البانها موافقة لقوله عليه السلم فى نجدتها اذا كان ذلك بمعنى حسن شارتها والقول الاخر ان يعطيها فى حال يهون عليه اعطاؤها فيها وهى حال نقصان شحومها وخفة جسومها من قولهم تكلم فلان بكذا على رسله اى والكلام هين عليه فهو متمهل فيه غير عجل وساكن غير غلق فكان المعنى الا من اعطاها فى حالتى كرامتها وهوانها واستقباحها واستحسانها كقول فى حال العسر واليسر وعند الطوع والكره والقول الاول هو المعتمد ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام انا برئ من كل مسلم مع مشرك قيل ولم يا رسول الله قال لا تراءا ناراهما ﴾ وهذه استعارة وقد قيل فى تراءا النارين قولان احدهما ان يكون المراد ان المسلم لا ينبغى له ان يساكن المشرك فى بلاد فيكون منه بحيث اذا أوقد كل واحد منهما نارا رآه الاخر فجعل الترائى للنارين وهو فى الحقيقة للموقدين والاصل فى ذلك المداناة والمقابلة بقول القائل دور بنى فلان تتناظر اى تتدانى وتتقابل ويقولون للمسترشد اذا اخذت فى طريق كذا فانظر اليك الجبل فخذ عن يمينه

او عن يساره والمراد اذا قابلك الجبل فنظرت اليه فجعلوا
النظر له لأنهم اقاموا الجبل مقام الرئية الناظرة والرفيق
المساير وقال الشاعر

سل الدار من جنبي حبر فواهب
الى ما راى هضب القليب المضيح

وهضب القليب والمضيح موضعان متقاربان فجعلهما
لتجاذبهما كأنهما يترأان ومثله قول الاخر حيث ترى الدير
والمنار والوجه الاخران يكون المراد بالنارها هنا نار الحرب
لانهم يكنون عن الحرب بالنار لما فيها من رهج المصاع
ووهج القراع ومن ذلك قول الشاعر

هما حيان يصطليان حربا ردا الموت بينهما جديداً

وعلى هذا المعنى جاء التنزيل بقوله تعالى كلما اوقدوا
ناراً للحرب اطفأ الله فكأنه عليه السلام قال وناراهما
مختلفان اى حرباهما متباينان هذه تدعو الى الهدى والرشاد
وهذه تدعو الى العمى والضلال وقد يجوز فى ذلك عندى
وجه آخر وهو ان يكون المراد لا يجتمع سرباهما ولا يختلط
سرحاهما والنار عندهم اسم لسمات الابل يقولون على
هذه الابل نار بنى فلان اى وسمهم وعلى هذا قول
بعض خراب الابل فى ذكر اذواد استلبها واراد غرضتها

ليبيعها

يسئلنى الباعة ما نجازها　　اذ زعزعوها فسمت ابصارها

فكل دار لاناس دارها　　وكل نار العالمين نارها

اى هى مأخوذه من قبائل شتى فوسمها غير مشقية ونجازها غير متفق وهذا الوجه يعود الى معنى الوجه الاول لان المراد ان المسلم والمشرك لايجوز اجتماعهما فى دار حتى يجتمع اذوادها فى الرعى واورادها فى الورد فقوله عليه السلم على هذا الوجه لايتراءى ناراهما اى لايختلط وسماهما واما الحديث الاخر وهو قوله عليه السلم لاتستضيئوا بنار اهل الشرك فقيل ان المراد لاتستشيروهم فى امورکم فتعملوا باراءهم فترجعوا الى اقوالهم وهذا ايضا مجاز آخر لانه عليه السلم شبه الاسترشاد بالراى بالاستضواء بالنار اذا كان فعله كفعلها فى تبين المبهم وتنوير المظلم ❊ ومن ذلك قوله عليه السلم ان عم الرجل صنو ابيه ❊ وهذه استعاره والمراد ان اصلهما من منبت واحد فهما كالنخلتين من الصنوان يجتمع اصلهما ويفترق راساهما فيكونان اثنين فى الرؤيه والاصل واحد فى الحقيقه يقال صنو والجمع صنوان مثل قنو والجمع قنوان قال سبحانه صنوان وغير صنوان وقيل ايضا الصنوان المجتمع وغير الصنوان غير المجتمع

﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام تمسحوا بالارض فانها بكم برة ﴾ وهذه استعارة والمراد بقوله فانها بكم برة يرجع الى انها كالام للبرية لان خلقهم ومعاشهم عليها ورجوعهم اليها فلما كانت الارض تسمى امالنا من الوجوه التى ذكرناها كان قوله عليه السلام فانها بكم برة يرجع الى وصفها بالامومة لانهم يقولون الارض ولود يريدون كثرة انشاء الخلق واستيلادهم عليها وقال ذو الرمة فى وصف الام بالبر وهو يذكر فراخ النعام ﴿ جاءت من البيض زعراً لا لباس لها الا الدهاس وام برة ﴾ والدهاس الرمل ولقوله عليه السلام تمسحوا بالارض وجهان احدهما ان يكون المراد التيمم منها فى حال الطهارة وحال الجنابة والوجه الاخر ان يكون المراد مباشرة ترابها بالجباه فى حال السجود عليها وتعفر الوجوه فيها ويكون هذا القول امر تاديب لا امر وجوب لان من سجد على جلدة الارض ومن سجد على حايل بينها وبين الوجه واحد فى اجزاء الصلوة الا ان مباشرتها بالسجود افضل وقد روى ان النبى عليه السلام كان يسجد على الخمرة وهى الحصير الصغير يعمل من سعف النخل فبان ان المراد بذلك فعل الافضل لا فعل الاوجب ومما يقرب شبهاً من هذا الخبر

ماروى من قوله عليه السلام نعمت العمة لكم النخله
فكانها لانتفاعهم لها وتعويلهم على ثمرتها قد قامت مقام
القريبة الحانيه وذات الرحم المتحفيه ولم يجعلها عليه السلم
بمنزله الام للناس كما جعل الارض فى الخبر الاول لانهم
فى الحقيقة لم يخلقوا منها ولم ينسبوا اليها فجعلها من حيث
الانتفاع بها بمنزلة اقرب الاناث القرايب من الانسان
بعد اللاتى ولدنه واللاتى ولدهن هو وتلك عمة الانسان
وخالته الا ان اخت الاب ارفع منزلة من احت الام ولذلك
جعلها عمة ولم يجعلها خالة ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم فى
دعاء كان يدعو به رب تقبل توبتى واغسل عنى حوبتى ﴾
وهذه استعارة والحوبة والحوب المأثم والمراد احطط عنى
وزرى وتغمد ذنبى وخطيئتى ولكن المعصيه لما كانت كالدرن
الذى يصيب الانسان فيفحش اثره ويقبح منظره اقام
عليه السلام اماطة وزرها واسقاط اثمها مقام غسل
الادران واماطة الادناس لان الانسان بعدها يعود نقى
الاثواب طاهرا من العاب وهذا الدعاء من النبى عليه
السلام على وجه التعبد والخضوع والتطامن والخشوع لا ان
له عليه السلام حوبة يستحط وزرها ويستغسل درنها ويكون
قوله عليه السلام ذلك على طريق التعليم لامته كيف يتوب العاصى

وينيب الغاوى ويستأمن الخايف ويستقيم الجايف والسبب الذى لاجله قلنا ان الانبياء عليهم السلام لايجوز ان يواقعوا المعاصى ويقدموا على المغاوى ان الحكيم تعالى اذا ارسل رسولا جنبه كلما ينفر عنه ويصرف عن القبول منه ومعرفة مايقطع على انه منفر مأخوذ من عادات الناس وكبائر المعاصى كلها منفرة لانها تخرج من ولاية الله تعالى الى عداوته وتوجب عاجل مقته وعقوبته وفى الصغائر خلاف ليس كتابنا هذا موضع بيانه واستقصاء حجاجه وقد بسطنا الكلام على ذلك فى باب مفرد من جملة كتابنا الكبير فى متشابه القرآن فمن اراد استيعاب معانيه ومعرفة الخلاف فيه فليقصد مطالعته من هناك بتوفيق الله ❊ ومن ذلك قوله عليه السلام من سره ان يذهب كثير من وحر صدره فليصم شهر الصبر وثلاثة ايام من كل شهر ❊ فقوله عليه السلام وحر صدره استعارة والمراد غشه ودغله وفساده ونغله وذلك مأخوذ من اسم دويبة يقال لها الوحر وجمعها وحر وهى شبيهة بالحرباء وقال بعضهم هى تشبه الغطاء اذا دبت على اللحم فاكل منه انسان وحر صدره اى اشتكى داء فيه ويقال انها شبيهة باليعسوب الاحمر يسكن القليب والابار قال الراجز * فى كل يوم قربة موكرة * يشربها مرية

كالوحرة * فشبه عليه السلام مايسكن فى صدر الانسان من الغش والبلابل ويحول فى قلبه من مذمومات الخواطر بهذه الدويبة المنعوته فكأنه عليه السلام شبه القلب بالقليب وشبه مايستجن فيه من نغله بما يستجن فى القليب من وحره ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام اعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونفثه ونفخه فقيل يارسول الله ماهمزه ونفثه ونفخه فقال اما همزه فالموته واما نفثه فالشعر واما نفخه فالكبر ﴾ وفى هذا الكلام استعارات ثلث الاولى منها الاستعارة من همز الشياطين واصل الهمز الغمز والدفع وكل شئ دفعته فقد همزته ويروى بيت القطامى تراهم يهمزون من اشتركوا * ويجتنبون من صدق المصاعا ويروى يغمزون فالهمز على مافسره النبى عليه السلام ههنا الموته وهى الجنون على الحقيقة فان الشيطان لا سلطان له على الانسان ولا يصرعه ويوسوس له ويفزعه وقد صرح التنزيل بذلك فقال تعالى وقال الشيطان لما قضى الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى الاية فعلمنا انه لا سلطان له على الانسان الا بالوساوس والتخاييل وضروب التهاويل فلما كان مايلحق المجنون من الافزاع ويأخذه من العرواء

الانزعاج عن وساوس الشيطان جاز ان ينسب ذلك الى همزه وغمزه على طريق المجاز والاتساع فى نظائره والاستعارة الثانية الاستعارة من نفث الشيطان وهى الشعر على مافسره النبي عليه السلام وذلك مخصوص فى شعر المشركين الذى كانوا يهجون به رسول الله صلى الله عليه و آله وخيار المسلمين اومايجرى مجراه من اشعار المسلمين الاسلاميين لانه عليه السلام قدقال ان من الشعر حكما فلا يجوز ان يكون هذا القول متناولاً لجميع الشعر عموماً وموضع الاستعارة ان الشيطان لما كان يزين للمشركين الطعن فى اعراض المسلمين وكان الشعر مما يلفظ به السنتهم شبهه عليه السلام بالشئ الذى تنفث به افواههم ونسبه الى الشيطان لان تزيينه مازين لهم كان سبباً لما نفثت به السنتهم وقد يجوز ان يكون انما نسبه الى نفثه لان الشيطان كان نفثه فى افواههم وتكلم به على السنتهم كما يقولون للمتكلم بالكلمة الغاوية مانطق على لسانك الاشيطان قال الفرزدق فى قصدته التى يهجو فيها ابليس وهى مشهوره * لان ابن ابليس وابليس البنا * لهم بعذاب الناس كل غلام * هما نفثا فى من فوتيهما * على النابح الغوى اشد لجام * ويرى دجام يريد بقوله البنا كل غلام اى سقياه اللبن فكانهما

غذياه بذلك قد ربي به ونشأ عليه وتعوده والاستعاره الثالثة الاستعارة من نفخ الشيطان وهو على ما فسره عليه السلام الكبر والعجب ولا نفخ هناك على الحقيقة وانما المراد به ما يسوله الشيطان للانسان من تعظيم نفسه واستحقار غيره وتصغير الناس فى عينه فكانه بهذا الفعل ينفخ فى روعه ما يستشعر به انه احق من غيره بالتعظيم واولى بالتفخيم تشبيها بالشيء الاجوف كالزق وما فى معناه لانه اذا نفخ فيه انتفخ بعد ضمره وعظم بعد صغره ومن قولهم للمتكبر اذا اسرف فى الكبر واستطار من العجب قد نفخ الشيطان فى مناخره يريدون به المعنى الذى قدمنا ذكره ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام العين وكاء السيه فاذا نامت العين استطلق الوكاء ﴾ وهذه من احسن الاستعارات والسيه اسم للسيئة قال الشاعر

شأتك قعين غثها وسمينها

وانت السية السفلى اذا دعيت نصر

فكانه عليه السلام شبه السيئة بالوعاء وشبه العين بالوكاء فاذا نامت العين انحل صرار السيئه كما انه اذا زال الوكاء وسع بما فيه الوعاء الا ان حفظ العين للسيئه على خلاف حفظ الوكاء للوعاء فان العين اذا اشرجت لم تحفظ

ـسيتها والاوكية اذا حللت لم تضبط اوعيتها ومن الناس
من ينسب هذا الكلام الى امير المؤمنين على عليه السلام
وقد ذكر محمد ابن يزيد المبرد فى الكتاب المقتضب فى باب
اللفظ بالحروف وفى الاظهر الاشهر انه للنبى عليه السلام
﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام وهو يسئل عن سحابه
عرضت كيف ترون قواعدها وبواسقها وكيف ترون
رحاها ﴾ فى حديث طويل وفى هذا الكلام استعارات
ثلث فانه عليه السلام شبه اصولها ومناشيها وطوالعها
ومباديها بقواعد البيت التى هى اصل بنائه واول انشائه
وشبه فروعها المستطيله الى اوساط السماء واعاليها البعيدة
عن الافاق بفروع الشجرة الباسقه التى هى ملتف اوراقها
ومزدحم افنانها ويقال بسقت الشجرة والنخلة تبسقان
بسوقا اذا طالتا وكل طويل باسق وفى التنزيل والنخل
باسقات لها طلع نضيد وشبه مستدارها فى السماء عند
استوائها بالرحاء المستديرة على قطبها ومن ذلك قيل رحاء
الحرب وهو الموضع الذى يستدار فيه للمعاركة والجلاد
والتفاف الرجال بالرجال ومنه قول سليمان بن صرد الخزاعى
فى حديث له أتيت علياً عليه السلم حين رفع يده عن مرحا
الجمل يريد عن مجثم تلك الحرب بالمكان المخصوص الذى

دارت به رحاها وبلغت فيه منتهاها وعلى ذلك قول الكميت بن زيد يصف السحاب

كأنما الزجر والصهيل به مرحى مراس الحروب ذو اللجب

يريد بالزجر والصهيل خفيف ودقه وازير رعده ويحتمل قولهم رحاء الحرب وجهين احدهما ان يريدوا به اللبث والاستقرار والاخر ان يريدوا به الجولان والمدار وقد يجوز ان يكون قوله عليه السلام في السحابة " كيف ترون رحاها يريد به صوت رعدها كما سألهم عن لمع برقها وكثيرا ما تشبه اصوات الرعد القاصفة بقعقعة اصوات الارحاء الدايرة ولا يمتنع ان يعبر عما تسمعه الاذن بعبارة ما تشاهده العين كما يقول القائل لغيره اذا سأله عن سماع الغناء المطرب والحداء المعجب كيف ترى هذا الغناء وكيف ترى هذا الحداء وذلك شايع عند اهل اللسان ﴿ومن ذلك قوله عليه السلم كلكم بنو ادم طف الصاع لم تملوه وليس لاحد على احد فضل الا بالتقوى﴾ في حديث طويل فقوله عليه السلم طف الصاع ههنا استعارة والمراد ان كل من كان من ولد آدم عليه السلام فهو ناقص لا يوصف بالتمام ولا يعطى مزيد الكمال وانما يتفضل الناس باعمالهم ويفضلون بكثرة فضائلهم وانما يوصف الانسان بانه فاضل

اذا اضيف الى الناقص والا فلابد من نقايص تخلل فضائله ومساوٍ تتوسط محاسنه اما بان يكون فاضلا فى حال وناقصاً فى حال واما بان يكون قاصراً عما فوقه وزايدا على من دونه وقوله عليه السلم طف الصاع لم تملوه من العبارات العجيبه عن هذا المعنى يريدان كلكم قاصر عن غاية الكمال تشبيها بطفاف المكيال وهوان يقارب الامتلاء من غيران يمتلى يقال طف المكيال وطفافه اذا اريد به هذا المعنى وهو ضد الطلاع والطفاح لان هاتيين اللفظتين يعبر عنهما عن بلوغ غاية الامتلاء واللفظه الاولى يعبر بهما عن الوقوف دون حد الامتلاء ويقال اناء طفان اذا بلغ الماء اكثره ولم يبلغ غايته ولوقال عليه السلام انتم بنوادم كطف الصاع خرج الكلام عن ان يكون مستعارا لان دخول كاف التشبيه فى الكلام يخرجه عن باب المجاز مثل قوله عليه السلم فى حديث خرجت حين نزغ القمر كانه فلق جفنة ومثل قوله عليه السلم فى حديث فان الساعه كالحامل المتم التى لايدرى اهلها متى تفجاهم بولادها ليلا اونهاراً ولوقال والقمر فلق جفنه والساعه حامل متم كان الكلام من حيز الاستعارة ومن هذا القبيل قوله عليه السلم المؤمنون كالبنيان يشد بعضه بعضا لكان من قبيل المجاز ومثله ايضا قوله عليه

السلم القوم كانوا يرفعون ايديهم فى الصلوة مالى اراهم يرفعون ايديهم كانها اذناب خيل شمس ولو قال ايديهم اذناب خيل شمس لكان الكلام مستعار اولذلك نظائر كثيره يطول بذكرها الكتاب ولم يرض عليه السلم بقوله طف الصاع فى ارادة الغرض الذى تكلمنا عليه فى الخبر حتى قال لم تملوه فزاد المعنى ايضاحا والكلام افصاحا وفى ضمن هذا القول نهى عن الافتخار على الناس الا بالفضايل الدينيه دون الفضايل الدنياويه وهو معنى قوله عليه السلم ليس لاحد فضل الا بالتقوى لان فضائل الدين وصل يتوصل بها الى النعيم الباقى والدرج العوالى وفضايل الدنيا لاتعد غايتها ولا يوصل الى مابعدها فهى كالغرس الذى لايثمر والزاد الذى لايبلغ ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام اللهم انا نعوذبك من الابهمين ﴾ قيل انهما السيل والحريق وقيل بل هما السيل والجمل الصؤول وتسمية كل واحد من هذه الثلثه بالابهم مجاز وذلك ان الابهم ههنا اسم للشئ لايملك دفعه ولا يستطاع رده ولا نطق فيكلم ولا سمع فيهجهج ولا معقول فيستعتب ومن ذلك قيل للفلاة بهماء اذا كانت عمياء المسالك لايهتدى بايتها ولا يستدل باعلامها وقال الاعشى ﴿ وبهماء بالليل غطشى الفلاة * يونسنى صوت فيادها (والفياد اسم طاير

وقيل انه ذكر اليوم ومثل تسميتهم الشئ ابهم اذا كان على
الصفة التي ذكرناها ما انشدنا شيخنا ابوا الفتح عثمان بن
جنى النحوى رحمه الله واظنه من ابيات الكتاب
﴿ وداهية يتقيها الرجال * مرهوبة الحد لا فالها (قال والمراد
بقوله لا فالها اى ليس لها جهة واحدة يتقى منها كما يتقى
الحيوان العادى من جهة انيابه اوناحية اظفاره بل كل
جهتها محذور وكل نواحيها مخوف وقد روى في هذا الخبر
مكان التعوذ من الابهمين التعوذ من الاعميين والمعنى فيهما
متقارب لان الابهم هو الذى لا يعلم كيف يدفع ومن اى
وجه يضبط والاعمى هو الذى لا يعلم على مايرد ولالاى
وجه يقصد ﴾ ومن ذلك قوله عليه السلام لاتقوم الساعة
حتى يظهر الفحش والبخل ويخون الامين ويؤتمن الخاين
وتهلك الوغول وتظهر التحوت ﴾ قال الوغول وجوه الناس
واشرافهم والتحوت الذين كانوا تحت اقدام الناس لا يؤبه
لهم فقوله عليه السلام الوغول والتحوت مجازان على
التفسير الذى ذكره صلى الله عليه واله لانه شبه عليه
السلام الناس وجلتهم بالوغول لانها تعلوا قلل
الجبال وتكون في شعف الهضاب فهى ابدآ
عاليه المنازل بعيدة عن المتناول وقوله التحوت وهو جمع

تحت يريد به الخاسرين المغمورين والقليلين الذليلين لانهم الطبقه السفلى من الناس وهم الذين نزلوا عن غايات العليه وقعد وابمهابط الذلة فكانهم تحت اجلة الناس واشرافهم والاشراف والوجوه فوقهم وتفسيره عليه السلام التحوت بانهم الذين كانوا تحت اقدام الناس لايعلمهم بهم مجازاخر وليس المراد انهم كانوا تحت مواطى الاقدام على الحقيقه وانما المراد انهم كانو من خمول الذكر وغموض القدر بحيث يشبهون بالشئ الموطوء لذاته والمنبوذ لبذلته ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام في الكتاب الذى كتبه لصاحب دومه وهو المعروف باكيدر منصرفه صلى الله عليه واله من غزوة تبوك ان لنا الضاحيه من البعل ولكم الضامنه من النخل ﴾ وفى روايه اخرى ان لنا الضاحيه من الضحل ولكم الضامنه من النحل والضحل الماء القليل والروايه الاولى اصح والضاحيه من البعل هى النخيل التى فى ضواحى البلدة وصحاريها والبعل اسم لما شرب الماء بعروقه من الارض ولم يتعهد كغيره بالسقى قال عبدالله بن رواحه ﴿ هنالك لاابالى طلع بعل * ولاسقى وان عظم الاتاء * ويروى نخل بعل وقوله عليه السلام ولكم الضامنه من النخل مجاز والمراد بالضامنه ههنا ماتضمنه القرى والامصار من

النخل فسماها عليه السلام ضامنة وهى فى الحقيقة مضمونة
وهذا موضع المجاز ومثل ذلك قول الشاعر

ومحترش ضب العداوة منهم
بحلو الخلا حرش الضباب الخوادع

فجعل الضباب خوادع وهى فى الحقيقة مخدوعة لانهم تخدع بضروب من الحيلة حتى تخرج من مجاحرها وتستذاق من مكامنها والخلا مقصور اسم من اسماء الحشيش وهو ايضاً اسم لحسن الكلام وهو المراد فى هذا المكان يقال انه يحسن الخلا اذا كان حسن الكلام ومن ذلك قوله عليه السلام فى حديث واستذكر والقران فلهو اشد تفصياً من صدور الرجال من النعم من عقلها كذا رواه ابو عبيد ورواه ابو عبيده حادثوا القرآن بالدرس فلهو اشد تفصياً من صدور الرجال من الابل المعقلة تنزع الى اوطانها فقوله عليه السلام فلهو اشد تفصيا من صدور الرجال مجاز والمراد بالتفصى ههنا الذهاب والتملت قال الشاعر

يا حنص ما ليلك ذا التفصى
والاثر البين للمفص

فكانه عليه السلام شبه تفلت القرآن وذهابه من الصدر ما لم يحادث بالتلاوة ويتعهد بالقراءة بتفلت النعم

المعقلة من عقلها اذا لم تستظهر باحكام عقالها فاقام عليه السلم الاستكثار من درس القرآن فى انه يجمع مشتته ويضبط متفلته مقام الاستظهار بعقل النعم فى انه يقصر متسرعها ويحبس نوازعها والكلام ههنا يدل بمفهومه على ان القرآن هو المتفصى عن الصدور والحقيقة ان القلوب هى المتخلية منه والتاركة له فلما كان الامر كذلك جاز على طريق المجاز ان يقال ان القرآن هو التارك لها والمتفصى منها ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام وقد سئل عن الابل فقال اعنان الشياطين لا تقبل الا موليه ولا تدبر الا موليه ولا يأتى نفعها الا من جانبها الاشأم ﴾ فقوله عليه السلام اعنان الشياطين مجاز والاعنان النواحى ومنه قولهم اعنان السماء اى نواحيها وقال بعضهم الصحيح ان غناء الشئ نواحيه فالاول قول البصريين والثانى قول الكوفيين والمراد بقوله عليه السلم نواحى الشياطين على القولين جميعاً المبالغة فى وصف الابل بالاخلاق السيئة والطباع المستصعبة فكان الشياطين تختالها وتنفرها وتنهاها وتامرها ومما يقوى ذلك الحديثان الاخران فى نعت الابل فاحدهما قوله عليه السلم ان الابل خلقت من الشياطين والحديث الاخر قوله صلى الله عليه واله ان على ذروة كل بعير شيطانا

وهذا ايضا مجاز لانه عليه السلم بالغ بذلك فى
وصف الابل بالحران والنفار والاستصعاب والالجاح فكانه
لافراط نفارها وشماسها قد امتطت الشياطين ذراها فهى
تازها وتجوسها وقيل ان المراد بقوله عليه السلم لا تقبل
الاموليه المثل الذى يقال فيها انها اذا اقبلت ادبرت واذا
ادبرت ادبرت اى ان اقبالها اذ كان بمنزلة الادبار فادبارها اذا غاية
الادبار وقوله عليه السلم ولا ياتى نفعها الا من جانبها الاشام
يريد انها لا تحلب ولا تركب الا من جهات شمايلها ويقال لليد
الشمال الشومى ومنه قوله تعالى واصحاب المشئمة ما
اصحاب المشئمة يريد اصحاب الشمال والدليل على ذلك
قوله تعالى فى الاية الاخرى واصحاب الشمال ما اصحاب
الشمال فلما قال سبحانه فى الاية الاولى فاصحاب الميمنة
قال واصحاب المشئمة ولما قال سبحانه فى الاية الاخرى واصحاب
اليمين قال واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال والمراد فى الايتين
واحد لانه سبحانه طاب المقابلة فى الكلام تأليفا لاجزائه وملاحمة
بين اعضائه ويقال للجانب الايمن الانسى وللجانب الا
يسر الوحشى هذا على قول البصريين وقال بعض الكوفيين
الانسى هو الايسر وهو الذى تأتيه الناس عند الاحتلاب
والركوب والوحشى هو الايمن وانما سمى وحشيا لان

الراكب والحساب لاياتيان منه وانما يأتيان من الايسر دونه ومنة قول زهير

فجالت على وحشيها وكأنها　　مسربلة من رازقي معضد

اراد جانبها الايمن لانها اذا فزعت حاضت من جانبها الانسي الذى تخاف ان يؤتى منه وهو الشمال الى جانبه الوحشي الذى تامن الاتيان من ناحية وهو اليمين والخائف انما يفر من موضع الذعر والمخافة الى موضع الامن والسلامه ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام من شر مااعطى العبد شح هالع اوجبن خالع ﴾ والهالع المخيف المفزع والاسم من الهلاع وهو اشد الجزع وقوله عليه السلم اوجبن خالع مجازاى يخلع قلب الجبان وهذا على المبالغه فى وصفه بوهل الردع وبخت الروع وليس يبلغ الجبن على الحقيقة الى ان يخلع قلب الجبان من مناطه ويزعجه عن قراره وانما المراد بذلك مايعرض فى القلب عند الخوف من نوازغ الافكار ونوازع الحذار وعلى ذلك قوله تعالى واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وقد اوضحنا الكلام على ذلك فى كتاب مجازات القرأن ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام مامن امير عشرة الا وهو يجئ يوم القيمة مغلولة يداه الى عنقه حتى يكون عمله الذى

يطلقه او يوتغه ﴿ وهذه استعارة لان العمل على الحقيقه
ولا يطلق المرء من وثاق ولا يوثقه بعد اطلاق وانما المراد
انه يجئ مغلولة يداه الى عنقه فان كان عمله صالحا اطلق
الله عنه ربقة وثاقه وانكان عملا طالحا زاده الله خناقا الى
خناقه وانما اضاف عليه السلام الاطلاق والايثاق للعمل
لان العمل سببهما وصلاحه وفساده مؤثر فيهما وقوله
يوتغه المراد به يسلمه ويهلكه يقال وتغ الرجل يوتغ وتغا
اذ اهلك وقد اوتغه غيره اذا اهلكه ومنه قولهم اوتغ
فلان دينه اذ اثمه وافسده ويروى او يوتغه والمعنيان
متقاربان ﴾ ومن ذلك قوله عليه السلم فى كتاب كتبه
لثقيف وان ما كان لهم من دين الى اجل فبلغ اجله فانه
لياط مبرأ من الله ﴿ وهذه استعارة والمراد باللياط
ههنا الربا المضاف الى رؤس الاموال كانه عليه السلم شبهه
بالشئ الملصق بالشى والمضاف اليه وكلشئ العق بشيئ
فقط ليط به ومنه لياط الحوض وهو مايلصق به بعض
احجاره الى بعض عند بنائه اواصلاحه من طين اومايقوم
مقامه يقال قدلاط فلان حوضه اذا رمه واصلحه وفى
حديث لامير المؤمنين علية السلام مع الفرزدق ان اباه
غالبا جاء به اليه صلى الله عليه وآله وهو يلوط حوضاً له

وفى قوله عليه السلام مبرء من الله سر لطيف وهو انه لما جعل الربا ملصقا الى اموالهم على الوجه المذموم جعله مبرأ من الله سبحانه فكان ذلك الالصاق بالاموال سببا للتبرية من الله تعالى والمراد مبرأ من رضاه او من دين الله او من ثواب الله لابد من تقدير واحد من هذه المضافات لان الله سبحانه لايجوز ان يتصل به شئ على الحقيقة لان ذلك من صفات الاجسام المكيفة والابعاض المؤلفة التى يجوز عليها ان يتدانى فيلتصق وان يتنائى فيفترق تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا وليس هذا من مواضع استقصاء الكلام على هذا المعنى وقد يجوز ان يكون المراد باللياط ههنا القشر يقال ليط ولياط قال الشاعر يصف قوساً عربية

فملك بالليط الذى تحت قشرها

كغرقئ بيض كنه القيض من عل

فقوله ملك اى شدد بترك قشر النبعة عليها ماتحته من عودها فقويت بانضمام القشر اليها وذلك مأخوذ من قول القائل ملكت العجين اى احكمت عجنه وموضع الذى ههنا نصب بملك كانه قال فقوى بالليط عود القويين والغرقئ القشر الرقيق الذى بين جسم البيضه وبين قشرها الاعلى والقشر الاعلى هو القيض والليط ايضا الجلد والجمع

الباط والليط ايضا كون الشئ ذكر ذلك ابو عبيد فى الغريب المصنف فيكون الربا المضاف الى رؤس الاموال على هذا القول مشبها بالقشر المضاف الى العود فان العود هو القائم بنفسه والقشر كالتبع له والمنوط به ﴿ومن ذلك قوله عليه السلام ان للشيطان نشوقا ولعوقا ودساما﴾ وهذه الكلمات الثلث محمولة على المجاز لان النشوق ما استنشقه الانسان بانفه واللعوق مالعقه بلسانه والدسام ههنا الشئ الذى يجعله سدادا لاذنه يقال منه دسمت الشئ ادسمه دسماً اذا سددته والمراد بهذه الكلمات قريب من المراد بالحديث الذى تقدم كلامنا عليه فى هذا الكتاب وهو استعاذته عليه السلام من همزات الشيطان ونفثه ونفخه فكانه عليه السلام شبه مايسوله الشيطان للانسان من العجب بنفسه والازراء على غيره حتى يشمخ بانفه وينأى بعطفه بالنشوق الذى ينشقه اياه فيحدث له هذا الخلق الذميم والطبع اللئيم وقوى ذلك بذكر اللعوق فكان الشيطان يلعقه بهذا التسويل لعوقا اذا وصل الى جوفه احدث له خيلاء الكبر ومدله فى علو العجب وشبه عليه السلام صرف الشيطان للانسان عن مراشده واصمامه عن سماع قول مرشده بالدسام وهو الصمام الذى تسد به الاذن فتحجب

عنه سماع الاصوات وزواجر العظات ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام فى مرضه الذى مات فيه غبطت على الحمى ﴾ وهذه استعارة وربما قيل اغمطت بالميم قال الواقدى هذا الحديث اصابته حمى مغمطه بالميم وقال الاصمعى اغبطت علينا السماء اذا دام مطرها وقال ابو عبيدهما لغتان بالميم والباء قد سمعناهما وهذا كقولهم سيد الرجل رأسه وسمده اذا استاصل خلقه واشباه ذلك كثيرة واغبطت الحمى بالباء اكثر فى كلامهم والاصل فى ذلك الزام الرجل ظهر البعير يقال اغبط فلان رحله على مطيته اى اطال مكثه عليها ولزامه لها ومن ذلك قول الراجز (اغباطنا الميس على اصلابه) وقول الآخر (والزمته قتبا توسطه * فقربت فهى علينا تغبطه) ومنه سمى الغبيط وهو مركب من مراكب النساء فكانه عليه السلام شبه لزوم الحمى له بلزوم القتب ظهر الراحلة لانها اذا الزم ظهرها عقر واكثر دبرة ويقال قتب معقرا اذا عض الغارب وادمى المناكب فكذلك الحمى اذا دام اينها على الانسان هاضت متنه وحسرت قوته ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام خير الناس فى آخر الزمان الرجل النومه ﴾ وهذا مجاز والمراد بالنومة ههنا الرجل الخامل الشان الخفى المكان لا الكثير النوم على الحقيقة ومثله الحديث الآخر رب ذى طمرين لا نومة

له لو اقسم على الله لابر قسمه لان الخاشع العابد والمنقطع الزاهد كثيرا مايكون خامل الشخص ميت الذكر لخفائه على النواظر وانقطاعه عن المجامع ومن ذلك قولهم نام جدال فلان اى خمل بعد اشتهاره وسقط بعد ارتفاعه قال الشاعر

نامت جدودهم واسقط نجمهم

والنجم يسقط والجدود تنام

﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام من خالف الجماعة فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه ﴾ وهذه استعارة والربقة حبل يربط بين عودين ثم تجعل فيه عرى فتربق فيه السخال اى تربط فيه ويقال فى ابل الصدقة عقال عام واحد لان الابل تعقل وفى الغنم رباق واحد لان الغنم تربق والمراد بذلك صدقة عام واحد من الابل او الغنم فشبه عليه السلام مافى عنق الانسان من لوازم الاسلام ومعاقد الايمان بالربقة التى فى عنق السخل لانها تصده اذا هم بالشرود وتمسكه اذا جاذب الى النزوع وكذلك الاسلام يمنع صاحبه من الارتكاس فى المحظورات والتهوك فى الضلالات ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم فى حديث طويل توخرون الصلوة الى شرق الموتى ﴾ وقد قيل فى ذلك اقوال

كلها بعيدة عن المحجة ومع ذلك فيخرج الكلام من حيز الاستعارة غير قول واحد وهو ان يكون المراد انهم يؤخرون الصلوة الى ان لا يبقى من النهار الا بقدر ما بقي من نفس الميت الذى قد شرق بريقه وغرغر ببقية نفسه فشبه عليه السلام تلك البقية بشفافة الدماء التى قد قرب انقضاؤها وحان فناؤها ❊ ومن ذلك قوله عليه السلام لا ترفع عصاك عن اهلك ❊ وهذا القول مجاز على اكثر الاقوال وذلك انه عليه السلام لم يرد الضرب بالعصا على الحقيقة لان ذلك مكروه عنده ومذموم فاعله الا تراه عليه السلم يوصى امته بان يرفقوا بمن ملكت ايمانهم حنوا عليهم ورأفة بهم ونظراً اليهم فكيف بالاحرار من الاهل والولد الذين حقهم اوجب والحنو عليهم اولى وانما المراد لا ترفع التأديب عنهم ولا تغب التقوم لهم فكنى عن ذلك بالعصا حملا للكلام على عرف العرب لان المتعارف بينها ان التاديب في الاكثر لا يكون الا بقرع العصا وقد يجوز ان يكون المراد بذلك الاجتماع والايتلاف من قولهم فلان قد شق عصا المسلمين اذا فرق جماعتهم وبدد الفتهم ومنه قول صلة بن اشيم لابى السليل اياك وقتيل العصا يقول اياك ان تكون قاتلا او مقتولا فى شق عصا المسلمين ومنه

قول جرير

فلما التقى الحيان القيت العصا

ومات الهوى لما اصيبت مقاتله

يقول لما التقى الحيان وقع الايتلاف والدنو وزال التمنع والنبو فكانه عليه السلام اراد بقوله لاترفع عصاك عن اهلك اى احملهم ابداً على الصلاح والايتلاف وامنعهم من الفساد والخلاف ويقال للرجل اذا كان رقيق السيرة جميل الايالة انه للين العصا قال معن ابن اوس المزنى

عليه شربت وادع لين العصا

يساجلها جمانه وتساجله

وقد تكلمنا على نظير هذا الحديث فيما تقدم

ﷺ ومن ذلك قوله عليه السلام لبعض اصحابه كيف تصنع فى فتن تجم من اطراف الارض كانها صياصى بقر ﷺ وفى هذا الكلام مجاز على بعض الاقوال وهو ان يكون المراد تشبيه الفتن الناجمة من اطراف الارض بنجوم صياصى البقر وهى قرونها وانما سميت صياصى تشبيها لها بالصياصى التى هى الحصون فكانها تحتمى بقرونها كما تحتمى الرجال بحصونها فاراد عليه السلام ان الفتن تجم صغاراً ثم تعظم وتبدوا سجيلا ثم تبرم كنجوم قرون البقر لانها تبدو هنات

ضئيلات ثم تكون شكـكا نا كيات وقد يجوز ان يكون المراد بتشبيه الفتن ههنا بقرون البقر المبالغة فى وصفها بالحـدة والشدة وكثرت الحديد والعدة وقد يجوز ايضـا ان يكون تشبيهاً بقرون البقر لكثرة مايشرع فيها من الاسنة الا ترى الى قول بعض العرب الاسنة قرون الخيل لانها توضع منها مكان القرون من ذوات القرون وصدم الخيل بعواليها كنطاح البقر بصياصيها وليس موضع المجاز من هذا الكلام قوله عليه السلم كانها صياصى بقر لانا قد ذكرنا فيما تقدم ان دخول كاف التشبيه فى الكلام يخرجه من باب المجاز ولكن الموضع الذى يكون فيه هذا القول من حيز المجازات قوله عليه السلم فى فتن تنجم من اطراف الارض فجعلها بمنزلة النبات الذى يكون خافيا فيظهر والقرون الناشئه التى تكون صغاراً فتكبر ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم فى حديث يذكر فيه اشراط الساعه فعند ذلك تقئ الارض افلاذ كبدها ﴾ وهذه من الاستعارة العجيبه لانه عليه شبه الكنوز التى استودعتها بطون الارض بافلاذ الكبد وهى شعبها وقطعها لان شعب الكبد من شرايف الاعضاء الرئيسه فكذلك الكنوز مـن جواهر الارض النفيسه ولما شبهها عليه السـلام بافـلاذ الكبد من الوجه الذى ذكرناه جعل الارض عند اخراجها

كانها تقيات ودسمت بما استودعته منها وفي قوله عليه السلام تقيء الارض افلاذ كبدها زيادة فايدة في المعنى المراد وهو وصف الارض بالمبالغة في اخراج كنوزها حتى لا يخفى منها خافية ولا يبقى باقية وذلك كما يقول القايل قد تقيا فلان كبده اذا اراد المبالغة في وصفه باستيعاب جميع ما في جوفه وذلك معروف في كلامهم وموضوع على قاعدة العرف بينهم

﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام في حديث من قال كذا او كذا غفر له ولو كان عليه طفاح الارض ذنوباً ﴾ وهذه استعارة والمراد ولو كان عليه ملاء الارض ذنوبا فجعل الارض كالاناء الذي طفح ماءه وبلغ الغاية امتلاؤه وفي قوله عليه السلام طفاح الارض زيادة معنى على قوله ملاء الارض اوطلاع الارض لان الطلاع والملاء يفيدان بلوغ الحد في الامتلاء والطفاح يفيد مجاوزة الحد في الامتلاء وقد مضى الكلام على هذا المعنى فيما تقدم من هذا الكتاب

﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام ان القران شافع مشفع وماحل مصدق ﴾ وهذا القول مجاز والمراد ان القران سبب لثواب العامل به وعقاب العادل عنه فكانه يشفع للاول فيشفع ويشكوا من الاخر فيصدق والماحل ههنا الشاني وقد يكون ايضاً بمعنى الماكر يقال محل فلان بفلان

اذا مكر به قال الشاعر

الا ترى ان هذا الناس قد نصحوا

لنا على طول ماغشوا وماحلو

﴿ومن ذلك قوله عليه السلام لايكونوا مغويات لمال الله﴾

وهذه استعارة والمغوات فى الاصل زبية تحفر للسباع والذئاب ويعوه رأسها ليخفى قعرها ويجعل فيها سخل يستدعى به السباع والذئاب اليها فيكون مهلكة له اذا وقع فيها فاراد عليه السلام بهذا القول لايكونوا كالمهالك لمال الله بان يأخذوها بالمكر والخداع وينفقوها فى الفسوق والضلال فيكونوا لها كالمغويات التى تخدع ظواهرها وتهلك بواطنها وقال روبه بن العجاج يعنى الدهر الى مغواة الفتاة بالمرصاد كانه قال يسوق الفتى الى مهلكته تشبيها بالزبيه التى ذكرنا حالها ووصفنا الحيلة فيها ﴿ومن ذلك قوله عليه السلام اياكم والمغمضات من الذنوب﴾ وهذه استعارة والمراد بالمغمضات ههنا على مافسره الثقاة من العلماء الذنوب العظام يركبها الرجل وهو يعرفها فكانه يغمض عينيه تعاشيا عنها وهو يبصرها ويتناكرها اعتمادا وهو يعرفها ومثل ذلك قول ابى النجم يصف ناقة *يرساها التغميض ان لم ترسل* وذلك ان الناقة اذا غشيت الحوض الذى تذادعنه

حملتها شدة العطش على الاقتحام عليه فغمضت عينها وحملت على عمى الزادة حتى ترده وربما روى هذا الخبر بفتح الميم من المغمضات فيكون المراد به على هذا الوجه ضد المراد به على الوجه الاول لان المغمضات بالكسر كما قلنا الذنوب العظام والمغمضات بالفتح الذنوب الصغار وانما سميت مغمضات لانها تدق وتخفى فيركبها الانسان بضرب من الشبهة ولا يعلم انه عاص بفعلها ولا معاقب من اجلها ﴿ومن ذلك قوله عليه السلام وقد اتاه رجل فقال السلام عليك يا نبى الله فقال وعليك ورحمة الله ثم اتاه رجل اخر فقال السلام عليك يا نبى الله ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقيل له يا رسول الله لم تقل لهذا كما قلت للذى قبل فقال انه تشافها﴾ فقوله عليه السلام انه تشافها استعارة والمراد استفرغ جميع التحية فلم يدع منها شيئا يزاد به على لفظه ويرد عليه جوابا عن قوله والاولان ابقيا من تحيتهما بقية ردت عليهما واعيدت اليهما واصل ذلك ماخوذ من التشاف وهو تتبع بقية الاناء والحوض حتى يستنفد جميع ما فيه وتلك البقية تسمى الشفافه قال الشاعر

اخو فقرات دبت فى عظامه شفافات اعجاز الكرى فهو اخضع

يريد بقايا الكرى وصباباته ودليل ذلك قوله المجاز الكرى اى اواخره وعقابيله ومن امثال العرب ليس الرى عن التشاف يقولون ليس يروى العطشان تتبع بقية الماء حتى يستفرغ جميع ما فى الاناء ﴿ومن ذلك قوله عليه السلام سيد الايام يوم الجمعة﴾ وهذا القول مجاز والمراد ان ليوم الجمعة شرفا ونباهة يبين بهما من ساير الايام فيكون مقدما لها وعاليا عليها لما يختص به من صلوة الجماعة التى ينشر ذكرها ويعظم اجرها كما يتقدم السيد على من دونه بعلو القدر ونباهة الذكر ﴿ومن ذلك قوله عليه السلام تزوجوا الشواب فانهن اغر اخلاقا﴾ وفى هذا الكلام مجاز لان وصف الخلق بانه اغر انما يراد به بياضه والبياض ههنا عبارة عن الحسن كما ان السواد فى قولهم فلان اسود الخلق عبارة عن القبح فكانه عليه السلام قال فانهن احسن خلقا كما ان الغر من الخيل احسن خلقا ﴿ومن ذلك قوله عليه السلم وقد سمع ناسا من اصحابه يتذاكرون القضاء والقدر انكم قد اخذتم فى شعبين بعيدى الغور﴾ وهذا القول مجاز لانه عليه السلام شبه القضاء والقدر وحقيقة علمهما ومعرفة كنههما بالشعبين الذين غورهما بعيد واقتحامهما شديد وطالب غايتها مجهود يقول عليه السلام ان علمهما

لايدرك كالماء الغاير الذى لايقدر عليـه ولايهتدى اليه
﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام فى حديث طويل ثم يكون ملك عض يستحل الفرج والحرير ﴾ وفى هذا الكلام مجاز ان احدهما قوله عليه السلام ملك عض والعض فى الاصل هو الرجل الداهية المنكر وربما سمى ايضا بذلك الرجل السيء الخلق المتكبر قال حسان بن ثابت

وصلت به ركتى وخالط سيمتى
ولم اك عضا فى الندامى ملوما

فكانه عليه السلام شبه الملك الذى اوماء اليه فى السطوة والقوة والطماح والنزوة بذى الدها والنكر اوبذى الشموخ والكبر والمجاز الاخر قوله عليه السلام يستحل الفرج والحرير وانما اراد ان اهله يستحلون ذلك فحسنت اضافته الى الملك لما كان الاستحلال واقعا فى الملك ونظاير ذلك كثيرة وقد جاء فى رواية اخرى لهذا الخبر ثم يكون ملك عاض وهذه ايضا استعارة وذلك كقول القايل قد عضنى الدهر اذا اثرت فيه نوائبه واشتدت عليه مصايبه فوصف هـذا الملك بالعضاض لتاثيرة فى الناس بوقايع القشم وقوارع الظلم وقد جاء فى اشعارهم من ذكر عض الزمان وعض الايام ماهو اشهر من ان يتكلف

التنبيه عليه والايماء اليه ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم
الصوم جنه مالم يخرقها ﴾ وهذه استعارة وذلك انه
عليه السلم شبه الصوم الذى يجن صاحبه من لواذع العذاب
وقوارع العقاب اذا اخلص له النية واصلح فيه السريرة
فجعل عليه السلام من اعتصم فى صومه من الزلل وتوقى
جرايرالقول والعمل كمن صان تلك الجنه وحفضها وجعل
من اتبع نفسه هواها واوردها رواها كمن خرق تلك
الجنة وهتكها فصارت بحيث لا تجن من جارحة ولا تعصم
من جانحه وذلك من احسن التمثيلات واوقع التشبيهات
﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام ان المسلم اذا توضى صلى
الخمس تحاتت خطاياه كما يتحات الورق ﴾ وهذه استعارة
والمراد ان الله تعالى يكفر عنه خطاياه بسرعه فيسقط عنه
اصارها وتحط اوزارها كما تتساقط الاوراق عن اغصانها
اذا هزهزتها الراح اوزعزعتها الرياح ولابد ان يكون فى
الكلام مضمر مراد جعلت الصلوة مخبرا عنه وعلما عليه
وهو اجتناب الكباير والقيام بساير الفرايض فاكتفى عليه
السلام بذكر الصلوة من ذكر جميع ذلك لان الصلوة
افضل شعاير الاسلام واظهر معالم الايمان وليس كساير
الاوامر والعبادات والفرايض الواجبات من التأكيد

مالها وذلك لان من الفرايض ماوجبه تعالى على الاغنياء دون الفقراء ومنها ما ينوب عنه غيره ومنها ماينوب عن كله بعضه وجميع العبادات تختص اما بالفعل او بالذكر والصلوة قد جمعت افعالاً واذكاراً من القيام والقعود والركوع والسجود والقراءة والتسبيح والثناء على الله سبحانه والصلوة على الرسول وعلى آله والاستغفار للمؤمنين ولانها واجبة في اليوم والليلة خمس مرات على كل عاقل بالغ قادر عليها لايوديها عنه غيره ولايسقطها عنه فقره ولايتولاها وليه وباقي العبادات يتعلق بزمان مخصوص ووقت معلوم كالصوم الذي يفعل في السنة دفعة والزكوة التي تجب في الحول مرة والحج الذي في العمر دفعة واحدة ولهذا كانت عامة وصية النبي عليه السلم لما حضره الموت بالصلوة وفي حديث انس انه عليه السلم مازال يكرر قوله الصلوة وماملكت ايمانكم حتى جعل يغر غربها صدره ومايكاد يفيض اى يبين وفي الاكثران الانسان اذا ادى الصلوة على شرايطها وفعلها في اوقاتها وقام بجميع واجباتها وهي التي تكرر في الليل والنهار وتفعل على الدوام والاستمرار كان اجدر بتادية الفروض في ساير العبادات والقيام ببواقي الطاعات التي هي اخف محملا واسهل متحملا فاراد عليه السلام

ان من قام بهذه الواجبات التى عددناها واجتنب الكباير التى توعد بالعقاب عليها سقط عنه عقاب معاصيه الصغاير كما يتساقط الورق المتناثر ويقال انحت الورق وتحات اذا انسلت من اغصانه وانحسر عن افنانه ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام لرجل اقبل اليه ممن يتهم فى دينه ارى عليه سفعة من الشيطان ﴾ وهذا القول مجاز والسفعة السواد وقيل هو السواد المشرب حمرة فكانه عليه السلام راى بوجهه اثرا يدل على نغل الضمير وفساد اليقين فنسب ذلك الى الشيطان لانه مسول المعاصى ومطرق المغاوى وفى الاكثر ان يقال لمن خبثت عقيدته وساءت سريرته وجه فلان مسود يراد اعظم كفره وفساد سره وقد يجوز ان يكون السفعة هيهنا بفتح السين ماخوذة من قول القايل سفعت راس فلان اذا ضربه بالصافاثرت فيه فكانه عليه السلام قال ارى عليه اثرا من الشيطان وقد يكون السفع ايضا بمعنى الاخذ والقبض ومنه قوله تعالى لنسفعاً بالناصية اى لناخذن بها ولنقبضن عليها فان حمل على ذلك قوله عليه السلام ارى عليه سفعة من الشيطان وجميع الوجوه المذكورة فى هذا الكلام قريب بعضها من بعض ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام خير

الناس منزلة رجل اخذ بعنان فرسه يطلب الموت مظانه ﴾
وهذا القول مجاز وذلك انه عليه السلم جعل الرجل المجاهد
فى سبيل الله الذى يتتبع قراع الاعداء ومواطن اللقاء
كطالب الموت فى معادنه والمنقب عنه فى مكامنه وان كان
غير طالب له على الحقيقة وانما يطلب نصرة الدين ووقم
المحادين ولكن ذلك لما كان فى الاكثر مفضيا الى الموت
القاصى والاجل الدانى كان كانه اتبع مظنة حتفه ونقب
عن هلاك نفسه والمظان الاماكن التى اذا طلب الرجل
وجد فيها يقال موضع كذا مظنة من فلان اى معلم منه
ومكان يوجد فيه قال الشاعر

وان بك عامر قد قال جهلا

فان منظنة الجهل الشباب

كانه قال ان الشباب موضع للجهل فيه تسرح سارحته وفيه
تنشد ضالته واراد عليه السلم يطلب الموت فى مظانه فلما
خلع الجار وصل الفعل الى المظان فنصبها وذلك اقرب
فى الفصاحة واضرب فى مذاهب البلاغة ﴾ ومن ذلك
قوله عليه السلم اعوذبك من شر الجوع فانه بئس الضجيع ﴾
وهذا القول مجاز وانما جعل عليه السلم الجوع بمنزلة الضجيع
لان الانسان اذا بات طاوياً كان كانه مضاجع للجوع فى

مهاد ومبايته على فراش لانه يخلو فى الليل به وينفرد بمعاناته ومكابدته ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام تعس عبد الدينار والدرهم تعس عبد الحلة والخميصه ان اعطى رضى وان منع سخط تعس فلا انتعش وان شيك فلا انتقش ﴾ وفى هذا الكلام مجاز وذلك انه عليه السلام جعل الرجل القوى الطمع الشديد الجشع الذى يرضى باعطاء ما سئل ويسخط بمنع ماطلب بمنزلة العبد للدينار والدرهم والثوب والعرض لانه باعطاء هذه الاشياء يسترق ويملك ويمتهن ويستبذل فجعله عليه السلم عبدا لها على المجاز وهو فى الحقيقة عبد لباذلها ومن معروف كلامهم فلان عبد الطمع وخادم الامل اذا كان ذليلا لمن وجه امله اليه وضارعاً لمن علق طمعه به وقوله عليه السلام واذا شيك فلا انتقش من صلة الدعاء عليه يقول واذا دخلت فى قدمه شوكة فلا قدر على منقاش ينتقشه حتى يدوم مكثها فى اخمصه فيكون ذلك اطول لالمه ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم لاحرج الا على رجل اقترض عرض اخيه بظلم ﴾ وهذه استعارة والمراد بالاقتراض ههنا القدح فى العرض والحز فيه والنيل منه فهو افتعال من القرض الذى هو القطع ومنه قول ذى الرمه

الى ظعن يقرضن اقواذ مشرف

شمالاً وعن ايمانهن الفوارس

يقول يقطعن اوساط هذا الموضع المذكور بطى شقته وتجاوز مسافته وقولهم اقرض فلان فلاناً مالاً راجع الى هذا المعنى والمراد انه اقتطع له من ماله قطعة فسلمها اليه وقوله عليه السلم فى اول الخبر لا حرج الا على رجل اقترض عرض اخيه بظلم لا يدل على ان من فعل غير ذلك من الافعال التى يستحق عليها الذم ويعظم بها الاثم لا حرج عليه فى الحقيقة ولكنه عليه السلام كانه قال لا حرج فى فعل ما لا اثم فيه الا على رجل اقترض عرض اخيه وهذا التقدير فى الكلام كانه معلوم بفحواه ومفهوم بمعناه وان كان ظاهر اللفظ غير دال عليه ❊ ومن ذلك قوله عليه السلام ان السقط ليجر امه الى الجنه بسرره ❊ وهذا القول مجاز والمراد ان المرأة اذا اسقطت الولد عن حادث اصابها واتفق ان يكون ذلك الاسقاط سبب منيتها كان لها بذلك اجر تستحق به دخول الجنة اذا كانت سليمة من الكبائر الموبقة والمعاصى المزهقة فلما كان ذلك السقط سبباً لوصول امه الى دار النعيم والبقاء المقيم حسن ان يقول عليه السلام انه يجرها الى الجنه بسرره وهو الجلد

الرقيق المتصل منها به يقال قطع سره وسرره والسرة اسم لما يبقى بعد القطع منه ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام لا يمنعكم من سحوركم الفجر حتى يستطير ﴾ وفي هذا القول استعارة والمراد حتى ينتشر ضوء الفجر فيكون كتحليق الطائر وكالشرر المتطاير والفجر عندهم فجران مستطيل ومستطير فاما المستطيل فهو الاول ولا يحرم على الصائم الطعام والشراب واما المستطير فهو الثاني ويحرم الشراب والطعام ويسمى الاول ذنب السرحان لدقة خيطه وغموض سمته قال الكميت بن زيد

ولما علا شمطه المضبأين … من ليلة الذنب الاشعل
واطلع منه اللياح الشباط … خدودا كما سلت الانصل

فجعله اشعل لكثرة البياض فيه والمضبأين تثنية مضبأ وهو المكان الذى يضبأ الانسان به اى يلزمه ويلطأ فيه واللياح الابيض ويقال بكسر اللام وفتحها والشميط الكثير البياض يقال ذنب شميط اذا كان كذلك وهو بمعنى الاشعل والمراد ههنا الصبح وجعل له خدودا بارزة على طريق الاستعارة كما يقال طرة الصبح وحاجب الشمس ويسمى الفجر الثاني المستطير لانتشاره ووضوحه قال الشاعر

لهان على سراة بني لوى … حريق بالنوير مستطير

اراد حريقا قد انتشر شراره وعظم اواره وفي حديث اخر انه عليه السلم قال ليس الفجر المستطيل الابيض ولكنه المعترض الاحمر ﴿ ومن ذلك قول عليه السلم في صفة اهل الموقف يوم القيمة يبلغ العرق هناك مايلجمهم ﴾ وفي هذا القول مجاز وله وجهان احدهما انيكون المراد ان العرق يزيد بهم يومئذ حتى يضعفوا عن الكلام فلا يحيروا جوابا ولا يبتدئوا مقالا كما يقول القائل حاججت فلانا فالجمته بالحجة اذا اسكته بها عن مراجعته وقطع لسانه عن مناقلته فشبه عليه السلام اضعاف العرق لهم وبلوغه الى ان يملك عليهم نطقهم باللجم التي تملأ افواه الخيل فيمنعها من تحريك السنتها تعطقا بالمشرب او تلمظا بالمطعم والوجه الاخر انيكون المراد ان العرق يكثر منهم حتى يخوضوا فيه فيبلغ الى انيدخل افواههم فيكون بمكان اللجم لهم ومن روى هذه الكلمة بالتشديد فقال مايلجمهم فالمراد بذلك ان العرق يبلغ الملجم من كل واحد منهم وهو مايلي الرأس من الرقبة وقيل له الملجم لانه مكان اللجام من رأس الفرس كما قيل المقلد والمسور والمخلخل والموزر لموضع القلادة والسوار والمئزر والخلخال ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام لما قسم غنائم حنين فاعطى المؤلفة قلوبهم

ولم يعط الانصار فى كلام طويل يامعشر الانصار اوجدتم فى قلوبكم من لماعة من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا ووكلتكم الى ايمانكم ﴾ وهذه استعارة واللماعة البقل اول مايبدو وهو ناعم رقيق وقيل هى بقلة ناعمة تعرف بعينها ذكر ذلك ابو عبيد فى الغريب المصنف ومن قول العرب خرجنا نتلمع اى نتتبع هذه البقلة فى منابتها ونجتنيها من مقاطعها قال الشاعر

رعى غير مذعور بهن وراقه لماع تهاداه الدعادع واكد

يريد يواعدهنا ان هذا النبات كثير بمدراعية الشبع منه والاكتفاء به فشبه عليه السلام حلاوة المال المبذول وتعلق القلوب به وتتبع النفوس له بهذه البقلة الناعمة التى تستطاب مجانيها ويتتبعها جانيها ويجرى ذلك مجرى قوله عليه السلام فى الخبر الاخر لحكيم بن حزام ان هذا المال حلوة خضرة وقد ذكرناه فيما تقدم من كتابنا هذا ﴾ ومن ذلك قوله عليه السلام تحفة المؤمن الموت ﴾ وهذه استعارة واصل التحف طرف الفواكه التى يتهاداها الناس بينهم فكانه عليه السلام جعل الموت الوارد على المؤمن كالتحفة المهداة اليه لانه يسر بتعجيل مماته كما يسر الكافر بتنفيس حياته لان المؤمن يخرج من عقال الى مجال والكافر

يخرج من مجال الى عقال ﴿ومن ذلك قوله عليه السلام ان الله يغفر لعبده ما لم يقع الحجاب﴾ وهذا القول مجاز والمراد ان الله سبحانه يقبل توبة العبد من جميع المعاصي مادام في نفس الرجاء وفسحة البقاء فاذا بلغ حال انقطاع التكليف ووقوع الامر المخوف لم تنفعه التوبة ولم تنقذه الانابة فكانه قد حجب عن طريق الاستغفار واخذ على حال الاصرار وقد يجوز ان يكون المراد بالحجاب ههنا ضد المراد بالوجه الاول وهو ان يكون وقوعه بمعنى انكشافه وسقوطه كما يقول القائل وقع الستر المضروب وسقط الغرام الممدود اى زال وانهتك وانكشف وانفرج والمراد بانكشاف الحجاب ان تظهر للمرء اشراط الاخرة التى لا تضام التكليف فيراها بادية بعد ان كانت خافية وظاهرة بعد ان كانت باطنة فيكون الحجاب هناك على ضربين حجاب مهتوك عما كان خافيا من اعلام الاخره وحجاب مضروب دون ما كان ممكنا من احوال التوبة ﴿ومن ذلك قوله عليه السلام المعروف والمنكر خليقتان ينصبان للناس فيقول المنكر لاهله اليكم اليكم وما يستطيعون له الا لزوما﴾ وهذا القول مجاز والمراد ان الله تعالى جعل للفعل المعروف علامات وعلى الفعل المنكر امارات ووعد على فعل

المعروف حلول دار النعيم واوعد على فعل المنكر خلود دار الجحيم فكان بين الامرين الحجاز البين والفرقان النير فكان المعروف يدعوا الى فعله لما وعد عليه من الثواب وكان المنكر ينهى عن فعله لما وعد عليه من العقاب فلذلك قال عليه السلم فيقول المنكر لاهله اليكم اليكم على طريق الاتساع والمجاز قوله عليه السلم من بعد وما يستطيعون له الا لزوما المراد به انهم مع قوارع النذر وصوادع العبر وزواجر التحذير وبوالغ الوعيد يتنازعون الى فعله ويتسارعون الى ورده وليس المراد انهم لا يستطيعون له الا لزوما على الحقيقة وانما قيل ذلك على طريق المبالغة فى صفتهم بالنزوع اليه والاصرار عليه كما يقول القائل ما استطيع النظر الى فلان ولا استطيع الاجتماع مع فلان اذا اراد المبالغة فى نفسه بشدة الابغاض لذلك الانسان والاستثقال لرؤيته والنفور من مقاعدته وان كان على الحقيقة مستطيعا لذلك بصحة اداوته والتمكن من تصريف اراداته ولو لم يكن هؤلاء المذكورون فى الخبر قادرين على الانفصال من فعل المنكر لما كانوا على مواقعته مذمومين وبجريرته مطالبين وذلك اوضح من ان نستقصى الكلام فيه ونستكثر من الحجاج عليه ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم امرت بقرية تاكل القرى تنفى الخبث كما

ينفى الكير خبث الحديد ﴾ يريد عليه السلم الهجرة الى المدينة فقوله امرت بقرية تاكل القرى مجاز والمراد ان اهلها يقهرون اهل القرى فيملكون بلادهم ويغتنمون اموالهم فكانهم لهذه الاحوال ياكلونهم وخرج هذا القول على طريقة للعرب معروفة لانهم يقولون اكل فلان جاره اذا عدا عليه فانتهك حرمته واصطفى حريته وعلى ذلك قول علقمة بن عقيل بن عاقة لابيه فى ابيات

اكلت بنيك اكل الضب حتى

وجدت مرارة الكلاء الوبيل

﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم فى غزوة الحديبية ويح قريش لقد اكلتهم الحرب ﴾ يريد انها قد افنت رجالهم وانتهبت اموالهم فكانت من هذا الوجه كانها آكلة لهم قال ذلك عليه السلم فى حديث طويل والمراد بقوله عليه السلم تنفى الخبث كما ينفى الكير خبث الحديد ان اهلها يتمحصون فينتفى عنها الاشرار ويبقى فيها الاخيار ويفارقها الاخلاط والاوشاب ولا يصير عليها الا الصميم واللباب فيكون بمنزلة الكير الذى ينفى الاخباث والادران ويخلص المصاص والنظار وهذا ايضا مجاز ثان وقد ورد هذا الخبر بلفظ اخر ذكره عمر بن عبدالعزيز قال سمعنا عن رسول الله

صلى الله عليه وآله انه قال المدينة تنفى خبث الرجال كما ينفى الكير خبث الحديد والمعنى فى اللفظين واحد ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم الرحم لها حجنة كحجنة المغزل وهذه ﴾ استعارة والحجنة هى الحديدة المعقفة فى رأس المغزل ومنه المحجر وهى العصا المعوجة الرأس فاراد عليه السلم ان الرحم لها علايق يعتلق بها وشوابك تجتذب بوصلها فكانها تستعطف المعرض عنها وترد الشارد اليها كما يجتذب الانسان الشيء بالمحجن الى جهته او يستثنى به الذاهب عن وجهته ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام من قتل تحت راية عمية تعصب لعضبه ويقاتل لعصبته فقتله جاهليه وفى رواية اخرى يغضب غضبته ويقاتل عصبته ﴾ فقوله عليه السلام تحت رأيه عمية مجاز لانه جعل الرايه عمية والمراد الحرب التى رفعت تلك الراية فيها وانما حسن وصفها بالعمى وهو فى الحقيقة للحرب لان الراية علم لها ودليل عليها والحرب العمية هى المشتبهة التى لا يهتدى فيها الى القصد ولا يتبين فيها وجه الرشد فهى كالعميا التايهة والعشواء الخابطة ومن ذلك قولهم نحن فى عمياء اذا كانوا فى امر مختلط او على راى مشتبه وربما روى لفظ الخبر على الاضافة وذلك قوله عليه السلام تحت راية

عميه كانه قال تعالى راية حرب عمية والمعنيان متقاربان

ومن ذلك قوله عليه السلم من اراد اهل المدينه بكيدهم اماع كايماع الملح فى الماء وهذه استعارة والمراد انه يمحق كيده ويضمحل امره فيكون كالهباء المتلاشى والبناء المتداعى فلا يثبت له عماد ولا يدعمه سناد فعبر عليه السلم عن هذه الحال بالاماع لانه لا يماع الا الجسم المتخلخل الذى لم يستحصف حيلته ولا استحجرت طينته وتوصف ايضا الاجسام الرقيقة بمثل ذلك فيقال ماع الماء اذا جرى على وجه الارض وكذلك الدم واماع السمن اذ اذاب وكذلك الرب ويفرق بينهما بان يقال للجسم الذى لا يتماسك اذا خلى عنه ماع كالماء والدم ويقال للجسم الذى اذا اطلق عنه تماسك بعض التماسك اماع كالسمن والرب قال الشاعر

كانه ذو لبد داهمس   بساعديه جسد مورس

من الدماء مايع وتابس

والجسد ههنا اسم من اسماء الدم ومن ذلك قوله عليه السلام لسلمان الفارسى رحمة الله عليه سلمان ابن الاسلام سلمان جلدة بين عينى وفى هذا الكلام مجازان احدهما قوله عليه السلام سلمان ابن الاسلام ولهذا القول وجهان احدهما ان يكون المراد به ان سلمان يتعرف

بالاسلام كما يتعرف الناس بابائهم وينتمون الى اجدادهم لانه كان عبداً غير معروف الاب ولا مشهور النسب وانما بالاسلام سمي واليه انتمى والوجه الاخر ان يكون المراد ان الاسلام دعم ظهره وشد ازره فقام له مقام الحاضن الكافل والاب العايل والمجاز الاخر قوله عليه السلام سلمان جلدة بين عيني وجلدة بين العينين ههنا كناية عن الانف فكانه عليه السلم جعله في العزلة والقرب منه كالانف الكريم على صاحبه والعزيز على مفارقه وهذا القول اصح معنى من قول الشاعر

وجلدة بين العين والانف سالم

لانه لا جلدة بين العين والانف مذكورة يقصد قصدها ويشار نحوها كما قلنا في جلدة بين العينين انها الانف الكريم موقعه والمشهور موضعه ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام معترك المنايا بين الستين والسبعين ﴾ وهذا القول مجاز والمعترك موضع الحرب وسمي معتركاً لالتفاف الرجال واعتراك الابطال وقد قال عليه السلام في خبر آخر اعمار امتي بين الستين والسبعين وقال صلى الله عليه واله لا خير لمؤمن في عمر يتجاوز عمري فكانه عليه السلم شبه هذا العمر لكثرة الذاهبين فيه وقلة المجاوزين له بمعترك

حسن آثار الله عليها وهذا القول مجمل والقول الذى ذكرناه
من قبل مفصل فاما ماتذهب اليه المشبهة من الاصبع ههنا
على حقيقتها وان لله سبحانه اصابع ويداً وساقا وقدما
الى غير ذلك فهو من الجهالات التى تدفعها العقول باوايلها
وتقضى بفسادها قبل اعمال النظر فيها وكيف يصح هذا
القول لهم ويقوم فى عقولهم مع اعتقادهم ان الله سبحانه
مستو على العرش كاستواء القاعد فى مقعده والمتمهد على
مهاده وان بينه وبين المخلوقين من بنى آدم سبع سموات
وما بين كل سماء وسماء مسيرة خمسمائة عام وسمك كل سماء
مثل ذلك فكيف يسوغ ان تكون اصابعه تعالى عن ذلك علوا
كبيراً واصلة الى قلوب خلقه مع هذا البعد العظيم والمدى
الطويل ولو كان ذلك على حقيقته لوجب له ان يكون من
الاصابع مالا نهاية له حتى يختص قلب كل عبد من عبيده
باصبعين من اصابع يده هذا لعمر الله القول المتفاسد والظن
المتكاذب وبمثل هذا الجواب نجيب من سأل عن قوله تعالى
﴿ مايكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو
سادسهم ﴾ الاية فنقول اراد سبحانه انه معهم بالعلم والاحاطة
لا بالدنو والمقاربة لان الامر لوكان على ذلك لكان المعنى
مستحيلا وذلك انه تعالى لايجوز ان يكون مع كل ثلاثة

ولا مع كل خمسة في حال واحدة على الحقيقة لان الجسم لا يصح ان يكون في مكانين في حال واحدة تعالى الله عن تنقل الامكنة وتقلب الازمنة علواً كبيراً ومما يبين كذب قولهم وفساد تاويلهم مارواه ابو معوية الضرير وغيره عن الاعمش عن ابراهيم عن علقمه عن عبدالله بن مسعود قال اتى النبي عليه السلم رجل من اهل الكتاب فقال يا ابا القاسم ابلغك ان الله يحمل السموات على اصبع والارض على اصبع والشجر على اصبع والثرى على اصبع والخلايق على اصبع فضحك صلى الله عليه واله من قوله وانزل الله سبحانه عقيب ذلك (وماقدروا الله حق قدره) الاية وقد روى ايضا في حديث عبدالله ابن عباس ان من زعم ان لله خنصراً وبنصراً فقد اشرك بالله سبحانه ومجال كتابنا هذا اضيق من ان نسير في اقطار الكلام على هذا الخبر اكثر من هذا المسير وقد استقصينا ذلك في كتاب حقايق التأويل ۞ ومن ذلك قوله عليه السلم يهرم ابن آدم ويشب منه اثنتان الحرص على الحياة والحرص على المال وفي رواية اخرى الحرص والامل ۞ وهذه استعارة كانه عليه السلم جعل زيادة هاتين الخلتين في الانسان مع نقصان عمره وتداني اجله بمنزلة الشباب المقتبل والعمر المستقبل فكلما ازدادت

حوامل جسمه ضعفا واستقاضا زادت جواذب امله قوة واستحصافا فيكون اضعف ما كان بدنا وشخصا اقوى مايكون املا وحرصا وروى هذا الخبر ابو هريره على خلاف هذه الرواية قال قال عليه السلم قلب الكبير شاب على حب اثنتين حب الحيوة وحب المال ومن ذلك قوله عليه السلم من سره ان يقرأ القرآن غضا كما انزل فليقرأه على قراءة ابن ام عبد وهذه استعارة والغض فى كلامهم صفة للثمر اوالنبت الذى لم يطل مكثه بعد مجتناه فيؤثر فيه الزمان ويدخله التغيير والفساد ويقولون غض وغضيض بمعنى واحد والغضيض ايضا عندهم اسم من اسماء الطلع فاراد عليه السلم ان من يأخذ القرآن عن ابن ام عبد وهو عبدالله بن مسعود رحمة الله عليه اويسلك القراءة نهجه ويطلع فجه فقد اخذه سليما من الفساد والتغيير وبريئاً من التحريف والتبديل فهو كالنبات الغض لم يطل عهد جانيه ولادب الفساد فيه وقد روى هذا الخبر على وجه آخر وهو قوله عليه السلم من سره ان يقرأ القرآن رطبا كما انزل والمعنى فى الروايتين واحد وروى ابو هريره من احب ان يقرأ القرآن غريضا كما انزل والغريض الطرى وهو ايضا فى معنى الروايتين الاولين ومن ذلك قوله عليه

السلم لاصحابه لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر اوليلحينكم الله كما لحيت عصاى هذه لعود في يده ﴾ وفي هذا الكلام موضع استعاره وهو قوله عليه السلم ليلحينكم الله والمراد ليتقصنكم الله في النفوس والاموال وليصيبنكم بالمصائب العظام فتكونون كالاغصان التى جردت من اوراقها وعريت من الحيتها والياضها فصارت قضبانا مجردة وعيدانا مفردة وهم يقولون لمن جلف الزمان ماله اوسلبه اولاده واعضاده قد لحاه الدهر لحى العصا لان ما كان ينضم اليه من ولدته وحفدته ويسبغ عليه من جلابيب نعمته بمنزلة اللحاء للقضيب والورق للغصن الرطيب فاذا اخرج عن ذلك اجمع كان كالعود العارى والقضيب الذاوى ﴾ ومن ذلك قوله عليه السلم ان من اربا الربا استطاله المرأ في عرض اخيه المسلم ﴾ وهذه استعاره لانه عليه السلم شبه تناول الانسان من عرض غيره بالذم والوقيعة والطعن والعضيهة اكثر مما تناوله منه ذلك الذى قدح في عرضه واغرق في ذمه بالربا في الاموال وهو ان يعطى الانسان القليل ليجر الكثير فانه يسترىي المال بذلك الفعل اى يطلب نماءه وزيادته واصل الربا عندهم مأخوذ من الزيادة يقولون ربا الشيء في الماء اذا زاد وانتفخ ومنه الرباوة والربوة وهي ما علا

من الارض وارتفع ﴾ ومن ذلك قوله تعالى وترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت ﴾ اى رطب ثراها وربل واكثر نبتها واتصل ﴾ ومن ذلك قوله عليه السلام فى صفة الخوارج والخبر طويل يقرؤن القرآن يحسبون انه لهم وهو عليهم لايجاوز حناجرهم ﴾ وهذا القول مجاز والمراد انهم لايعلمون باحكام القرآن وفرائضه ولا يأتمرون لاوامره ولا ينزجرون بزواجره وكانهم ليس لهم منه الا الصوت الخارج من حناجرهم يقول عليه السلم لايعرف القرآن عندهم الا بهذه وتلاوته دون العمل باحكامه وواجباته وقد روى ايضا لايجاوز تراقيهم والمعنى واحد ﴾ ومن ذلك قوله عليه السلم لخاطبين من اهله سألاه فى حديث طويل والله لا اعطيكما وادع اهل الصفة تنطوى بطونهم لااجد ماانفق عليهم ﴾ وفى هذا القول مجاز واهل الصفة هم فقراء المهاجرين فكانه عليه السلم شبه بطونهم من الخمص والهضم لقلة الزاد والمطعم بالاوعية الفارغة التى تنطوى لفراغها وتنظم لخلو اجوافها وقد يجوز ايضا ان يكون انما شبهها بالبرود المثنيه والخماص المطوية لانضمام بعضها على بعض من خلو الاحشاء وبعد العهد بالغذاء وقد يجوز ايضا ان يكون تنطوى بطونهم ههنا تنفعل من الطوى

وهو الجوع مكانه عليه السلم قال تجوع يعلونهم وهذا القول يخرج الكلام من حيز الاستعارة ويدخله في باب الحقيقة

﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم الايمان قيد الفتك ﴾ وهذه استعارة والمراد بذلك ان الانسان المؤمن يمتنع لاجل ايمانه ان يسفك الدم الحرام طاعة لامر الحمية وركوبا لسنن الجاهلية فكان ايمانه قيد فتكه فمانع من تهالكه ومثل ذلك قوله عليه السلم لخوات بن جبير الانصارى وكان خليعا قبل اسلامه ما فعل شراد بعيرك ياخوات فقال قيده الاسلام يارسول الله الا ترى شبهه عليه السلم في ريعان خلاعته وعنفوان نزاقته بالبعير الشارد الذى قد فارق مراحه وتبع ارتياحه وكيف اجاب هذا الانسان عن كلام النبى عليه السلم بما هو من جنسه وماض على نهجه فقال قيده الاسلام لانه عليه السلم لما جعله بمنزلة البعير الشارد جعل هو مارده عن ذلك الشراد وعكسه عن تلك الحال بمنزلة القيد والعقال وهذا القول من النبى صلى الله عليه واله ايضا داخل في باب المجاز

﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم الصبر عند الصدمة الاولى وفى رواية اخرى الاجر عند الصدمة الاولى ﴾ وهذا القول مجاز والمراد بالصدمة اول ما يطرق الانسان من النوائب ويبدهه

من المصائب فشبه ذلك عليه السلام فى شدة وقعه وعظيم روعته بصدمة الجسيم الشديد او صكة الحجر الثقيل فى انه يوهن ويحطم ويرمض ويؤلم فاذا صبر الانسان لتلك الواقعة وتماسك تحت تلك الروعة وسلم للاقضيه النازلة والاقدار الغالبة ولم ينفد فى جواذب الجزع ويركض فى مضمار القلق اعطى الاجر برمته وقيد اليه بازمته لان مايطرق الانسان وهو ذاهل ويفجأه وهو غافل اعظم نكاية لقلبه وايجاعاً لنفسه مما يطرق وقد اخذله اهبته واعدله عدة ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام والذى نفسى بيده لايسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه ﴾ فى حديث طويل وهذه استعارة والمراد باسلام قلبه سلامته من الاخبات وباسلام لسانه تسلمه من الارفات فلا يعتقد قلبه شرا ولا يقول لسانه هجراً والدليل على ارادته عليه السلام هذا المعنى قوله وتمام الكلام ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه وقوله عليه السلام فى حديث اخر المسلم من سلم الناس من لسانه ويده وكانه عليه السلام جعل تمام اسلام العبد ان يكف قلبه عن اعتقاد المقبحات ويده عن فعل المحظورات ولسانه عن قول المقدعات ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام ان الله سبحانه لم يحرم حرمة الا وقد علم انه سيطلعها منكم مطلع ﴾ وهذا القول مجاز وذلك

انه عليه السلام شبه ما حرمه الله تعالى من محارمه ونهى عباده عن تقحمه بالحمى الذى يحمى رعيه ويمنع رعيه وشبه عليه السلام المتعرض لحرمة من تلك الحرمات بمن هجم فى الحمى مقدما واطلع فجه متقحما وقد مضى الكلام على نظير هذا الخبر فيما تقدم من كتابنا هذا ❊ ومن ذلك قوله عليه السلام فى كلام طويل ذكر فيه بنى اسرائيل نهاهم علماؤهم عن المعاصى فلم ينتهوا فجالسوهم فى مجالسهم واوكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم فقوله عليه السلم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض استعارة والمراد بالضرب ههنا خلط القلوب بعضها ببعض كانه تعالى خلطها بان شهد على جميعها بالضلال ولم يميز بين قلوب العلماء والجهال اذا كان الضلال شاملا لهم والغواية ضاربة بسياحها عليهم ومن ذلك قول القائل ضربت بعض بنى فلان ببعض اذا القى بينهم حربا يختلطون فيها اوعداوة يتناوشون عليها ونظير ذلك الخبر مروى عنه عليه السلم وهو قوله أبهذا أمرتم ان تضربوا كتاب الله بعضه ببعض اى ان تجعلوا حرامه حلالا وحلاله حراما فكانكم قد خلطتموه فجعلتم اعلاه اسفله ومفهومه مبهومه ❊ ومن ذلك قوله عليه

المنايا تكافح فيه الارواح وتصطلم الآجال فلا يفات من ذلك المقام الامن اشذه حايلها وتخاطاه نايابها ❁ ومن ذلك قوله عليه السلم لاتسبوا الابل فانها رقوء الدم ❁ وهذا القول مجاز لان الابل على الحقيقة ليست برقوء الدم وانما المراد انها اذا اعطيت فى الديات كانت سبباً لانقطاع الدماء المطلوله والثارات المطلوبة فشبه عليه السلم تلك الحال بالعرق العاند والدم السائل الذى اذا ترك لج واستشرى واذاعولج انقطع ورقاء وعلى هذا المعنى قول الكميت بن زيد

ولكنى رقوء دم وراق ... لادواء الضغاين والدخول

ويروى هذا الخبر على لفظ آخر وهو قوله عليه السلم فان فيها رقوء الدم ❁ ومن ذلك قوله عليه السلام ان ذالوجهين لخليق الايكون عند الله وجيها ❁ وهذا القول مجاز لانه عليه السلام لم يرد تثنية الوجه الذى هو العضو المخصوص على الحقيقة لان استحالة ذلك فى الانسان معلوم ضرورة وانما اراد ذم المنافق الذى ظاهره يخالف باطنه وحاضره يضاد غائبه فكانه يلقى اخاه فى مشهده بصفحة المودة ويتناوله فى مغيبه بلسان الذم والعصبية فشبه عليه السلام هاتين الحالتين لاختلافهما بالوجهين المختلفين لتباين مابينهما ❁ ومن ذلك قوله عليه السلم الايمان

يمان والحكمة يمانية ﷺ وهذا قدر ما اورده ابو عبيد فى كتابه من هذا الخبر وقد ذكر غيره فيه زيادة كثيرة وهى قوله عليه السلام بعد الكلام المتقدم رحا الاسلام دائرة فى قحطان حمير رؤس العرب وبهاؤها والاسد كاهلها وجمجمتها ومذحج هامتها غلصمتها فى حديث طويل وفى هذا الحديث عدة مجازات احدها قوله عليه السلم الايمان يمان والحكمه يمانية والمراد اهل الايمان واهل الحكمة يمانون وامثال ذلك فى الكلام معروف كثير ويدخل فى هذا الوصف اهل مكة واهل المدينة فاما مكة فهى جهة من جهات اليمن ومفضى الى ذلك الشق واسمت واما المدينة فمعظم اهلها الانصار وهم من اهل اليمن بالاصل وان كانوا من اهل الحجاز بالدار وقد قيل انه عليه السلم قال هذا الكلام بتبوك وهى من ارض الشام وكانت مكة والمدينة حينئذ بينه وبين اليمن فاشار الى جهة اليمين وهو يريد مكة والمدينة والمجاز الاخر قوله عليه السلام رحا الاسلام دائرة فى قحطان والمراد ان امر الاسلام يدور عليها كما تدور الرحا على قطبها وقد مضى فى صدر هذا الكتاب من هذا الكلام على رحا الاسلام ما فيه كفاية والمجاز الاخر قوله عليه السلام حمير رؤس العرب وبهاؤها والاسد كاهلها وجمجمتها ومذحج هامتها وغلصمتها

والمراد ان حمير في التقدم كالرؤس الاعاظم والاسد في الاشتداد والاجتماع كالكواهل والجماجم ومذحج في السمو والدنو كالهامات والغلاصم بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام ينادى مناد يوم القيمة لتلحقن كل امة بما كانت تعبد فلا يبقى احد كان يعبد صنماً الاذهب حتى يقع في النار ويبقى غبرات اهل النار ﴾ فقوله عليه السلم غبرات اهل النار استعارة والمراد عقابيلهم وبقاياهم وذلك مأخوذ من غبر اللبن وغبره بالتشديد والتخفيف وهو بقيته في الحلب والضرع وغبر الليل آخره مأخوذ من ذلك قال الطرماح بن حكيم في الغبر مشقلا

فيا صبح كمش غبر الليل مصعدا
بيم ونبه ذا العفاء الموشح

يريد الديك وقال آخر في الغبر مخففا

متفلق انساؤها عن قانى كالقرط صاف غبره لا يرضع

قال الاخفش هو بالتخفيف لاغير وانشد هذا البيت شاهدا على قوله ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام الرؤيا على الرجل طائر مالم تعبر فاذا عبرت وقعت فلا تحدثن بها الا حبيباً او لبيباً روى هذا الخبر عن النبي صلى الله عليه وآله ابو رزين العقيلي وهو لقيط بن عامر بن المنتفق وفي هذا

الكلام مجاز والمراد بالطائر ههنا الامر الذى يتطير ومنه قوله تعالى وكل انسان الزمناه طائره فى عنقه يريد مايتطير منه ويخاف وقوعه به من جزاء اعماله السيئة واوزاره المثقله وذلك ماخوذ من زجر الطير على مذاهب العرب وكانوا يتيمنون بايا منها ويتشأمون باشائمها وعلى ذلك قول الشاعر

ولقد عددت وكنت لا   اغدوا على واق وحاتم
فاذا الاشائم كالايامن   والايامن كالاشائم

والواق بكسر القاف الصرد كانهم سموه بحكاية صوته قال الشاعر

ولست بهيّات اذا شد رحله
يقول عدانى اليوم واق وحاتم

والحاتم الغراب فكانه عليه السلام جعل رويا الانسان التى يتروع لها ويخاف ضررها بمنزلة الشيء الذى يتطير به وقد يجوز انيكون ويجوز انلا يكون فاذا عبرها فعبرت له على مايكره وقع متوقعها وخلص للشر محوزها ويشبه ذلك ماحكى عن بعض المتقدمين انه قال علم النجوم قال فلكى كانه يشير الى انيتفاءل بالسعود تعرضا لها ويتطير بالنحوس تباعدا منها وجميع ذلك مايجوز انيقع ويجوز انلايقع ولما جعل عليه السلم الرؤيا بمنزلة الطائر المتطير به

جعل تعبيرها على الامر المكروه بمنزلة وقوع الطاير موافقة بين انحاء الكلام حتى يقع مواقعها وتطبيق مناصلها وقوله عليه السلم من بعد فلا تحدث بها الا حبيبا اوليبا يريد به النهى عن قصتها الاعلى محب ناصح اوليب راجح لان المحب للانسان يتعمد حمل اموره على اجملها ويتوخى مسرته بتحسين مايحسن منها وبخلاف ذلك يكون المبغض المباعد والكاشح الموارب واما اللبيب وهو العاقل فهو يعبرها على الوجه الصحيح الذى لايوطى فيه عثوة ولايطلب مضرة وبخلاف ذلك يكون الاخرق الجاهل والغبي الغافل ❊ ومن ذلك قوله عليه السلم ان الشيطان ذئب الانسان كذئب الغنم يأخذ القاصيه والشاذة وفى روايه اخرى فاياكم والشعاب وعليكم بالجماعة والعامة ❊ وهذه من احسن الاستعارات وذلك انه جعل الشيطان للانسان بمنزلة الذئب للشاة يأخذ البعيدة المتفردة ويختلس الشاذة الشاردة ويكون لجماعتها اهيب ولفرادها اقرب وكذلك الشيطان يقوى طمعه فى الفذ الفريد والشارد الوحيد فيستهويه بهواجسه ويجعله غرضا رجيما لوساوسه ويكون فى جماعة الناس اضعف طمعا وبهم اقل تولعا وفى هذا الكلام حث للناس على لزوم

الجماعة في طاعة السلطان العادل والامام الفاضل ويجوز ايضاً ان يكون فيه حث لهم على لزوم الدين القويم والصراط المستقيم وترك الانفراد بالمذاهب وسلوك الولايج والعوادل

﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام لينقضن الاسلام عروة عروة كما ينقض الحبل قوة قوة هذه رواية فيروز الديلمي وفي رواية ابي امامة الباهلي عرى الاسلام عروة عروة فكلما انتقضت عروة عروة تشبث الناس بالتي يليها فاولهن نقضا الحكم واخرهن انتقض الصلوة وهذه استعارة والمراد ليتركن العمل بشرايع الاسلام التي احكم عقدها ووكد العمل بها حتى تكاد تمحى مواسمها وتعفو معالمها فيكون الاسلام كالحبل المنتقض من اطرافه والمتنكث بعد استحصافه والقوى الطاقات التي يفتل منها الخيطة والواحدة قوة وجعل عليه السلام شرايع الاسلام كالعرى له من حيث كانت ربقاً للرقاب وكان التعلق بها اماناً من العذاب ونظير هذا الخبر الخبر الاخر الذي رواه البراء بن عازب عنه عليه السلام انه قال اي عرى الاسلام اوثق فعدد الحاضرون شيئاً شيئاً من شرايع الدين فقال عليه السلام اوثق عرى الاسلام ان يحب في الله ويبغض في الله ﴾ ومن ذلك قوله عليه السلام ما من ادمي الا وقلبه بين اصبعين من اصابع الله ﴾ وهذا

وهذا النوع من جملة الاخبار التى توهم التجسيم وتقتضى التشبيه قد ذكرنا فى اول كتابنا هذا انا نعقل الكلام عليها لان جماعة من علماء الشريعة واللغة قد سبقونا الى استقصاء القول فيها وانما نذكر منها ماله دخول فى باب الاستعاره بجهة من الجهات الا انا نتكلم على هذا الخبر ههنا لضرب من الاستظهار فنقول انكان نقله صحيحاً فله وجه فى كلام العرب يسوغ حمله عليه ورده اليه مما يوافق صفات الله سبحانه الذى لايشبه الخلق التى خلقها والبريا التى براها وصورها وهو ان الاصبع فى كلام العرب اسم الاثر الحسن التى تظهر سمته ويشهر علامته يقال لفلان فى ما له اصبع حسنة اى قيام محمود واثر جميل وعلى ذلك قول الراعى يصف راعياً لابله

ضعيف العصا بادى العروق ترى له

عليها اذا ما اجدب الناس اصبعا

اى ترى له عليها اثراً حسنا وقدقيل ايضاً انالمراد بذلك اشارة الناس اليها بالاصابع لحسنها وشادتها وقوله ضعيف العصا يريد انه لا يكثر ضربها ولايعتنف بها وذلك اجدر بان تشحم ابدانها وتغزر البانها ومثل هذا قول الشاعر الاخر وقد تقدم ذكره عليها

شريب وادع لين العصا   يساجلها جماته وتساجله

وانشد الخليل ابن احمد فى كتاب العين لبعض العرب

اغر كضوء البدر فى كل منكب

من الناس تمعى يحتذيها واصبع

يحتذيها ههنا يعطيها كانه يفتعلها من الحذى كما تقول يصطنعها والمنكب عندهم اسم لكل أنثى عشرة عرافه ويسمى الرجل الذى يلى ذلك منكباً وهو من يدبر هذه العدة من العرفاء وقال شاعر اخر فى معنى الاصبع ايضاً

من يجعل الله عليه اصبعاً   للخير والشر يصادفه معاًاى

من يجعل الله عليه أثراً يستدل به على انه من اهل الخير او من اهل الشر يصادف الجزاء على كلا الفعلين من ثواب او عقاب ونعيم او عذاب وذلك الأثر الذى يجعله الله عليه هو استحقاق الحمد من الناس ان كان محسناً او استحقاق الذم منهم ان كان مسيئاً فاذا تمهدت الذى قررناها كان معنى لفظ الخبر مامن ادمى الا وقلبه من الله سبحانه بين نعمتين حسنتين احداهما من به عليه من معرفة خالقه ورازقه والاخرى الغبطة بعم عا به عليه من تحسين خلقه وتوسيع رزقه وذلك يوجب عليه الخروج اليه تعالى من حق الشكر على منته واحسان الجواز لنعمه وقد عبر بعضهم عن هذا المعنى بعبارة اخرى قال المراد بذلك تقلب القلوب بين

الايدي ثلث فيد الله العليا ويد المعطى بلغ قبالا الوسطى ويد السائل السفلى وقد مضى هذا الخبر فيما تقدم الا ان فيه ههنا زيادة لاجلها اعدنا الكلام عليه وهى قوله عليه السلام فيد الله العليا وهذا القول مجاز ويد الله سبحانه ههنا نعمته وهى اعلى النعم لانها اصل لها وام لجميعها لان كل من اعطى عطاء اوحبى حباءً فانما اعطى مما خوله الله سبحانه وتعالى ولولا ذلك لكانت كفه جامدة وريح اريحيته راكدةً ولاجل ذلك يقول فى الحياة انها اول النعم ويريد بذلك انها اول فى الرتبة لافتقار كل نعمة اليها وصحة وجودها متفرده بنفسها غير مفتقرة الى غيرها فصارت اولا فى الرتب وان جاز ان يوجد معها غيرها من النعم وفيما علقته عن قاضى القضاة ابى الحسن عبد الجبار ابن احمد فيما قرأته عليه من اوايل كتابه المعروف بشرح الاصول الخمسة ان النعمه هى المنفعة اذا قصد بها فاعلها وجه الاحسان فان قيل فما المنفعه قيل اللذات والمسار وما ادى اليها اذا لم يعقب ضرراً اعظم منها فان قيل فما اللذات قيل مايعلمه كل احد من نفسه فى ادراك مايشتهيه من مناكله ومشاربه ومناظره وملابسه الى غير ذلك من الامور التى يدعوا العلم بها الى التوصل اليها فاما السرور فهو اعتقاد ذلك اوالظن له

وليس بمعنى سوى ماذكرناه وما يؤدى الى اللذات
فى كونه نعمة كاللذات ولذلك نعد من يمكن غيره من الوصول
الى الملاذ بالدنانير والدراهم منعما وانكانت اعيان الدراهم
والدنانير لا لذة فيها ولهذا الوجه نعد التمكين من هذه
الامور نعمة حتى نقول ان الله سبحانه منعم بالتكليف
الذى هو وصلة الى النعيم المقيم والثواب العظيم ولاجله
ايضا قلنا فى المصحح للنعم انه نعمة كما نقول فى الحيوة والشهوة
وان كانا يترتبان وقد عدفى ذلك ايضا دفع المضار والغموم
وما يؤدى اليهما ولذلك نقول ان الله سبحانه لو عفى
عن العصاة كان منعما عليهم ولو سهل لهم السبيل الى
الفرار من النار كان محسنا اليهم وليس يحتمل كتابنا هذا
اكثر من القدر المذكور فى هذا المعنى وكانه عليه السلم
جعل يد الله العليا للعلة التى ذكرناها وجعل يد المعطى
الوسطى لانها تليها وجعل يد السائل السفلى لانها مصيب
فضلها وقراره سيلها وقد تقدمت الاشارة الى جملة هذا
المعنى فيما تقدم من الكلام ❊ ومن ذلك قوله عليه
السلم ليلة الجمعة غراء ويومها ازهر ❊ وهاتان استعارتان
والمراد ان ليلة الجمعه متميزه من ساير الليالى بتعظيم قدرها
وتشريف العمل فيها فقد صارت لاجل ذلك كالفرس

الغراء التى تبين من ابهم والشهباء التى يتميز عن الدهم
وكذلك المراد يكون يومها ازهر والا زهر الشديد البياض
كانه لتميزه من الايام بعظام القدر وشرف الذكر قد زاد
عليها انضاحا وكثرها غرراً واوضاحا ﴿ ومن ذلك قوله
عليه السلم فى كلام طويل الا ان عمل الجنة حزن بربوة الا
ان عمل النار سهل بشهوة وما من جرعة احب الى الله
سبحانه من جرعة غيظ يكظمها عبد ﴿ وفى هذا
الكلام مجازان احدها قوله عليه السلم الا ان عمل الجنة
حزن بربوة الا ان عمل النار سهل بشهوة فجعل عليه
السلام عمل الجنة كالحزن من الارض وهو ماغلظ منها لانه
يصعب تجشمه فكذلك عمل الجنة يشق بكلاية وزاد عليه
السلام الكلام ايضاحا بقوله حزن بربوة فلم يرض بان
جعله حزنا حتى جعله بربوة وهى الاكمه العالية ليكون
تجشمه اشق وتكلفه اصعب ولم يرض عليه السلام بان
جعل عمل النار سهلا وهو ضد الحزن حتى جعله بشهوة
ليكون اخف على فاعله واهون على عامله والمجاز الاخر قوله
عليه السلام وما من جرعة احب الى الله سبحانه من جرعة غيظ
يكظمها عبد فكانه عليه السلام جعل كظم الغيظ بمنزلة الجرعة

المؤثرة التى يجرعها الانسان فيجد مذاقها مرآ ويجدغبها حلوآولهذا المعنى شبهوا مايجده الانسان من حرارة حزن وحرارة هم بالشجى المعترض فى الحلق وشبهوا مايلحقه من منظر يأباه وملحظ لايهواه بالقذى العارض فى الطرف لان الاول يحبس مجارى انفاسه والثانى يمنع مجال الحاظه

﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام شفاء العى السؤال ﴾

وهذا القول مجاز والمراد ان الشيء اذاعى الانسان به ولم يثلج صدره بمعرفته كان فى السؤال عنه بيان التباسه وسراح احتباسه فاقام عليه السلام العى بمعرفة الامر مقام الداء المطاول والكرب المماطل واقام السؤال عنه اذا ادى الى العلم به مقام الشفاء المزيح والفرح المريح

﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام فى كلمات قالهن لعبدالله بن عباس احفظ الله يحفظك احفظ تجده تجاهك وفى رواية اخرى تجده امامك ﴾ وهذا مجاز لان الله سبحانه امامنا وخلفنا وعن ايماننا وعن شمائلنا من طريق الحفظ لنا والاحاطة بنا فليس يختص ذلك منا بجهة دون جهة وبحالة دون حالة الا ان المراد تجاهك وامامك ههنا انك تجد حفظه ومعونته حيث توجهت واى طرق سلكت وذلك كقول الشاعر فى التخويف بالله تعالى وهو

نظير للحال التي كلامنا عليها

والله يصبح من امام المدلج

اى لايفوته هارب ولايضل عنه شارد ومن ذلك قوله عليه السلام العين حق تستنزل الحالق وهذا مجاز والمراد ان الاصابة بالعين من قوة تأثيرها وتحقق افاعيلها كانها تستهبط العالى من ارتفاعه وتستقلق الثابت بعد استقراره والحالق المكان المرتفع من الجبل وغيره فجعل عليه السلام العين كانها تحط ذروة الجبل من شدة بطشها وحدة اخذها وقد تناصرت الاخبار بان الاصابة بالعين حق والذى يقوله اصحابنا ان الله سبحانه يفعل المصالح بعباده على حسب مايعلمه من الصلاح لهم فى تلك الافعال التى يفعلها والاقدار التى يقدرها واذا تقررت هذه القاعدة فغير ممتنع ان يكون تغييره تعالى نعمة زيد مصلحة بعمرو واذا كان تعالى يعلم من حال عمر وانه لولم يسلب زيداً نعمته ويخفض منزلته اقبل على الدنيا بوجهه ونأى عن الاخرة بعطفه واقدم على المغاوى وارتكس فى المهاوى واذا سلب سبحانه نعمة زيد للعلة التى ذكرناها عوضه عنها واعطاه بدلا منها عاجلا او آجلا واذا كان ذلك كما قلنا وقد روى عنه صلى الله عليه وآله

مايدل على ان الشيء اذا عظم فى صدور العباد وضع الله
قدره وصغر امره لم ينكر تغيير حال بعض الاشياء عند
نظر بعض الناظرين اليه واستحسانه له وعظمه فى صدره
وفخامته فى عينه كما روى انه عليه السلام قال لما سبقت
ناقته العضباء وكانت اذا سوبق بها لم تسبق مادفع العباد
من شيء الا وضع الله منه فيمكن ان يتأول قوله عليه السلام
العين حق على هذا الوجه ويجوز ان يكون ماامر به المستحسن
للشيء عند رؤيته له من اعاذته بالله والصلاة على رسول الله
قائما فى المصلحة مقام تغيير حالة الشيء المستحسن فلا تغير
عند ذلك لان الرائى قد اظهر الرجوع الى الله سبحانه
والاخبات له واعاذ ذلك المرئى به فكانه غير راكن الى
الدنيا ولا مغتر بها ولا واثق بما يجرى عليه احوال اهلها
ولعمرو بن بحر الجاحظ فى الاصابة بالعين مذهب انفرد به
وذلك انه يقول انه لاينكر ان ينفصل من العين المصيبة الى
الشيء المستحسن اجزاء لطيفة فتؤثر فيه وتجنى عليه ويكون
هذا المعنى خاصا ببعض الاعين كالخواص فى الاشياء وعلى
هذا القول اعتراضات طويلة وفيه مطاعن كثيرة لايقتضى
هذا الكتاب استيفاء ذكرها واستقصاء شرحها ﴿ ومن
ذلك قوله عليه السلام الاسلام ذلول لايركب الا ذلولا ﴾

وهذه استعارة والمراد ان الاسلام سهل القياد لمن اقتاده وطئ الظهر لمن اقتعده لايتوقص براكبه ولا يتقاعس على جاذبه فهو كالبعير الذلول الذى يسهل مرامه ويطاوع زمامه وقوله عليه السلم لايركب الا ذلولاً اى لايستجيب من الناس الا من لانت للدين عرائكه وقربت عليه من اخذه وطاعت نفسه باحتمال اعبائه والصبر على لأوائه فاشبه عليه السلم من هذا الوجه ايضا الفرس الذلول الذى يمكن راكبه ويطاوع فارسه وانما جعل عليه السلم الاسلام فى الثانى بمنزلة الراكب بعد ان وصفه فى الاول بصفة المركوب لان الاسلام كالمالك على الانسان امره والمبتاع منه نفسه فهو يقوده بزمامه ويصرفه على احكامه وكان من هذا الوجه كانه راكب لظهره لما كان مالكا لامره ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم من تقرب الى الله شبراً تقرب اليه ذراعاً ومن تقرب الى الله ذراعاً تقرب اليه باعاً ومن اقبل الى الله ماشيا اقبل الله اليه مهرولا ﴾ وهذا القول مجاز والمراد ان من فعل الشيء القليل من البر عوضه الله الشيء الكثير من الأجر فجعل عليه السلم التقرب من استحقاق الثواب كانه تقرب من فاعل الثواب على طريق المجاز والاتساع وعلى هذا المعنى يحمل كما جاء

فى القرآن والكلام من ذكر التقرب الى الله سبحانه لانه تعالى جده لا يوصف بالقرب من طريق الدنو بالمسافة ولكن من حيث كان قريب الثواب من مستحقه ودانى الاحسان من راجيه ومؤمله فكانت صفة القرب متعلقة باحسانه وثوابه لا بنفسه وذاته فاما قوله عليه السلم ومن اقبل الى الله ماشيا اقبل الله اليه مهرولاً فالمراد به ان من تقرب اليه سبحانه بطاعة وان فعلها بطيئاً متضرعاً فانه تعالى يجعل جزاؤه عليها معدا مسرعاً فالمشى ههنا كناية عن الطاعة المبطئة والهرولة كناية عن المثوبة المسرعة فذكر عليه السلم على طريق ضرب المثل لفضل ما يفعله الرب تعالى على ما يفعله العبد وان كان لا يجب فى كل طاعة ان يكون جزاؤها عاجلا وثوابها مبادراً ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام ما للشيطان من سلاح ابلغ فى الصالحين من النساء ﴾ وهذا القول مجاز وذلك انه عليه السلام اقام النساء لحكمهن على النفوس تأثيرهن فى القلوب مقام السلاح للشيطان الذى يقارع به قلوب الصالحين ويقرع بحده ضمائر المتماسكين فيملك به ازمة رقابهم وينقلهم به الى طاعته عن طاعة ربهم ونظير ذلك قوله عليه السلام النساء حبائل الشيطان وقد مضى كلامنا عليه فيما تقدم من هذا

الكتاب ﴾ ومن ذلك قوله عليه السلم وقد سئل عن ضالة الابل فقال للسائل مالك ولها معها حذاؤها وسقاؤها ترد الماء وترعى الشجر حتى يجيء ربها فيأخذها ﴿ وهاتان استعارتان كانه عليه السلم جعل خف الضاله بمنزلة الحذاء ومستقرها بمنزلة السقاء فليس يضربها التردد فى الفيافى والتنقل فى المصايف والمشاتى لانها صابرة على قطع الشقه وتكلف المشقه لاستحصاف مناسمها واستغلاظ قوائمها ولانها بطول عنقها تمكن من ورد المياه الغالصة والتناول من اوراق الشجر الشاخصه فهى لهذه الاحوال بخلاف الضالة من الشاة لان تلك تضعف عن ادمان السير والضرب فى اقطار الارض لضعف قوائمها وقلة تمكنها من اكثر المياه والمراعى بنفسها ومع ذلك فهى فريسة للذئب ان احس حسها واستروح ريحها ولاجل ذلك قال عليه السلم للسائل عنها خذها فانما هى لك ولاخيك او للذئب ﴾ ومن ذلك قوله عليه السلم فى كلام طويل فاذا طلع حاجب الشمس فلا تصلوا حتى تبرز واذا غاب حاجب الشمس فلا تصلوا حتى تغيب ﴿ وهذه استعارة والمراد بحاجب الشمس اول مايبدوا من قرصها فكانه عليه السلم شبه الشمس عند صعودها من حدبة الارض بالطالع

من وراء ستر تستره اوغيب يطمره فاول مايبدوا منه وجهه واول مايبدوا من مخاطيط وجهه حاجبه ثم بقية وجهه ثم سائر جسده شيئاً شيئاً وجزءً جزءً فكانه عليه السلم نهى عن الصلوة عند ظهور بعض الشمس للعيون حتى يظهر جميعها وعند مغيب بعضها حتى تغيب جميعها وقال القطامى في حاجب الشمس ومراده جانبها

تراءت لنا كالشمس تحت غمامة

بدا حاجب منها وضنت بحاجب

اى ظهر منها جانب وغاب منها جانب وقد يجوز انيكون لحاجب الشمس ههنا معنى آخر وهو ان يراد به مايبدوا من شعاعها قبل انيظهر جرمها وكذلك مايغيب من شعاعها قبل انيغيب قرصها فاقام ذلك عليه السلم لها مقام الحاجب لانه يدل عليها ويظهر بين يديها فكانه عليه السلم نهى عن الصلوة قبل ان يظهر قرص الشمس بعدشعاع الغائب امامه والصلوة المراد ههناصلوة التطوع دون صلوة الفرض الا ترى ان اول مايظهر قرص الشمس ليس بوقت لشيء من الصلوة المفروضات وفي اول هذا الخبر مايحقق القول الذى قلناه وهو قوله عليه السلم لا تحروا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها فانها تطلع

بين قرني شيطان وقد اختلف الفقهاء فى ذلك فقال ابو حنيفه لايجوز ان يتطوع بعد صلوة الصبح حتى تطلع الشمس ولابعد صلوة العصر حتى تغرب الشمس وقال الشافعى يجوز ان يصلى فى هذين الوقتين النفل الذى له سبب مثل تحية المسجد ولا يصلى النفل المبتدء الذى لاسبب له ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم المؤمن يأكل فى معاء واحد والكافر يأكل فى سبعة امعاء ﴾ وهذا القول مجاز والمراد ان المؤمن يقنع من مطعمه بالبلغ التى تمسك الرمق ويقيم الاود دون المآكل التى يقصد بها وجه اللذة ويقضى بها حق الشهوة فكانه يأكل فى معاء واحد لفرط الاقتصار وكراهة الاستكثار واما الكافر فانه لتبجحه فى المآكل وتنقله فى المطاعم وتوخيه ضد مايتوخاه المؤمن من احتراز حطام الدنيا التى يطلب عاجلها ولا يأمل اجلها فهو عبد فيها للذته وكادح فى طاعة شهوته كانه يأكل فى سبعة امعاء لان اكله للذة لا للبلغة وللنهمة لا للمسكة ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم جيئوا بكبش اقرن يطأ فى سواد وينظر فى سواد فى حديث طويل فاتى به فضحى به وذبحه بيده ﴾ وهذه استعارة والمراد بقول عليه السلام يطأ فى سواد ان اظلافه سواد فكانه يطأ منها

فى سواد اى ليس بينها وبين الارض منها الا ماهو اسود وهذه من محاسن الاستعارات والمراد بقوله عليه السلم وينظر فى سواد ان حدقته سوداء اومطارح نظره منها فكانما ينظر فى سواد وهذا المعنى اراد كثير بقوله

ومن نجلاء تدمع فى بياض

اذا دمعت وتنظر فى سواد

فالمراد بقوله تدمع فى بياض ان دمعها يقطر على خدها وهو ابيض فيصير الدمع واقعا فى بياض والمراد بقوله وتنظر فى سواد المعنى الذى قدمنا ذكره من وصف الحدقة لشدة الاسوداد واذا كان النظر منها فكان النظر فى سواد ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم وقد ذكر له امراة استحيضته ليست هذه بالحيضة ولكنها ركضة من الرحم ﴾ وهذه استعارة والمراد بقوله عليه ركضة من الرحم ان الرحم تفحت بهذا الدم من غير حيضة ولكن من حادث علة فاشبهت رمحة الفرس اذا رمح بحافره اوركضة البعير اذا ركض بمنسمه وهم يسمون الطعنه اذا عند عرقها وفار دمها رماحة ورموحا ويقولون رمحت بالدم اذا كان فرغها رغيبا وجرحها رحيباً وذلك موجود فى اشعارهم ومتعارف فى لسانهم ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم ان

الله ليربي لاحدكم التمرة واللقمة كما يربي احدكم فلوه وفصيله حتى يكون مثل احد ﴾ وهذه استعارة والمراد ان الله سبحانه يجمع القليل الى القليل من صدقاتكم والنزر الى النزر من قربكم وطاعاتكم حتى يعظم يسيرها ويكبر صغيرها فيكون عظيم الجزاء بحسبه وجزيل الثواب على قدره فجعل عليه السلم ذلك كتربية الفلو والفصيل وتربية الطفل الصغير لانه تنقيل من حال الضعف والصغر الى حال الاشداد والكبر ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام من عاد مريضا لم يزل يخوض الرحمة حتى يجلس فاذا جلس اغتمس فيها ﴾ وهذه استعارة والمراد العبارة عن كثرة مايختص به عائد المريض من الاجر الوافر والثواب الغامر فشبهه عليه السلام لهذه الحال بخائض الغمر في مشيته والمغتمس فيه عند جلسته ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم في كلام طويل لا ترسلوا فواشيكم وصبيانكم اذا غابت الشمس حتى تذهب فحمة العشاء فقوله عليه السلم فحمة العشاء والمراد ظلمة العشاء الا انه عليه السلم شبه الظلمة في هذا الوقت بالفحمة وهي الهنة السوداء التي احرقت النار اجزاءها واحالتها عن هيئتها والجمع فحم كسعفة وسعف فكأنه عليه السلم اقام شمس النهار مقام النور المتوقده

فاذا انطوى جاحمها وخمد متضرمها اعقب منها الحمم وخلفها الفحم والفواشى فى هذا الخبر اسم لما ينتشر من الحيوانات الحى كالابل والغنم والحمير والبقر وما يجرى هذا المجرى وسميت فاشية لانتشارها وظهورها ومنه قولهم فشا الحديث اذا ظهر وانتشر ومن كلام العرب ضموا فواشيهم وردوا مواشيهم ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام اعطوا الطرق حقها قيل وما حقها يارسول الله قال غض البصر وكف الاذى والامر بالمعروف والنهى عن المنكر وفى حديث آخر لاتقعدوا على الصعدات الامن اعطاها حقها والصعدات الطرق ﴾ وهذه استعارة كانه عليه السلام جعل للطرق على القاعدين عليها يجب عليهم الخروج اليها منه والاعفاء لها به وهو مجموع الخلال المذكوره فى اول الحديث فمن اخرج من ذلك الحق الواجب وقام بذلك الفرض اللازم جاز له القعود على الطرق ومن لم يقم بذلك الحق ويؤدى ذلك الفرض كان جلوسه عليها محضورا وكان بمخالفة الامر مذموماً ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام المجالس ثلاثة سالم وغانم وشاجب ﴾ وهذا القول مجاز والمراد ان اهل هذه المجالس الثلاثة سالمون وغانمون وشاجبون والشاجب الهالك والشجب الهلاك فجعل عليه

السلام هذه الصفات للمجالس وهى على التحقيق لاصحاب المجالس ولكنها لما كانت مشتملة على اهلها حسن اجراء صفاتهم عليها ومعنى هذا الخبر المجلس الذى لايذكر فيه الجميل، ولا القبيح ولا المنكر ولا المعروف فاهله سالمون والمجلس الذى يذكر فيه الحسن من الاقوال ويتحاض من فيه على جميع الافعال فاهله غانمون والمجلس الذى لايسمع فيه الا القبيح ولا يفعل فيه الا المحظور فاهلها هالكون ❊ ومن ذلك قوله عليه السلام ان ابراهيم ابنى مات فى الثدى وان له لظئرين يكملان رضاعه فى الجنة ❊ فقوله عليه السلام مات فى الثدى مجاز والمراد ان الموت اصابه وهو يرضع فكانه عليه السلام قال مات وهو فى الرضاع وذلك كقول القائل ابن فلان فى الصياغه اوولد فلان فى التجارة اذا اراد انه قد دفع الى من يعلمه هذه الصناعة فهو مقصود على ذلك وماخوذ به ولم يفرغ بعد من تعلمه ومثل ذلك ايضا قولهم ابن فلان بعد فى ابجد اوفى الف باتاثااى هو بعد فى تعلمه هذه الحروف المخصوصة ولم يستكمل علمها فينتقل عنها الى غيرها ولابد من حمل الكلام على تقدير مضاف محذوف وهو رضاع الثدى فيكون المعنى صحيحا فكانه عليه السلام قال مات وهو فى رضاع

الثدى ولذلك نظاير كثيرة وامثال مشهورة وبابه ماجاء في التنزيل من قوله تعالى واسئل القرية والمراد اهل القريه ومافى معنى ذلك ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام اذا وقعت الحدود وصرفت الطرق فلا شفعة ﴾ وهذا القول مجاز والمراد وحيزت بالطرق فخرجت عن حال الاشتراك وطريقة الاختلاط فشبه عليه السلام ذلك بصرف الانسان عن وجهته وعكسه عن جهته وهذا الخبر مما يستشهد من قال ان الشفعه انما تجب للشريك المخالط دون الجار المجاور وقال اهل العراق انما تجب للشريك المخالط ثم للجار المجاور ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام وسيأتى على الناس زمان يثقفون القرآن كما يثقف القدح فى حديث طويل اخرجه مخرج الذم لاهل ذلك الزمان وهذه استعارة والمراد انهم يعنون باصلاح الفاظ القرآن حتى تقوم على المنهاج وتقوم بعد الاعوجاج فيكون كالسهم المثقف الذى يسرع فى الانباض ويقرطس فى الاعراض ولا يتدبر ماورا تلك الالفاظ من حكم واجب وامر لازم وفرض متعين وحق مبين ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام فى كلام اطلق الشرب فى الاوعية بعد ان كان خطره ونهيتكم عن الشرب فى الاوعية فاشربوا ماشئتم الامن

اوكى من سقاه على اثم ﴾ وهذا القول مجاز والمراد اطلاق
الشرب فى الاوعية التى وقع النهى عنها كالدبا والحنتم والنقير
والمزفت اذا كان ما فيهامن الاشربة المطلقه غير الممنوعه والمباحة
غير المحظوره وموضع المجاز قوله عليه السلام الامن اوكى
سقاه على اثم يقول الامن ربط سقاه على مشروب محرم فان
ذلك خارج من باب الاطلاق والاباحة وداخل فى باب الحظر
والكراهة واراد عليه السلام الامن اوكى سقاه على مشروب
يؤدى الى الاثم فاقام الاثم مقامه لانه عاقبة امره ووبال
فعله ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام حفت الجنة بالمكاره
وحفت النار بالشهوات ﴾ وهذا القول مجاز والمراد
ان جميع الافعال التى توصل الى الجنة يتجشم فعلها على
الكره والمشقة لان طريقها وعر ومذاقها مر فلما كانت
الطرق المفضية الى الجنة كلها كما ذكرنا شاقة المسالك صعبة
على السالك حسن ان يقال الجنة حفت بالمكاره على طريق
المجاز وسعة الكلام ولما كانت الافعال المفضية الى دخول
النار فى الاغلب الاكثر كثيرة الملاذ ملائمة للطباع لا تؤتى
من طريق مشقه ولا يقرع لها باب كلفة حسن ان يقال
ان النار حفت بالشهوات على طريق الاتساع والمجاز
﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام وقد سئل عن رجل

كانت تحته امرأة فطلقها ثلاثا فتزوجت بعده رجلا فطلقها قبل ان يدخل بها هل تحل لزوجها الاول فقال عليه السلم لا حتى يكون الاخر قدذاق من عسيلتها وذاقت من عسيلته ﴾ وهذه استعارة كانه عليه السلم كنى عن حلاوة الجماع بحلاوة العسل وكانه مخبر المرأة ومخبر الرجل كالعسلة المستودعه فى ظرفها فلا يصح الحكم عليها الا بعد الذوق منها وجاء عليه السلام باسم العسلة المستودعه فى ظرفها فلا يصح الحكم عليها الا بعد الذوق منها وجاء عليه السلم باسم العسلة مصغرا لسر لطيف فى هذا المعنى وهو انه اراد فعل الجماع دفعة واحدة وهو ما تحل المرأة به للزوج الاول فجعل ذلك بمنزلة الذواق القليل من العسلة من غير استكثار منها ولا معاودة لا كلها فاوقع التصغير على الاسم وهو فى الحقيقة للفعل وذلك بالعكس من التصغير فى البيت المشهور وهو من ابيات الكتاب وانشدناه الشيخان ابو الفتح عثمان بن جنى وابو الحسن على ابن عيسى الربعى وذلك قول الشاعر

يا ما اميلح غزلانا شدن لنا

من هاوليا ئكن الضال والسمر

فاوقع الشاعر التصغير على الفعل فى الظاهر وذلك غير جائز وانما اراد به على الحقيقة تصغيرا لاسم

المصدر الذي هو الملاحة فهذا الشاعر كما ترى صغر الفعل واراد الاسم وهو عليه السلم في الخبر صغر الاسم واراد الفعل ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم لا يتطهر الرجل فيحسن طهوره ثم ياتي الجمعة فينصب حتى يقضي الامام صلوته الا كان ذلك كفارة له ما بينه وبين الجمعة المقبلة ما اجتنب المقتلة ﴾ فقوله عليه السلم ما اجتنب المقتلة مجاز والمراد ما لم يواقع الخطيئة الكبيرة التي تكون سبباً لهلاكه وطريقاً الى بواره فشبهها عليه السلم بالمقتل من مقاتل الانسان الذي اتي منه فقد اتي عليه وانما انث عليه السلم المقتل لانه جعله في هذا الموضع عبارة عن الخطيئة وهي مؤنثة فانثه حملا على المعنى ولذلك في كلامهم نظاير كثيرة ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام انه ليغان على قلبي حتى استغفر الله مائة مرة ﴾ وهذا القول مجاز والمراد ان الغم يتغشى قلبه عليه السلم حتى يستكشف غمته وليستفرج كربته بالاستغفار فشبه ما تغشى قلبه من ذلك بغواشي الغيم التي تستر الشمس وتجلل الافق والغيم والغين اسمان للسحاب وسواء قال يغان على قلبي او قال يغام على قلبي ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام القلوب اوعية بعضها اوعى من بعض وهذه استعارة والمراد تشبيه القلوب بالاوعية

وهي الظروف والعياب التي تحرز فيها الامتعة وغيرها من
الاشياء المحفوظة وهي كالآنيه لايداع الاشياء المايعة الا ان
الاوعيه تختص بالجامدات كما ان الانيه تختص بالمايعات
فالقلب من حيث حفظ ووعى كالوعاء من حيث جمع واوعى
وربما نسب هذا الكلام الى امير المؤمنين عليه السلم على
خلاف في لفظه وقد ذكرناه في جملة كلامه لكميل بن
زياد النخعي في كتاب نهج البلاغه ﴿ ومن ذلك قوله
عليه السلام مايخرج رجل شيئاً من الصدقه حتى يفل عنه
لحى سبعين شيطاناً ﴾ وهذا القول مجاز والمراد تعظيم
الامر في مجاهدة الانسان نفسه عند اخراج الصدقه لشدة
تتبع النفس لها وكثرة الصوارف عنها ووساوس الشيطان
بما يقتضي الامتناع منها فاذا اغلب الانسان باخراجها
نوازع جنانه ونوازع شيطانه كان كانه قد افتلها من ايدى
الجاذبين وفل عنها لحى الشياطين وانما ذكر عليه السلم
هذا العدد المخصوص من الشياطين وهو السبعون على
طريقه للعرب مشهوره في ذكر ذلك اذا ارادت التكثير
وقد ورد التنزيل بسلوك هذا النهج والوقوف عند هذا
القدر قال سبحانه استغفر لهم اولا تستغفر لهم ان تستغفر
لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم وقال تعالى ثم في سلسلة

ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه ﴾ ومن ذلك قوله عليه
السلم يد الله مع القاضي حين يقضي ويد الله مع القاسم
حين يقسم ﴾ وهذا القول مجاز والمراد ان علم الله
سبحانه ومعرفته لا يغيبان عن الحاكم اذا حكم وعن القاسم
اذا قسم فيعلم سبحانه عدل القاضي اذا تحرى العدل وظلمه
اذا اعتمد الظلم ولا يخفى عليه حيف القاسم وميله او انصافه
وعدله وذلك كما يقول القائل يد فلان مع فلان اذا كان مشاركا
له في ولاية يليها او مشاركا له في امور يمضيها وفي هذا القول
تخويف شديد للحاكم والقاسم من مفارقتهما مقام الحق
ومقال الصدق وحث لهما على سلوك النهج الابلج
وتجنب الطريق الاعوج ونظير هذا الخبر قوله عليه السلم
ان الله عند لسان كل قائل والمراد انه تعالى يحيط علما
بمقاصد كلامه ومصارف لسانه كما يعلم ذلك منه من سمع
حواره وشهد خطابه ومثل ذلك ايضا قوله عليه السلام واراد
الله سبحانه انه اقرب اليكم من رؤس ركابكم ﴾ ومن
ذلك قوله عليه السلم لعبد الله بن زيد بن عبد ربه الانصاري
وقد راى الاذان في نومه القه على بلال فانه اندى منك
صوتا ﴾ وهذا القول مجاز والمراد انه امد صوتاً منك
تشبيهاً بالشيء الندي الذي يمتد وينبسط وهو بالضد من

اليابس الذى يجتمع وينقبض وعلى ذلك قول الشاعر

قلت ادعوا وادعوا ان اندى

لصوت ان ينادى داعيان

﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم من قال حين يصبح لا اله الا الله وحده لاشريك له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شئ قدير عشر مرات كتب الله له بكل واحدة قالها عشر حسنات وحط عنه بها عشر سيئات ورفعه بها عشر درجات وكن له مسلحة من اول نهاره الى اخره ولم يعمل يومئذ عملا يقهرهن ﴾ وفى هذا الكلام استعارتان احداهما قوله عليه السلام وكن له مسلحه من اول نهاره الى اخره والمراد بالمسلحة هاهنا مجتمع السلاح الكثير يقال ههنا مسلحة للشيطان ويراد به الموضع الذى فيه جماعة من اعوانه قد كثرت اسلحتهم واشتدت شوكتهم كما يقال ماسدة للارض الكثيرة الاسد ومكمأة للارض الكثيرة الكمأة ومفعاة محواة للارض الكثيرة الافاعى والحياة ونظائر ذلك كثيرة فجعل عليه السلم هذه الكلمات لقائلهن بمنزلة السلاح الكثير الذى يدفع عنه المخاوف ويرد الايدى البواطش والاستعارة الاخرى قوله عليه السلم ولم يعمد يومئذ عملا يقهرهن والمراد ولم يعمل من الاعمال السيئة

في يومه ما يذلب اثمه اجر هذه الكلمات اذا قالها على الوجه المحدود فيها وينبغي ان يكون المراد بذلك الذنوب الصغائر دون الذنوب الكبائر لان عقاب الكبيرة يعظم فيكون كالقاهر لتلك الحسنات التي ذكرها والدرجات التي اشار اليها ولما اقام عليه السلام تلك الكلمات مقام السلاح لقائلها جعل ما في مقابلتها من اثم مولغ وذنب موبق بمنزلة القاهر لها والثالم فيها ملاحة بين صفحات الالفاظ ومزاوجة بين فرائد الكلام وهذا موضع المجاز الثاني الذي افضنا في ذكره وكشفنا عن سره ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام لما امر برجم اليهودي الذي زنا بعد ان واقف اليهود على ان حد الزاني المحصن عندهم الرجم دون الجلد وكانوا انكروا ذلك ثم اقروا به فقال عليه السلام اللهم اني اول من احيا امرك اذ اماتوه ﴾ وهذه استعارة والمراد اني اول من اظهر امرك اذ ستروه واذاعه اد كتموه فاقام عليه السلام الاظهار مقام الاحياء والاخفاء مقام الاماته لان الحي ظاهر منتشر والميت خاف مستتر وقد مضى الكلام على نظير هذا الخبر فيما تقدم من هذا الكلام ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام فيما رواه شداد ابن الهاد قال سجد رسول الله صلى الله عليه وآله سجدة اطال فيها فقال الناس

عند انقضاء الصلوة يارسول الله انك سجدت بين ظهرانى صلواتك سجدة اطلتها حتى ظننـا انه قدحدث امر أوانه اتاك وحى فقال عليه السلام كل ذلك لم يكن ولكن ابنى هذا ارتحلنى فكرهت ان اعجله حتى يقضى حاجتـه ﷺ وكان الحسن والحسين عليهما السلام قدجاؤا النبى عليه السلام فى سجدته فامتطى ظهره وهذا الحديث مشهور وهو حجة لمن يجوز انتظار الامام بركوعه اذا سمع خفق النعال حتى يدخل الواردون معه فى الصلوة وهو قول الشافعى وقد كرهه اهل العراق ولاخلاف فى ان الامام يجوز له ان ينتظر حضور الجماعة اذا لم يخش فوت الوقت قبل ان يدخل فى الصلوة فانتظاره عليه السلام ابنه حتى يقضى منه حاجته يدل على ان من فعل هذا الفعل واشباهه لايخرج به من الصلوة وقوله عليه السلام ولكن ابنى هذا ارتحلنى استعارة والمراد انه جعل ظهره كالراحلة له والمطية التى تحمله ويقـال من ذلك رحلت الناقة وارتحلتها اذا امتطيتها لتسيرهـا وعلى ذلك قال الشاعر

ولكن رحلناها نفوساً كريمة

تحمـل مالا يستطاع فتحمـل

الاترى ان الشاعر لما جعل هذه النفوس بمنزلة المطايا المذللـه

والظهور المحملة استحسن ان يقول رحلناها مقابلة بين اجزاء اللفظ وملاحمة بين العجز والصدر وليس هناك على الحقيقة ظهور تحمل الرجال وتحمل الأثقال وانما اراد صفة تلك النفوس بالصبر على عض البلاء وعرك الاواد ونوازل القدر وجواذب الغير ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم في كلام كلم به بعض اصحابه ان تبرحوا متباين ما كنت بين اظهركم فاذا انا اهلكت اقبلت اليكم الدنيا واقبلتم اليها واضطمتكم الدنيا اضطمام الوالدة ولدها ﴾ وهذه استعارة والمراد ان الدنيا بعده عليه السلم تكثر فوائدها وتتصل مراغدها فشبه نفعها لاهلها بحفاء الوالدة بولدها اذ كانت ترضعه درها وتمهده حجرها وتشبل عليه جهدها وذلك كقولهم قدضم فلان فلانا الى كنفه يريدون انه قدقام بامره واغناه عن غيره ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم لاتمادوا الايام فتماديكم وهذا القول مجاز لان الايام على الحقيقة لايصح ان تعادى ولاتعادي وانما المراد لاتخصوا بعض الايام بالكراهية له والتطير به فربما اتفق عليكم فيه من طوارق القدر وبوائق الغير مايقوى في ظنونكم انه يختص ذلك اليوم دون غيره من الايام وليس كما ظننتم لان الايام تمضى في ذلك على عاداتها وتجرى الى غاياتها فتكونون كانكم

قد عاديتم ذلك اليوم باستشعاركم وصول الضرر اليكم منه ويكون ذلك اليوم كانه قد عاداكم باتفاق المضرة عليكم فيه وخرج القول مخرج المجاز والاتساع ومناديح الكلام بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام وقد سمع اعرابيا يقول فى مسجده صلى الله عليه واله يعقب صلوة صلاها اللهم ارحمنى ومحمداً ولا ترحم معنا احداً فقال عليه السلم لقد تحجرت واسعا ﴾ وهذه استعارة واصل التحجير ان يختط الانسان خطة ويضرب عليها سياجاً ليحوزها به ويعلم انها فى قبضته ومنه الحجر وهو البيت المضروب وجعلت بعد ذلك اسما لبناء مخصوص وجمعها حجر ومن ذلك قولهم حجر الحاكم على فلان اذا منعه من التصرف فى ماله فكانه ضرب عليه خطارا يحبسه فيه ويقصر خطوه دونه فاراد عليه السلام بقوله للاعرابى لقد تحجرت واسعاً تشبيهه بمن ضرب سياجه على قاعة واسعة لجارها ومنع غيره من المشاركة فيها لانه دعا ربه ان يرحم النبي عليه السلام ويرحمه معه خصوصاً وخطر رحمته سبحانه على الناس عموماً وكان ذلك تحجراً على الرحمة وسيطرة على النعمة وخلاف لقوله تعالى ورحمتى وسعت كل شئ وفى رواية اخرى انه عليه السلام قال لما سمع قول الاعرابى من هذا لقد

احتظروا سما والمعنى فى اللفظين واحد لان الاول ماخوذ من الحجره والثانى مأخوذ من الحظيرة وقد يجوز ان يكون المراد لقد ضيق امراً واسعاً فى الجمله وقد يجوز ان يكون لقد وسع على نفسه تضيق على غيره (ومن ذلك قوله عليه السلام من ابطا به عمله لم يسرع به نسبه) وهذه استعارة والمراد ان من تاخر بسوء عمله عن غايات الفضل ومواقف الفخر لم يتقدم اليها بشرف نسبه وكريم حسبه فجعل عليه السلام الابطاء والاسراع مكان التأخر والتقدم لان المبطى متأخر والمسرع متقدم واضافهما الى العمل والنسب وهما فى الحقيقة لصاحبهما لا لهما ولكن العمل والنسب لما كانا سبب الابطاء والاسراع حسن ان يضاف ذلك اليهما على طريق المجاز والاتساع ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام رحم الله حميرا افواههم سلام وايديهم طعام اهل امن وايمان ﴾ وهذا القول مجاز والمراد المبالغة فى صفتهم بافشاء السلام واطعام الطعام فلما كثر لفظ السلام من افواههم وبذل الطعام من ايديهم جاز على طريق المبالغة ان يقول افواههم سلام وايديهم طعام كما يقول القائل مافلان الا اكل ونوم ومافلان الا صلوة وصوم اذا كثر الاكل والنوم من الاول والصلوة والصوم من الاخر وعلى هذا قول الخنساء فى صفة الظبية

الفاقدة ولدها

ترتاع ما نسيت حتى اذا ذكرت   فانما هى اقبال وادبار

تريد صفتها بكثرة الاقبال والادبار والتململ والاضطراب ومن هذا الباب ايضاً قولهم فلان عدل فوصفوه بالمصدر الذى فعله عدل يعدل عدلاً لكثرة وقوعه منه وتظاهره به ونظاير ذلك كثيرة ومن ذلك قوله عليه السلام ويعنى الموت (اكثروا ذكر هادم اللذات) وهذه استعارة والمراد ان اللذات بالموت تتلاشى وتبطل وتمحق وتضمحل كما يضمحل البناء بهدمه ويبطل بتعفية رسمه والهدم فى الاصل هو الابطال لشئ فاذا قالوا هدم فلان البناء فانما يريدون انه ازاله وابطله ومن ذلك الحديث المروى عنه عليه السلام للانصار ليلة العقبة بعد مراجعة كلام طويل بل الدم الدم والهدم الهدم واصح ماقيل فى تفسير ذلك انه عليه السلام انكم ان طلبتم بدم طلبته وان هدمتموه هدمته واقام الهدم هاهنا مقام الطل يقول ان طللتموه طللته بمعنى ان ابطلتموه ابطلته وقال يعقوب بن السكيت فى كتاب الالفاظ يقال دماؤهم هدم بينهم أى هدر ويقال هدم بتحرك الدال ايضاً ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام فى ذم اقوام من المنافقين خشب بالليل جدر

بالنهار ﴿ في كلام طويل وهذه استعاره والمراد انهم ينامون الليل كله من غير قيام لصلوة ولا استيقاظ لمناجات فهم كالخشب الواهيه التى تدعم لئلا تتهافت وتمسك لئلا تتساقط ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام ان المؤمن اذا اذنب كان الذنب نكتة سوداء في قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه فان زاد زادت حتى تغمر قلبه ﴿ فقوله عليه السلام صقل قلبه استعارة والمراد ازالة تلك النكتة السوداء عن قلبه ولكنها لما كانت بمنزلة الدرن فى الثوب او الطبع على السيف حسن ان يقال صقل قلبه منها كما يصقل السيف من طبعه او يغسل الثوب من درنه ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام فى كلام طويل ولا يشرب احدكم الحدود وهو حين يشربها مؤمن وهذا القول مجاز والمراد بالحدود هاهنا الخمر وانما عبر عليه السلام بهذا الاسم عنها لان اقامة الحدود يستحق بشربها وليس ههنا معصية ربما اجتمعت فى الاقدام عليها حدود كثيرة غيرها لان السكران فى الاكثر يقدم على استحلال الفروج واستهلاك النفوس وسب الاعراض وقذف المحصنات فيجتمع عليه حد السكر وحد القتل وحد الزناء وحد القذف ولذلك قال امير المؤمنين عليه السلام وقد سئله عمر ابن الخطاب عن حد السكران

فقال اقم عليه حد المفترى لان الشارب اذا سكر لغا واذا لغا افترى ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام فى اطفال المسلمين هم دعاميص الجنة ﴾ وهذه استعارة والدعموص دويبة صغيرة تكون فى مياه العيون يقال انها ضفدع فكانه عليه السلام شبههم للعبهم فى انهار الجنة ومياهها بالدعاميص التى تعوم فى قرارات الغدران وجامها ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام اذا اضيعت الامانة فانتظروا الساعة قيل وما اضاعتها يارسول الله قال اذا توسد الامر الى غير اهله وفى رواية اخرى اذا وسد الامر الى غير اهله ﴾ وهذه استعارة والمراد اذا استند الامر الى غير اهله فقام السناد ههنا مقام الوساد لان المتوسد للشئ مستند اليه ومعتمد وانما جعل عليه السلام الامر مستنداً لهم لانهم القائمون باحكامه والمقيمون لاعلامه فهم له كالمساك والسناد والدعائم والعماد ويكون المراد بقوله عليه السلام على الرواية الاخرى اذا وسد الامر الى غير اهله على فعل مالم يسم فاعله ﴿ ومن ذالك قوله عليه السلام خمس ليس لهن كفارة الشرك بالله سبحانه وقتل نفس بغير حق اوبهت مؤمن اوالفرار يوم الزحف اويمين صابرة يقتطع بها مال بغير حق ﴾ وهذا مجاز والمراد اويمين

مصبورة اى مكرهة على الكذب من قولهم فلان مصبور
على السيف اى محبوس على القتل مع اكراه عليه واضطرار
اليه ومن ذلك الخبر المروى انه عليه السلام نهى عن صبر
البهائم وصبرها حبسها وترك تغذيتها الى ان تموت مكرهة
على تلك الحال المكروهة ومن ذلك قولهم قتل فلان صبراً
فكأنه عليه السلام جعل تلك اليمين الكاذبة لبعدها
عن الصدق ومخالفتها جهة الحق بمنزلة المكرهة على
ركوب تلك المحجة الضلعاء والوقوف عند تلك السوءة
السواء فهى كالمصبورة على السيف والمحمولة على الخسف
ومما يقوى ماقلناه رواية عمران بن حصين الخزاعى لهذا
الخبر قال قال صلى الله عليه واله من حلف بيمين كاذبة
مصبورة فليتبوأ مقعده من النار فقد صرح عليه السلام
فى هذه الرواية بان اليمين الصابرة فى الرواية الاولى بمعنى
المصبورة ❁ ومن ذلك قوله عليه السلام اذا دخل البصر
فلا اذن وهذه استعارة والمراد ان من استأذن على بيت
فولج فيه بصره قبل ان يلج فيه بدنه فقد بطل اذنه لان
الاذن انما يكون من قبل ان يقع البصر على مايشتمل عليه
البيت فاما اذا كان ذالك فكان المستأذن قد وصل قبل
ان يؤذن له فى الوصول ودخل قبل ان يؤمر بالدخول

ويقوى ماقلناه من ذلك الخبر الاخر وهو قوله عليه السلام من اطلع من صير باب فقد دمر ومعنى دمر دخل والدامر الداخل والصير ههنا الشق او الفرجة تكون بين البابين ذكر ذلك ابو عبيد فى غريب الحديث وموضع المجاز من هذا الكلام تصيره عليه السلام البصر بمنزلة الداخل على القوم وانما اراد عليه السلام البصر بمنزله الداخل على القوم وانما اراد رؤيته لهم ونفوذه الى ماوراء بابهم

﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام الجرس مزمار الشيطان وهذه استعارة وذلك انه لما كان كل صوت مكروه ينسب الى الشيطان كضروب الغنا وعويل النساء وكان صوت الجرس من الاصوات المكروهة بدليل قوله عليه السلام فى الخبر الاخر لاتصحب الملائكة رفقة فيها جرس حسن ان يضاف صوته الى الشيطان على طريق المجاز والاتساع

﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام ان المؤمن لينضى شيطانه كما ينضى احدكم بعيره فى السفر ﴾ وهذه استعارة والمراد ان المؤمن يصعب قياده على الشيطان فلا يصغى الى وساوسه ولا يجعل لهواجسه اعتصاما منه بدينه واستيلاماً عليه فى جنة يقينه فشيطانه ابداً مكدود معه لطول منازعته القياد ومغالبته الزمام فشبهه عليه السلام لاتعابه الشيطان فى الاحتجار

عن اضلاله والامتناع من اتباعه بالمضى بعيره فى السفر اذا طال سفره واستفرغ قوته وحسن عريكته ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام فى كلام طويل لاتقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض الى ان يخرج الرجل بزكوة ماله فلا يجد احد ايقبلها منه ﴾ فقوله عليه السلام حتى يكثر المال ويفيض استعارة كانه شبهه بالماء الطامى الذى يفيض من قراراته ويسيح من كثرته ونظير هذا الخبر ما روى من قوله عليه السلام فى خبر اخر ورب متحوض فى مال الله ورسوله فيما اشتهت نفسه له النار يوم القيامة كانه عليه السلام جعل كثرة المال عند هذا الانسان بمنزلة الغمرة الطامية والجمة الطافحة وجعل انفاقه منه وتقلبه فيه بمنزلة الحوض فى الجمام الغزار والاجيج الغمار ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام ان للمساجد اوتادا الملائكة جلساؤهم اذا غابوا افتقدوهم وان مرضوا عادوهم وان كانوا فى حاجة اعانوهم ﴾ وهذه استعارة كانه عليه السلام شبه المقيمين فى المساجد والملازمين لها والمنقطعين اليها بالاوتاد المضروبة فيها وذلك من التمثيلات العجيبة الواقعة موقعها والمقرطسة غرضها ويقال فلان وتد المسجد وحمامة المسجد اذا طالت ملازمته له وانقطاعه اليه تشبيهه بالوتد فى الملازمة ابلغ من تشبيهه بالحمامة لان

الحمامة تنتقل وتزول والوتد مقيم ولا يريم ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام فى حديث طويل ورجل تصدق بصدقة اخفاها لاتعلم شماله ماتنفق يمينه ﴾ وهذا مجاز والمراد المبالغه فى صفته بكتمان نفقته واخفاء صدقته فاذا كانت شماله لاتعلم بما تنفقه يمينه وهى سريحتها وقسيمتها وجارتها ولصيقتها فاجدر انلا يعلم بذلك غيرها ممن شحط دارا وبعد جوابا ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام وقد ذكر لوطا عليه السلام وقوله لقومه لوانلى بكم قوة او آوى الى ركن شديد قال عليه السلام فما بعث الله بعده نبياً الا فى ذروة قومه ﴾ وهذه استعاره والمراد فما بعث الله بعده نبياً الا فى اعلى شرف قومه لئلا يغمص حسبه ويزدرى منصبه فيكون ذلك منفرا عنه وموحشامنه فشبه عليه السلام ذلك بذروة بعير وهى سنامه اوذروة الجبل وهى رأسه ويقولون فلان فى الغوارب من قومه كما يقولون فى الذرى من قومه فالغارب ههنا كالذروة هناك ويقولون ايضاً هو فى عليا قصر قومه وفى رواية قومه اذا ارادوا هذا المعنى وذلك فى اشعارهم وكلامهم اكثر من ان يستقصى وفى شعر يروى لامير المؤمنين على عليه السلام

كانوا ذوابة من فهر واكرمها ۞ حيث الانوف وحيث الفرع والعدد

﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام لكل شئ سنام وسنام القرآن سورة البقرة ومنها آية هي سيدة آي القرآن لا تقرأ في بيت فيه الشيطان الا خرج منه وهي اية الكرسي وفي رواية اخرى البقرة سنام القرآن وذروته وياسين قلب القرآن ﴾ وفي هذا الكلام استعارات ثلاث اولاهن قوله عليه السلام وسنام القرآن سورة البقرة والمراد انها اعلى القرآن واشرفه كما ان اعلى ما في البعير سنامه وذروته والكلام في هذا المعنى كالكلام على الخبر المذكور امام هذا الخبر لان المراد بهما واحد والاستعارة الثانية قوله عليه السلام ومنها آية هي سيدة آي القرآن والمراد انها تتقدم القرآن وتفضله كما ان السيد يتقدم على عشيرته ويفضل اهل طبقته والاستعارة الثالثة قوله عليه السلام ياسين قلب القرآن والمراد انها خالصته ولبابه كما ان قلب الشئ صميمه ومصاصه ويقولون فلان قلب بني فلان اذا كان في مقر صميمهم وفي مصبح اديمهم ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام في كلام طويل ايها الناس ما يحملكم على ان تتابعوا في الكذب كما يتتابع الفراش في النار ﴾ وهذا القول كلام المجاز والمراد يتسارعون الى قول الكذب تهافتا فيه ومنازعة اليه فيكونون كالفراش المتساقط في النار

لانه يلوذ بها وينازع اليها والتتابع التواقع فى الشئ المكروه فلما كان الكذب كالمهواة والمزلة من حيث ادى الى الخزاة والمذله حسن لذلك ان يجعل المتسرع اليه كالواقع فيهما والمرتكس فى قعرهما وقد يجوز ايضا ان يكون ان المراد ان الكذب لما كان مفضيا الى دخول النار جعل المتسرع اليها كالمتهافت فى النار ويؤكد هذا الوجه تشبيه المتتابع فى النار ولذلك نظائر قد تقدم الكلام عليها فى هذا الكتاب ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام وقد ذكر عنده رجال من اصحابه يجهدون فى العبادة اجتهاداً شديداً فقال عليه السلام تلك ضراوة الاسلام ولكل شئ ضراوة وشرة ولكل شرة فترة فمن كانت فترته الى الكتاب والسنة فسالم ماهو ومن كانت فترته الى معاصى الله فذلك الهالك فقوله عليه السلام تلك ضراوة الاسلام وشرته استعارة والمراد بذلك شدة الورع وافراطه وغلوه واستطاطه تشبيهاً له بالضراوة على الشئ المأكول اوالمشروب وهى شدة الاعتياد له وفرط المنازعة اليه وذلك مأخوذ من قولهم سبع ضار واذا درب بأكل اللحم فكثر طلبه له ولو بته عليه ويقولون عرق ضار اذا فار دمه فلم يقف وتواتر فلم ينقطع وقال الاخطل يصف دن الخمر عند بذله

لما آتوها بمصباح ومبزلهم

سارت اليهم سؤر الابجل الضارى

والابجل واحد الاباجل وهى العروق . ومعنى سارت اى فارت ونصحت ماخوذ من سورة الشيء وهى حركته وطموحه ويوافق هذا المعنى الخبر المروى عن بعض الصحابة اتقوا هذه المجازر فان لها ضراوة كضراوة الخمر فاراد ان ضرر الادمان على اكل اللحم كضرر الادمان على شرب الخمر الا ان المستكثر من اللحم يؤثر ضرره فى بدنه والشارب للخمر يؤثر ضررها فى دينه ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم لعن الله الذين يشققون الكلام تشقيق الشعر ﴾ وهذا القول مجاز والمراد الذين يتصرفون فى الكلام فيدققون فيه ويتعمقون فى معانيه وشبه عليه السلام فعلهم ذلك بتشقيق الشعر لان طاقات الشعر مستدقة فى نفوسها واذا تعاطى الانسان تشقيقها انتهت من الدقة الى غاية لا زيادة وراءها وهذا اللعن فى الخبر انما يتناول من بلغ فى تدقيق الكلام الى ذلك الحد لتشبه الباطل بالحق ويجوز الغى بالرشد كما قلنا فى تاويل قوله عليه السلم الا اخبركم بابغضكم الى وابعدكم منى مجالسا يوم القيمة الثرثارون المتفيقهون ﴾ ومن ذلك قوله عليه السلام ليدخلن

هذا الدين على ما دخل عليه الليـل ﴾ وهذا القول مجاز والمراد انتشار الاسلام فى الشـرق والغرب واشتماله على البر والبحر فجعله عليه السلم من هذا الوجه بمنزل الداخل دخول الليل فى الاطلال والاطباق وتجليل البلاد والافاق ومن ذلك ماروى فى حديث عن بعض الصحابة وهو قوله وكان ذلك حين وجا الاسلام اى البس كل شيء ودخل على كل حى تشبيهاً بالليل فى تغطيه البلاد وشموله النجاد والوهاد ومما يقوى هذا المعنى ما روى عنه عليه السلم انه قال لفاطمة عليها السلم وقد رأت قميصه مخروقا وبطنه خيصا فبكت عند ذلك فقال لها صلى الله عليه وآله اما يرضيك يا فاطمة الا يبقى على ظهر الارض بيت مدر ولا وبر الا دخله عن اوذل بابيك ﴾ ومن ذلك قوله عليه السلم لمعاذ بن جبل الا اخبرك برأس الامر وعموده وذروة سنامه قال بلى يارسول الله قال راس الامر الاسلام وعموده الصلوة وذروة سنامه الجهاد ﴾ وهذه الالفاظ كلها مستعارة كانه عليه السلم جعل الاسلام راس دين الله المتقدم ورئيسه المعظم وجعل الصلوة عموده الذى به قوامه وعليه قيامه وجعل الجهاد ذروة سـنامه لانه بعد الراس اعلى مشارفه وارفع مراتبه وبه يشاد بناؤه ويقام لواؤه

ويقمع اعداؤه ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام حجوا قبل ان لاتحجوا حجوا قبل ان يمنع البر جانبه ﴾ وفى هذا القول مجاز والمراد حجوا قبل ان يمنع سلوك البر القاطعون لسبيله والغايبون فى طريقه والحائلون بين الناس وبين دخوله فلما جعل عليه السلام البر ممنوعا بمن اشرنا ذكره حسن على طريق المجاز ان يجعله كالمانع لجانبه والمخوف لسالكه لان المحجور كرها كالمحتجب والممنوع قسرا كالممتنع ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام الحمى كير جهنم ﴾ وهذا القول مجاز والمراد المبالغة فى وصف حرارة الحمى واتقادها وشدة اوارها واضطرابها فشبهها عليه السلام بكير يستمد من نار جهنم وهى اعظم النيران وقوداً وابعدها خموداً وقال المفسرون فى قوله تعالى وهو يريد نار الدنيا نحن جعلناها تذكرةً ومتاعاً للمقوين قالوا تذكرة يستذكر بها الناس نار الاخرة فيكون ذلك ازجر لهم عن المعاصى واصرف عن المضالّ والمغاوى لان نار الدنيا اذا كانت على ماهى عليه من قوة الاحراق وشدة الارماض والاقلاق وهى مع ذلك دون نار الاخرة فى الطبقة وجزء من اجزاءها فى الايلام والنكايه فما ظننا بتلك النار اذا باشرت الاجسام وخالطت اللحوم والعظام

نعوذ بالله منها ونسأله التوفيق لما باعد عنها وقيل في المقوين قولان احدهما ان يكونوا المؤملين من الزاد والفاقدين للطعام يقال اقوى فلان من زاده اذا لم يبق عنده شيء منه وذلك مأخوذ من الارض القواء التي لاشيء فيها فكانه صار كهذه الارض في الخلو من البلغ التي يتبلغ بها والمسك التي يتمسك بها والقول الاخر ان يكون المقوون ههنا السائرين في القوى وهي الارض التي قدمنا ذكرها والنار للمسافر ارفق منها للحاضر ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام في دعاء دعا به للميت الآن فلان ابن فلان في ذمتك وحبل جوارك فقه فتنة القبر وعذاب النار ﴾ فقوله عليه السلام وحبل جوارك استعارة والمراد انه لجيء الى ظلك ومضطر الى فضلك فاخرج قوله في ذمتك وحبل جوارك على عادة كلام العرب لانهم يقولون قد عقد فلان لفلان حبلا واخذ فلان من فلان حبلا اذا اعطاه ذماماً وعقد له جواراً وقد سموا العهود حبالا على هذا المعنى وفي التنزيل الا بحبل من الله وحبل من الناس اى بعهد من الله وعهد من الناس والاصل في ذلك ان يشبهوا ما يعقل من الذمام بما يعقد من الحبال لانها تقرب بين البعيدين وتجمع بين القريبين وتصل

الابيات بالابيات وتربط الاطناب بالاطناب ﴾ ومن ذلك قوله عليه السلم لاصحابه وقد ذكر وقوع الفتن ﴿ثم تعودون فيها اساود صبا يضرب بعضكم رقاب بعض﴾ وهذا القول مجاز واراد عليه السلم انكم تكونون في هذه الفتنة كالحيات التي تنصب على مناهشها وتسرع الى ملابسها غير متدمة من محرم ولا متورعة عن معظم ﴿ومن ذلك قوله عليه السلم كلكم يدخل الجنة الا من شرد على على الله شراد البعير﴾ فقوله عليه السلام الا من شرد على الله مجاز والمراد الا من امر من عند الله سبحانه وتعالى وبعد عن رضاه وطاعته وذهب في غير جهة مشيئته وارادته فكان كالبعير الشارد الذى تدعى صاحبه وبعد عن معاطنه ﴾ ومن ذلك قوله عليه السلم لاسماء بنت ابى بكر انفخى وانضحى ولا توعى فيوعى الله عليك﴾ قوله عليه السلم انفحى وانضحى استعارة والمراد انفقى مالك في سبيل الله وابذليه في طاعة الله واصيبى بمواضعه باسراع وبدار كما تنفخ الريح حبوبها وتنضح السحابة شوبها والمراد بقوله عليه السلم ههنا ولا توعى فيوعى الله عليك اى لا تمسكى فيمسك الله عليك لان من اوعى شيئاً وحفظه فقد امسكه ومنعه ﴾ ومن ذلك قوله عليه السلم

ان قريشا اهل صدق وامانه فمن بغاهم العواثر كبه الله لوجهه ﴾ وهذا القول مجاز والمراد فمن بغاهم المدثرات وهى الامور التى تعثرهم وتضع شرفهم فقال عليه السلام العواثر لانها وان اعثرتهم فكأنها عاثرة بهم اوواقعة عليهم ومن قولهم عثر الدهر مال فلان اذا نقص اعدادهم وغير احوالهم وبلغ المبالغ منهم وساءت آثارهم فيه ﴿ومن ذلك قوله عليه السلام المسلمان اذا حمل كل واحد منهما على صاحبه السلاح فهما على جرف جهنم فاذا قتل احدهما صاحبه دخلاها جميعا ﴾ وهذا القول مجاز والمراد بذلك المسلمان اللذان يتقاتلان فى غير طاعة الله سبحانه فهما بنفس القتال وتظاهرهما بحمل السلاح عاصيان لله سبحانه مستحقان لعقابه مقدمان على شقاقه فاذا قتل احدهما صاحبه دخلا جميعا النار الا ان المقتول يستحقها بتعرضه للقتال المحصور عليه والقاتل يستحقها بقتل ذلك ويتمرد بعقاب القتل الذى وقع منه فيكون اشدهما نكالا واعظمهما وبالاوموضع المجاز قوله عليه السلام فهما على جرف جهنم والمراد انهما على طريق استحقاق نار جهنم باقدامهما على الفعل المحظور والامر المكروه فشبه عليه السلم كونهما قريبين من استحقاق دخول النار بمن

اشرف على جرفها وقام على جرفها فى شدة القرب منها والاشفاء على الوقوع فيها ومثل ذلك قوله تعالى وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها وقد لخصنا الكلام على ذلك فى كتاب مجازات القرآن ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم وقد راى بعيرا فى بعض حيطان المدينه فحن اليه كالشاكى فقال عليه السلم لصاحبه ان بعيرك يشكوك ويزعم انك اكلت شبابه حتى اذا كبر تريد ان تنحره ﴾ وهذا القول مجاز والمراد بقوله عليه السلم اكلت شبابه استعملته فى حال شبابه وقوته واجمعت نحره فى حال ضعفه وكبره فجعل استعماله طول ايام شبابه كالآكل شبابه لانه استفاد له وذهاب به ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم فى حديث طويل نهى فيه عن الذبح بالسن والظفر اما السن فعظم واما الظفر فمدى الحبشه ﴾ وهذه استعارة والمدى السكاكين فكانه عليه السلم قال والاظفار سكاكين الحبشه لانهم يذبحون بحدها ويقيمونها مقام المدى فى التذكية بها والظفر هاهنا اسم للجنس كالدينار والدرهم فى قولهم اهلك الناس الدينار والدرهم اى الدنانير والدراهم ولذلك صح ان يقول مدى الحبشة والمدى جمع لان الواحده مديه ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم كفى بالسلامة داء ﴾ وهذا القول مجاز لان

السلامة على الحقيقة ليست بداء فى نفسها وانما المراد انها تفضى الى الادواء القاتله والاغراض المهلكة لان طولها يؤدى الى موت الشهوات وانقطاع اللذات وحوانى الهرم وعوادى السقم فحسن من هذا الوجه ان تسمى داء اذا كانت موقعة فيه ومودية اليه وقد اكثرت الشعراء نظم هذا المعنى فى اشعارهم الا ان كلمة النبى عليه السلم ابهى من جميع ماقالوه مطلقا وابعد منزعا واوجز فى تمام واكثر مع قلة كلام فمما جاء فى هذا المعنى قول حميد بن ثور

ارى بصرى قد رابنى بعد صحة

وحسبك داء ان تصح وتسلما

وقول لبيد بن ربيعه

ودعوت ربى بالسلامة جاهدا § ايصحنى فاذا السلامة داء

وقول النمر بن تولب

يود الفتى طول السلامة والغنى

فكيف يرى طول السلامة يفعل

وانى لاستحسن كثير الابيات التى من جملتها هذا البيت وهى قوله

تغير منى كل شئ ورابنى

مع الدهر ابدالى التى اتبدل

فضول اراها فى اديمى بعدما

يكون كفاف الجسم او هو اجمل

كان محيطا فى يدى حارثية

صناع علت منى به الجلد منصل

يرد الفتى بعد اعتدال وصحة

ينوء اذا رام القيام ويحمل

تدارك ماقبل الشباب وبعده

حوادث ايام تمر واغفل

يود الفتى طول السلامة والغنى

فكيف يرى طول السلامة يفعل

﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام وقد ذكر صلوة العصر ولا صلوة بعدها حتى يرى الشاهد ﴾ وهذه استعارة والمراد بالشاهد ههنا النجم والعرب يسمون الكوكب شاهد الليل كانه يشهد بادبار النهار واقبال الظلام وكل شئ يدل على شئ فهو يجرى مجرى الشاهد به والمخبر عنه اذ ليس كل دال بانسان ولا كل دليل من جهة اللسان ومن ذلك قوله عليه السلام واى داء ادوى من البخل وهذا القول مجاز لان البخل على الحقيقة ليس بداء ولكنه لما كان عادة مكروهة وخليقة مذمومة اجرى مجرى الداء الذى يغير

الصحة ويفسد الجبلة الا انه داء يمكن الانتقال عن صحبته وحمل النفس على مفارقته لانه لو لم يكن كذلك لما حسن الذم عليه والتعيير به كما لا يحسن الذم على سائر الامراض التى تغير الاحوال وتفسد الاجسام والبخل على الحقيقة هو منع الواجب وكل من منع الواجب يوصف بالبخل ومن منع التفضل لا يوصف بذلك الا على سبيل المجاز وكل ما فى القران من ذكر البخل فانما يراد به منع الواجب كما ان كل ما فيه من الامر بالانفاق انما يراد به اخراج المال فى الواجب فاما تسمية العرب من لا يقرى النازل ولا يعطى السايل بالبخيل فلانهم اعتقدوا وجوب ذلك عليه فوصفوه بالبخل لامتناعه منه واساميهم تتبع اعتقاداتهم ۞ ومن ذلك قوله عليه السلم وقد ساله رجل من جهينه متى يصلي العشاء الاخرة فقال اذا املاء الليل بطن كل واد ۞ وهذا مجاز لان الليل على الحقيقة لا تملى به بطون الاودية كما تملى بطون الاوعية وانما المراد اذا شمل ظل الليل البلاد وطبق النجاد والوهاد فصار كانه سداد لكل شعب وصمام لكل نقب ۞ ومن ذلك قوله عليه السلام وقد طلعت بين اصابعه مره فوضع يده عليها وقال اللهم مطفى الكبير ومكبر الصغير اطفاها عنى برحمتك ۞ وهذه استعارة كانه عليه السلام اقام ذلك الداء مقام النار

التي قد اخذت في الاضطرام وبدءت بالاحتدام واقام الشفاء المطلوب من الله سبحانه مقام الاطفاء لها ونضح الماء عليها فان ذلك يطفي وقودها ويسرع خمودها وهذا من التشبيهات الصادقة والتمثيلات الواقعة وروي انه عليه السلام كان يقلق القلق الشديد لما يظهر في جسمه من الداء اليسير فقيل له في ذلك فقال ان الله اذا اراد ان يعظم صغيراً عظمه ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلام من قعد في مصلاه حين يصلي الصبح حتى يسبح الضحا في حديث طويل ﴾ وهذه استعارة كانه عليه السلام جعل الضحا وهو شباب النهار وزيارته بمنزلة الماء السائح من الغدير السائح في التمثيل من وجهين احدهما ان بياض الضحى كبياض الماء والاخر ان انتشار النهار بضيائه كانسياح الغدير بمائه ومثل تسميتهم الشمس عند اول طلوعها بالغزاله وليس ذلك باسم لها في جميع الاحوال كما يظنه بعض الجهال وانما هو اسم لها في هذا الوقت المخصوص ومن الشاهد على ذلك قول ذي الرمة

واشرقت الغزالة راس حزوى

لانظرهم وما اغني قبالا

كانه قال واشرقت ذلك الموضع اول طلوع الشمس

وابين من هذا قول الاخر وانشدنا شيخنا ابو الفتح النحوى رحمه الله

قالت له وارتفعت الافق

يسوق بالقوم غزالات الضحى

كانها قالت يسوق بهم اوايل النهار وعند ابتداء الشمس فى الانتشار والضحى اول شروقها وانضاضها والضحى وقت اشراقها وارتفاعها ❁ ومن ذلك قوله عليه السلام وقدمر على قوم وقوف على ظهور دوابهم ورواحلهم يتنازعون الاحاديث فقال عليه السلام لا تتخذوها كراسى لاحاديثكم فى الطرق والاسواق فرب مركوب خير من راكبه ❁ وهذه استعارة كانه عليه السلام شبه الدواب والرواحل فى حالة اطالة الوقوف على ظهورها بالكراسى التى يجلس عليها لانها تثبت فى مواضعها ولا تزول الا بمزيل لها فنهى عليه السلام ان يجعل الحيوان المتصرف بمنزلة الجماد الثابت والشىء الثابت. ❁ ومن ذلك قوله عليه السلام ان الاسلام بدأ جذعا ثم ثنيا ثم رباعياً سديسا ثم بازلا ومابعدا لبزول الا النقصان وهذا الكلام كله مستعار والمراد تمثيل الاسلام فى تنقل احواله وتغاير اوصافه بولد الناقة ينتقل فى اسنانه فيكون اول امره جذعا ثم ثنيا ثم رباعياً ثم سديسا ثم بازلا وهى من التمام الا

النقصان ومدار المعنى على ان الاسلام بدا فى غاية الصغر ثم انتهى الى غاية الكبر على تدريج ما بين البازل والجذع وانه عليه السلام يخشى عليه نقيصه التمام وعكيسه الكمال كما يخشى على اليقين بعد انحنائه والبازل بعد انتهائه

ومن ذلك قوله عليه السلم انما هذا المال من الصدقة اوساخ ايدى الناس وفى رواية اخرى غسالات ايدى الناس وذكر ابن سعد فى كتاب الطبقات انه عليه السلم قال للعباس ابن عبد المطلب رحمه الله وقد سأله ان يستعمله على الصدقة ما كنت لاستعملك على غسالة ذنوب الناس

وهذا القول مجاز والمراد تشبيه ما يخرجه الناس من صدقاتهم بالاوساخ التى يميطونها عن ايديهم والتشبيه بذلك من وجهين احدهما ان يكون اموال الصدقات لما كان اخراجها مطهراً لما وراها من ساير الاموال جرت مجرى المياه التى تغسل بها الادران وتزال بها الانجاس فى انتقال تلك الادران اليها وحصول تلك الادناس والانجاس فيها والوجه الاخر ان يكون المراد ان اموال الصدقات فى الاكثر لا يكون الا اسفال الاموال دون اخايرها ومفارقاتها دون كرامها ولذلك امر عليه السلم فى الصدقة بالاخذ من حواشى الاموال دون حرزاتها وهى خيارها وانما نسب عليه السلم

تلك اوساخ الى الايدى لان الاموال المعطاة فى الاكثر انما يكون بها وتمر عليها وقد مضى الكلام على مثل هذا المعنى فيما تقدم ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم فى تهديد اقوام ذمهم ورجل ينازع الله رداءه فان رداءه الكبرياء وازاره العظمة ﴾ وهذا القول مجاز والمراد بذلك ان الكبرياء والعظمة رداؤه تعالى وازاره اللذ ان يكسوهما خليقته ويلبسهما بريته ولا يقدر غيره على ان ينزع منهما ماالبسه او يلبس منهما ما نزعه والمراد بذلك العظمة والكبرياء على حقيقتهما دون مايعتقده الجهال انه عظمة وكبرياء وليس بهما وذلك مثل ماتشأ هذه من تعظم الجبارين وتكبر المتملكين فان ذلك ليس بتعظيم من الله سبحانه لهم ولا بافاضة من ملابس كبريائه عليهم وانما العظمة والكبرياء فى الحقيقة هما الكرامة التى يلقيها الله سبحانه على رسله وانبيائه والقائمين بالقسط من عبادة فيعظمون بها فى العيون ويحلون فى الصدور والقلوب وان كانت هيئاتهم ذميمه وظواهرهم ورقابهم خاضعة وبطونهم جايعة فاذا ثبت ماقلنا بان تسمية الكبرياء والعظمة رداء الله وازاره ليس لانه يكتسيهما ولكن لانه يكسوهما وذلك كما يقول القائل وقد رأى على بعض الناس ثوبا افاضه عليه عظيم

من العظماء او كريم من الكرماء هذا ثوب فلان ولم يردانه ملبسه فأضافه اليه من حيث كساه لامن حيث اكتساه ويجرى هذا مجرى قولنا بيت الله وليس بساكنه وعرش الله وليس براكبه ونظير ذلك قولهم لعمر والله مافعلت كذا ولعمر والله لقد قمات كذا والعمر هو العمر يقال عمر وعمر بمعنى واحد قال الشاعر

بان الشباب واخلق العمر وتغير الاخوان والدهر

اراد العمر على احد التفسيرين والتفسير الاخر ان يريد به واحد عمور الاسنان واخلاقه تغيره من الكبر الا ان العمر فى قولهم لعمرالله يراد به الحياة وهذا المراد بقول القائل لعمرى ولعمر ابى ولعمر وفلان كانه قال وحياتى وحياة ابى وحياء فلان وجاء عن ابن عباس رحمة الله عليه انه قال من كرامات الله سبحانه لنبينا عليه السلم انه اقسم فى القرآن بحياته ولم يفعل ذلك بنبي غيره قال تعالى لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون وكانهم سبحانه قال وحياتك انهم كذلك واذا صح ماقلناه صار القائل لعمروالله كانما حلف بحياة يحي الله بها لاحياة بحياتها لانه سبحانه يتعالى عن ان يحي بحياة اويتكلم باداة اويفعل بالالات ومن ذلك قوله عليه السلم قدتركتكم على البيضاء ليلها

كنارها لا يزيغ عنها بعدى الا هالك ﴾ وهذا القول
مجاز والمراد بالبيضاء هيهنا محجة الدين ومدرجة الطريق
المستقيم وصفتها بالبياض عبارة عن وضوح نهجها وبيان
سننها وكل ابيض فى كلامهم واضح يقولون وجه واضح اذا
كان ابيض المحيا وجبين واضح وجيد واضح على هذا المعنى
وقوله عليه السلام ليلها كنارها مقوليها فسر ناه من المراد
بالبياض كانه عليه السلام اشار الى ان الليل لا يغطى وضوح
هذه المحجه بسواده ولا يستر اعلامها بظلامه ولا محجة
هناك على الحقيقة وانما المراد صحة الدين بوضوح المعالم
وبيان المواسم وانارة المداخل وظهور الحجج والدلايل
﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم ماملا ادمى وعاء
شرا من بطن فى حديث طويل ﴾ وهذا القول مجاز
انما جعل عليه السلم البطن بمنزلة الوعاء لانه قرار للطعام
والشراب وما يستحيلان اليه من الفروث والاخباث وكان
المأكل والمشرب ايعاء فيه وكان العدد والتبرز تفريغ له
ونظير هذا الخبر الخبر المروى عنه عليه السلم وهو قوله
القلوب اوعية بعضها اوعى من بعض وقد تقدم الكلام
عليه لانه عليه السلم انما جعل القلوب كالاوعية لانها موضع
ايداع السرائر والضمائر وحفظ الادلة والعلوم ومستقر

الاراء والعزوم الان القلوب اوعية للاعراض من الارادات والاعتقادات والبطون اوعية للاجسام من المأكولات والمشروبات ﴿ ومن ذلك قوله عليه السلم الحجر يمين الله فمن شاء صافحه بها ﴾ وهذا القول مجاز والمراد ان الحجر جهة من جهات القرب الى الله تعالى فمن استلمه وباشره قرب من طاعته تعالى فكان كالاصق بها والمباشر لها فاقام عليه السلم اليمين هاهنا مقام الطاعة التى يتقرب بها الى الله سبحانه على طريق المجاز والاتساع لان من عادة العرب اذا اراد احدهم التقرب من صاحبه وفضل الانس بمخالطته ان يصافحه بكفه ويعلق يده بيده وقد علمنا فى القديم تعالى ان الدنو يستحيل على ذاته فيجب ان يكون ذلك دنوا من طاعته ومرضاته ولما جاء عليه السلام بذكر اليمين اتبعه بذكر الصفاح ليوفى الفصاحه حقها ويبلغ بالبلاغة غايتها ونظير هذا الخبر الحديث الاخر ان الصدقة تقع فى يد الله سبحانه وتعالى قبل يد السايل التى يتعجل بها منه سبحانه استحقاق مثوبته ومواقعته وموافقة طاعته وانها لا تهلك ضلالا ولا تذهب ضياعا بل تكون كالشئ المحفوظ باليد والمذخور للغد (وهذا اخير انتهاينا الى الفراغ من كتاب مجازات الآثار النبويه على ماتخلل عملنا له من قواطع الأشغال وبواهظ الأثقال وعوادى الايام والليالى

وقد خرجنا في صدر هذا الكتاب من عهدة التكفل باستيعاب جميع ما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله من آثاره الملفوظة والاخبار المنقوله بما شرطناه من كلامنا التي وقع إلينا وقرب من متناولنا دون ما بعد عنا وشذ عن ايدينا ولا يبعد ان يكون القدر الذي تكلمنا عليه قليلا من كثير وقصيراً من طويل الا ان عذرنا في الاقتصار عليه واضح وحدينا فيما ادنياه ناصح ونحن بحمد الله سبحانه على ما من به من التوفيق لاقتناص شوارده وتسهيل موارده واثار فوائده وعوائده

حمداً يكون للنعمة قواما ولنتائجها تماماً ولمصعبها عقالا

وزماما فان النعمة تبنى على قواعد الشكر

لها وترفع على دعائم المعرفة بقدرها وما

توفيقنا الا بالله عليه توكلت

واليه انيب

ثم بحمد الله سبحانه طبع (كتاب المجازات) الذي لم توجد منه نسخة قط الا في خزانة كتب بعض بيوت العلم القديمه ببغداد وقد بذل الجهد في تصحيحها جماعة من جهابذة الفضل والادب وتأنوا في مقابلتها حسب الجهد والطاقه فجائت بحمد الله كما يراد في غاية الصحه والسداد

لانظير لها في بابها وحيث كانت بهذ الشأن وهي مع ذلك
كعنقاء مغرب بادر السيد الاجل صاحب الفضيلة الحاج سيد
محمد صدر الدين الى طبعها ونشرها اداء لحق السيد الشريف
وخدمة لاخوان الادب والفضل والعلم الشريف وقد كان
الفراغ من طبعها في اواخر شهر شعبان المبارك من شهور سنة
الالف والثلثماية والثالث والعشرين هجريه
على صاحبها افضل الصلوة واكمل
التحيه وقد طبعت في مطبعة
(الاداب) العامره في
بغداد والحمد لله
رب العالمين

